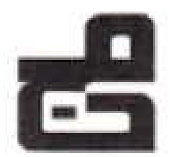
إشكالية العنف

العنف المشرّع والعنف المدان

د. رجاء مكي

د. سامي عجم





إشكالية العنف:
العنف المشرّع والعنف المدان

الطبعة الأولى

1429 هـ ـ 2008 م

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

بيروت - الحمراء - شارع اميل اده - بناية سلام - ص. ب. 113/6311

تلفون: 791123/(01) - تلفاكس: 791124 (01) بيروت - لبنان

بريد الكتروني majdpub@terra.net.lb

ISBN 978 - 9953 - 463 - 95 - 7

د. رجاء مكي

د. سامي عجم

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

التقديم

تتزايد ظاهرات ممارسة العنف ويتوالى انتشارها في مختلف مناطق العالم دون أي فارق بين الأنظمة السياسية أو المنطلقات الأيديولوجية أو المعطيات الحضارية، حتى لقد بدأ العنف وكأنه لغة الإنتقال إلى القرن الواحد والعشرين.

يسعى هذا البحث إلى درس هذه الظاهرة وتحديد الفروقات بين عنف وآخر تجعل من أحدها مشروعاً ومن الآخر مداناً، حيث سيتم التركيز على آلية نقل العنف وإنتقاله من المجال الفردي إلى المجال المجتمعي ومعالجة تداعياته النفس ـ إجتماعية الناجمة عن انتشار العنف، وذلك استناداً إلى:

1. أبحاث فريق علم النفس الإجتماعي في جامعة Lumière - Lyon II مضافاً إليها مؤتمر المجلة العلمية Le Croquant حول العنف الشخصي والإجتماعي والمقارن.

2. أبحاث مراكز الدعم ضد العنف في كندا وهي كثيرة ومتعددة.

3. الأبحاث المتخصصة بالعنف ضد المرأة.

4. الأبحاث التي تطال الموقف من الآخر ومن هجمة العولمة ومن الإرهاب.

5. الأبحاث المقارنة عن الحروب والعدوان والعدائية ونتائجها وتحديداً ملف الحرب الأهلية اللبنانية.

إن انتشار العنف الفردي أدى ويؤدي إلى تسليط العوامل المرضية والنزعات العدوانية الفردية وتمكنها من التحكم بالعلاقات البينية، وتسخيرها لهيمنة المنحرف والقوي على المواطن الاعزل سوى من نصوص القانون، مما يؤدي إلى فقدان الاستقرار وإشاعة الفوضى ونشر آليات الصراع في المجتمع.

كما أن العنف يمنح الفئات التي تمارسه على صعيد المجتمع فرصاً لفرض منطقها وسلطتها ومصالحها على الفئات الإجتماعية الأخرى.

من هنا يصبح هدف البحث إعادة إرساء الأمن الإجتماعي والمساهمة في إعادة بناء النسيج الإجتماعي، وهي مساهمة أولية مرجعية لتأمين الاستقرار النفسي ولتحقيق التقدم.

ننطلق من فكرتين بديهيتين:

1. أن العنف المجتمعي الذي يصدر بين الجماعات ومن جماعة لأخرى بشقيه المحلي والعالمي لا بدّ من أن يؤثر على العنف الشخصي بشكل مباشر، أي أن العنف الذي يخرج من الذات (الفرد) تجاه الآخر، وحدوده الفاصلة هي حدود هشّة، وبالتالي فإنّ العنف هو مدان بأغلب حالاته مع فصل ما بين الفكر والممارسة.

2. أن العنف المشرّع للدفاع عن الذات، يحمل إشكالية مقولتي العولمة والديموقراطية (الإرهاب أيضاً...) وهو وإن كان لرد الغبن والدفاع عن الذات واستبعاد المذلّة فإنه عنف لا يقتصر على الشخصي بل هو عنف متأتٍّ من الإجتماعي وعائد إليه...

من هنا تطرح فرضية البحث الأساسية التي تعتبر أن منشأ العنف الحالي وإن بدأ بالإطار الشخصي والمجتمعي، فهو يتجاوزها ليطال قضايا ومشكلات لها طابع العمومية والشمول الكوني وأنظمته والهيمنة عليه،

---

(1) الكلمات المفاتيح: باتولوجيا (نفسية اجتماعية) ـ تقاطع (فردي ـ مجتمعي ـ ثقافة ـ عدوان ـ مصالح ـ حروب ـ إعلام.....)

وهو ما يسمى باللاوعي الجمعي المخدّر، وتكون النتيجة بتداخل هذه المستويات وخلط الأوراق والأوضاع وإعطاء المبررات للتعميم وعدم التمييز في مواجهتها.

استدلال العنف

يتغلغل الفعل العنفي، عبر نماذجه المختلفة، في ميادين الحياة الخاصة والمجتمعية والدولية. فأي عنف ينبثق من الآخر، فأي تأثير بروز العنف في المجال الشخصي للأفراد على زيادة وتعزيز نزعة العنف عندهم ونقل ممارستها إلى المجال المجتمعي العام أو إلى المستوى العالمي الأرحب؟

تنطلق إشكالية البحث من الحدود التي تفصل بين أشكال العنف والنتائج الحقيقية التي يوفّرها تداخل تلك الحدود على مستوى التبعات والمسؤولية ومعالجة التداعيات الناجمة عن انتشار وتغلغل العنف. وهنا يتم التمييز بين ثلاث مستويات من ظاهرات التمرد والرفض بسلوك عنفي تتفاوت وتختلف من حيث منشأها ودوافعها:

- المستوى الأول للعنف وهو الناجم عن اختلال مرضي في قوى ونوازع الفرد تبلورت خلال تاريخه الشخصي.

- المستوى الثاني للعنف المتشكل كردة فعل حيال المجتمع ومؤسساته تصادمت فيها قناعات ورغبات ومصالح الفرد الذاتية مع اتجاهات المجتمع وسياساته، فهي تمثل تقاطع النفسي الخاص مع المجتمعي العام.

- المستوى الثالث للعنف وهو العنف الممارس لمواجهة مخططات وسياسات تهدف إلى السيطرة على العالم والتحكم بالعلاقات الدولية.

ويمكن في استدلالنا للعنف تجميع الوقائع الميدانية - الاستطلاعية التالية: (مع لفت النظر إلى أن كل الأنواع والملاحظات أثبتت أن العنف النفسي هو نتيجة مرافقة لأي واقعة عنيفة، كما تجدر الإشارة إلى أهمية المعاناة لدى الأطفال بعد كل وضعية علائقية أسرية داخلية أو خارجية أنتجت العنف. . .)

ـ عنف جسدي (ضرب أو تهديد بالسلاح ـ إعاقة التحرك.....)

ـ عنف جنسي ينحى إلى فرض ضروب من الممارسات غير المحببة وغير المقبولة، وذلك في إطار الحياة الأسرية كما في إطار الحياة المهنية وغيرها...

ـ عنف اقتصادي يهدف إلى منع أو استغلال الإنتاج المادي وتعزيزه

ـ عنف مديني (ويمكن أن يترافق مع كل الأطر الأخرى...) في الاماكن العامة وأماكن الترفيه والثقافة كما في إطار «الكوبل» والأسرة والأقارب.

ـ عنف إعلامي ينقل الواقع أو يحث عليه بكافة متغيراته، وهو عنف فضلنا رصده لاحقاً، نظراً لتنوعه، عبر وثائق متنوعة تظهر أثر المتغيرات الفردية أو الشخصية.

من خلال هذه الاستدلالات، وبهدف اختزال هامش الخطأ (Marge d'erreur) قدر الإمكان، قمنا بدراسة استطلاعية شاملة احتوت على أنواع العنف التي سردناها سابقاً، وقدّمت الإطار الدولي الذي حكم لاحقاً توزيع أقسام البحث الميدانية وذلك من خلال موضوع يتشابك مع الافكار التقليدية وكيفية تكوين الصور والتشكيلات النمطية، ويتقاطع أيضاً مع التغييرات الحاصلة في مجتمعنا الحالي وفي تكوين صورة الذات والهوية الجديدة لا تخلو من العنف الإجتماعي إذا لم نقل انها تؤثر على عنف الحياة اليومية.. (أنظر الدراسة الاستطلاعية).

المقاربات المعتمدة وخيارات التقصي للافعال العنفية:

تتوزع المقاربات المعتمدة في الدراسة وفقاً لمتطلبات المعالجة الثلاثية المستويات:

1. المقاربة النفسية في تتبع ظاهرات العنف المجتمعي.

2. المقاربة الاحصائية من أجل تصنيف الأحداث العنفية ووصف خصائصها بحثاً عن الصلات والروابط ما بين شكلي العنف الشخصي والمجتمعي.

3. مقاربة وصفية أحياناً وتحليلية أحياناً أخرى، لمستندات ووثائق عالمية ومحلية حديثة تُظهر عمق التفاوتات البنيوية بين المجتمعات والمحفّزة أحياناً لممارسة العنف الشمولي الدولي.

أما بالنسبة لخيارات التقصي فقد توزعت كالتالي:

1. تأخر سن الزواج: يقال إجتماعياً (وعبر السائد) «عنوسة الإناث» وليس عزوبة الفتيات ظاهرة غير منفصلة عن قضية المرأة وعن التحولات الإجتماعية الحاصلة، فما استوقفنا هو رمزية الموقف ودلالته الإجتماعية التي تغدو كمحطة إجتماعية تنظر إلى الحلال والحرام كسلّم متحرّك تمليه الظروف والأحداث العنيفة بكافة أشكالها وتصوراتها.

2. المراجع الدينية وطلاق المرأة وكيفية معالجة المشاكل الأسرية العنفية: يعتبر المجتمع اللبناني مجتمعاً طوائفياً تعددياً ولم يتمكّن حتى الآن من تعميم المحكمة المدنية في كل ما يتعلق بأمور الزواج والطلاق. وموضوع المرأة هو موضوع غير منفصل عن هذا النسق المفروض حيث أن العنف الخاص يتغذى من العنف العام خاصة إذا كان موجهاً ضد المرأة التي لم تتمكن من أن تتجاوز واقعها الحقوقي المفروض عليها حتى لو انتفضت. فواقع الحال أن المرجعية والمحاكم التي تهتم بملفات الطلاق والزواج هي دينية...

وعليه فإن دور قاضي الشرع يتوسع كي يطال دور المرشد والموجّه وحتى المعالج النفسي فيلغي العامل الطائفي كل العوامل الأخرى وكل ما يمت إلى التغيير الإجتماعي بصلة.

فما هي العلاقة بين الذي يُقال والذي «يُشرعن»؟

3. العنف الإعلامي: لا يمكن فصل ما يحصل على الصعيد الإعلامي من قتل للحريات وللأخطار وللكلمات عما يتم على صعيد الأفراد وما يتلقونه وما يعيشونه وما يخشونه من عنف مُعاش يومياً، ومن تهديد ثابت لحياتهم اليومية ولاستمراريتها... ذلك ان القتل الجسدي لا يطال الجسد فقط، بل يصل إلى ما يسمى بالإرهاب النفسي وتشتيت الذاكرة الفردية... هو صراع يذهب إلى حده الاقصى، قتل الكلمة والإنسان معاً، وهو قتل الحضارة. هذا

العنف التراجيدي المعاش حالياً، سبقه وتلازم معه سلوك إعلامي آخر يندرج في إطار العنف المفروض أيضاً. وتغنى به العنف الغنائي والدعائي الذي يجبر الآخر على قبوله أو على الأقل الاستماع إليه. وهو يضرب من دون أدنى شك، على الغريزة وبالتالي على حب الحياة وكأنه حبّ يقتصر على سهولة ما يقدّم والمادة التي ليست بحاجة إلى تعب لاستيعابها وادخالها. . . .

نحن أمام واقع إعلامي يشق باب العنف من خلال غريزتي الموت والحياة. لكنه موت مفروض لا يطهّر النزوة، وحياة مفروضة يترافق معها اللامعنى.

الدراسة الاستطلاعية

توطئة:

تلفتنا جريدة «السفير» بعددها 9868 الصادر تاريخ 12/ 8/ 2004، صورة أمّ عراقية تنتحب أمام جثّة ابنها الذي استشهد في معارك مدينة الصدر، وتكشف عن صدرها حاسرة شقّتي الفستان بيديها. . . .

مشهد محزن اعتدناه في الأيام الأخيرة لكنه مدعاة للتوقف عنده: ليس لانه فقط يسجّل منحىً إنسانياً مؤثراً، وليس لانه عنوان لاخبار العنف والدمار وفقدان وافتقاد الأحبّة وهو مسلسل بدأناه في لبنان والآن نعيشه في العراق دون أن ننسى محطات الأزمة المستمرة في فلسطين لقد كانت هذه الأم الثكلى خارجة عن طورها وعن عقلانيتها وعن موروثها الذي يملي عليها «التستّر»: فتفتح صدرها وتمزّق ثيابها دون أن تنزع حجابها عن رأسها. هي الأم الحاضنة التي ربّته وأرضعته، تفقده الآن دون أن يتحقق حلمها بالعيش معه كبيراً وأن ترعاه ويرعاها. . .

وكم من مرّة شُبّهت الأم بالأرض، بالشجرة وهي متجذّرة بالتراب. . . وعندما تفقد أغلى ما عندها لا تأبه بالضوابط الأخرى التي يمكن أن تكون في صلبها وفي تكوينها عادة. . . ذلك أن أسى الأمومة الضائعة يبرّر الموقف الصعب الذي ليس من السهل تصوّره أو حتى الحديث عنه. . . إلا أن

ما يستوقفنا هو «رمزية» الموقف ودلالته الإجتماعية، فيغدو كمحطة إجتماعية تنظر إلى الحلال والحرام كسلّم متحرك تمليه الظروف والأحداث العنفية المتدرجة من القتل حتى التسامح والعكس.

يذكرنا هذا السلّم المتحرك بموضوع «العزوبة» وبخروج المرأة للعلم وللعمل وبقبولها كفرد غير متزوج دون شريك يحميها. فهل عزوبة الفتاة اللبنانية هو ظرف متحرك، أم أنه تطور ناجم، ليس فقط عن صعوبة الحياة الاقتصادية بل من الحياة العصرية المتطلبة والتي تمنع معها الاستقرار، أم أنه أيضاً وعي مستجدّ: تتعلم وتعمل لكن للحصول حصراً على شهادة وعلى عمل مأجور... والتحدي هو التوفيق بين النقيضين. فخبرة اتخاذ القرار أو المشاركة في اتخاذه وخبرة العمل لا يحققها التعليم وحده، ولا تحققها الوظائف المكتبية فقط، وإنما يحققها الانتماء لعمل فعلي منتج والممارسة للمسؤولية وللصلاحيات... وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال يتم في إطار الانفصال عن الرجل... «ولكن أن يكون العمل فيه في إطار التلاحم والزمالة، لا في إطار الاشراف والوصاية[1]» فتتزايد ظاهرة العزوبة وليس العنوسة لأن هذه الأخيرة تحمل في طياتها حكماً قيمياً وعزلاً للفتاة التي لم تتزوّج في البلدان النامية، خاصة تلك التي تعرضت لحروب أهلية، وتحدث في أوساط الرجال أيضاً ويمكن أن تتم بشكل اختياري.. والزواج يعني الأمومة وكلاهما «استحقاق إجتماعي»، عليه تصبح «عنوسة الإناث» ظاهرة غير منفصلة عن قضية المرأة وعن التحولات الإجتماعية الحاصلة، والإشكالية لا تُطرح هنا عبر الزواج أو الطلاق، وإنما عبر «اشكال مجتمعي»، مأزق حضاري معبّر يتلخّص في عنف المجتمع تجاه المرأة، ففي الوقت نفسه يراعي التحولات الحاصلة ويقبل بها قوة عمل أساسية في سوق العمل لكنه بتشريعاتهاالأسرية ما زال يتعامل معها على أساس أنها إنسان ناقص: «فاقدة الرجاحة والقدرة على التميز[2]».

---

(1) م. سليم وآخرون: المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلعات التحرر ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت 1999 ص 25.

(2) المصدر نفسه ص 160.

وفي الوقت الذي يُرفض فيه تعدد الزوجات ويُناضل فيه من أجل المساواة، يطالب حتى البعض من الجيل النسوي الجديد بالعودة، أما إلى الزواج المبكر أو إلى نظام التعدد في الزواج كأحد أساليب محاربة عزوبة الفتاة التي ارتفعت نسبتها في لبنان والبلدان العربية الأخرى. . . .

حتى أن الإحصاءاتات المتداولة (لكن غير المبنية على تعداد شامل) تؤكد ان الحرب اللبنانية هي التي انتجت هذه الظاهرة، وأن نسبة 60% من الإناث اللواتي عشن الحرب لم يتزوّجن وخضعت المرأة «الديناميات السوق» وتصاعدت قيمة المهور فنقول ان هنالك تغييراً في أدوار النساء لكن المواقع لم تتغيّر! وما هي التحولات الحاصلة في مفاهيم الزواج وتشكل بنى الأسرة إلا «واقع مزدوج» ينخرط في إطار الصراع على المكانة (السيطرة والمرجعية والتملك) فهل تغدو «العزوبة تمرداً» على توزيع الأدوار الإجتماعية وضد الجمود والنمطية الجنسوية إلى أي حد تتمكن المرأة من التفلت في تنشئتها الإجتماعية من سيطرة البنى الذهنية السائدة؟؟؟

إلى أي حد يمكن لهذه الظاهرة أن تحمل مؤشرات عنيفة رمزية لقضية المرأة بشكل عام ولواقع مجتمع لا ينفك يحمل في طياته فوقية ذكورية لم تحلّ حتى الآن وما زالت معيوشة ومهيمنة رمزياً حتى في القرن الواحد والعشرين؟؟؟

إلى أي حد يصح الربط بين الأمومة وبين الموقف من العزوبة؟؟؟

1. البنى الذهنية والتنشئة الإجتماعية:

. . . «طبعاً ستكونين سعيدة! ستصبحين سيدة عصرية ومتعلمة، ستجسدين حلم الوطنيين وستتعلمين اللغات الأجنبية، ستحرزين جواز سفر وتجولين العالم وتقرأين آلاف الكتب، سيكون مصيرك أفضل من مصير أمّك، تذكّري دائماً بأنني رغم كوني غير متعلمة وعانيت من وطأة التقاليد، نجحت في انتزاع لحظات قصيرة من السعادة في هذه الحياة الملعونة. ولذلك لا أريدك ان تفكري دائماً بالحدود والحواجز. أودّ أن تنشغلي أساساً بالتمتّع والضحك والسعادة، أنه مشروع يلائم فتاة طموحة مثلك».

هل نجحت قضية «المرنيسي» وحلمها بانطلاق نسوي عبر أجنحة؟؟

«ما عليك إلاّ أن تركزي بصرك على الدائرة السماوية التي تعلو البئر، هناك قطعة من السماء بوسعك النظر إليها لا تخفضي بصرك أبداً، ارفعيه عالياً وانطلقي لأن لك أجنحة[1]. . .».

هي تدعو الأنثى لاجتياز الحدود وتدعوها لتركيز انتباهها على اللغات الأجنبية وفهم «الأجانب»، عساها تقول في هذا الكلام أن ثقافة الآخر هي التي تساعدنا على الانفتاح بمعرفتها، والحدود هي حدود الواقع الثقافي وكافة سبل تنشئته الإجتماعية وما يتبعه من قانون ذكوري يمنح الرجال سلطة التحكم فيهن وهو قانون مكتوب، والعكس هو الصحيح في التقليد الشفوي[2]!

في التنشئة الإجتماعية، وفي مجتمعاتنا بالذات، تبرز حدود الجنسين على أنها الحدود الإجتماعية وأ ن الهوية الإجتماعية هي الهوية الجنسية. وتنعكس هذه الثقافة على أدوار المرأة ووظائفها ومركزها الإجتماعي ويبقى الزواج في هذه العقلية هي الحاجة الأساسية بينما كل الحاجات الأخرى كالتعليم والعمل تبدو ثانوية، وما هو إلا سبيل للصعود الإجتماعي شكلياً، وحده الزوج المناسب هو مصير الفتاة، غير أن أمها تلقّنها الخضوع والانقياد والعمل المنزلي.

ويتعزز هذا الاتجاه في كافة مؤسسات التنشئة الإجتماعية خصوصاً الإعلام الذي يعمل على تزييف وعي المرأة. . . انها القيم الموروثة، التي تفرز تغييرات نكوصية على حد تعبير «باقر سليمان النجار». . . . . . .

2. الأمومة:

الأمومة، اضافة إلى انها صلة رحم، هي وظيفة ثقافية تقليدية وكل تمدد في معناها هو تمدد لا يبتعد عن معاش الفرد. والأمومة هي أقوى الغرائز عند الإنسان.

---

(1) فاطمة المرنيسي: نساء على اجنحة الحلم ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت 2002 ص 8.

(2) م. سليم: المرجع السابق ص35.

هي التضحية وكفالة بقاء النوع، وهي دافع فطري مضاف إليه تفاعل مع «الإجتماعي» (التعلم الإجتماعي ينشّط دوافع الأمومة) و«النفسي» (الديناميات الواعية واللاواعية التي تحدد سلوكات الأمومة). هي «فرادة» يتحدث عنها «مصطفى حجازي» في كل حالة تتطلب معرفة دلالاتها والموقف منها كتجربة وجودية. . وانطلاقاً من هذه الرغبة يتحدد نوعية تطلع الفتاة العازب لعزوبتها.

وان كانت الثقافة الإجتماعية تمنح المرأة أعلى درجات التقدير والاحترام حينما تصبح أماً، فإن هذه الثقافة، برأي. «الغذامي[1]» تبادر إلى الغاء صفتي التقدير والاحترام عن شخصية الام حينما تجعلها «حماة» وهي صفة تشويهية لدور المرأة بوصفها أنثى متسلطة متحكمة تجيد لعبة الإنتقال بالأدوار و«تباغت» رفعة الأمومة فتقوض بنيتها وتشوّه جمالها. . . المرأة الحالية وعَتْ هذه المسألة فتعلقت بأمومتها أكثر من «حمويتها» وطورت وسائل وأساليب عطائها وحنانها وابدعت أمومتها، لكنها جعلتها اشتراطية كي تتوافق مع زمنها فنزعت صفة العمل (أحياناً) دون ان تنتزع صفة التعلّم فكانت مغايرة لتنميط امها، فما بين الهبة والتمايز تظهر براثن التهديد «وترويس» الأطر و«شد الحبلة» لمزيد من الحفاظ على المواقع الذكورية. وأيضاً على الايقاع والدوزنة، فنحن أمام ثنائية جديدة تدور حول (العطاء ـ المنع) / (الراحة ـ القلق) / (الازاحة ـ الغزو).

والقليل من مبحوثاتنا من وعى هذه المسألة ففضّل الاستقلالية عن الشراكة. أما الباقيات فربما كن يسعين إلى تأطير إجتماعي والى القبول بهذه الثنائية، لكن خيبات التجارب والحظ كما عبّرن عنه، كان خارج أطر الحسابات.

ذلك هو الطارئ خارج الحسبان، خارج التمكن والتمكين:

نسوياً وإجتماعياً!

3. مواصفات العينة:

---

(1) الغذامي: المرأة واللغة ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت 1996.

تشكلت العينة من 176 استمارة وألغيت 26 استمارة بسبب نقص المعلومات أو بسبب نوعيتها، كان هناك 150 مستجوبة، عزباء، بالتساوي ما بين المسلمات والمسيحيات، دون اعتبار الانتماء المذهبي عند الاختيار، وتراوحت اعمارهن ما بين 35 و50 سنة ويمكن تبرير اختيار هذه الفئات العمرية بالعودة إلى متوسط العمر عند الزواج الأول للإناث (28 سنة)، وتكون العينة بالتالي مؤلفة من مرشحات لزواج متأخر وعازبات بشكل نهائي (45 ـ 49 سنة) وشكّلت بيروت الادارية الإطار الجغرافي للدراسة وذلك في ربيع 2004[1].

3 ـ 1 توزع المستجوبات تبعاً للعمر

الفئة العمرية بالسنوات	35 ـ 39	40 ـ 44	45 ـ 49	المجموع
العدد	90	37	23	150
النسبة المئوية	60	24,7	15,3	100

جدول (1)

ويكون بالتالي متوسط عمر أفراد العينة 26 و40 سنة وهو يفوق بشكل واضح متوسط العمر عند الزواج الأول للمرأة في لبنان.

3 ـ 2 المستوى التعليمي

المستوى التعليمي	ابتدائي وما دون	تكميلي	ثانوي	جامعي	مهني	المجموع
النسبة المئوية	8,7	24,00	20,00	38,6	8,7	100

جدول (2)

يُلاحظ ان المستوى التعليمي لأفراد العينة مرتفع عن مثيله الذي سجّلته دراسة «الأوضاع المعيشية للاسر 1997[2]»، وتبيّن أنّهن تابعن دراستهن

(1) الدراسات التحليلية لنتائج مسح المعطيات الاحصائية للسكان والمساكن ـ وزارة الشؤون الاجتماعية ـ بيروت 2000 ص 460.

(2) الاوضاع المعيشية للاسر: عام 1997 ادارة الاحصاء المركزي ـ شباط 1998 ـ ص132.

مناصفة تقريباً ما بين قطاع التعليم الرسمي والخاص، كما ان ثلثي أفراد العيّنة تقريباً تابعن دراستهن في مدارس مختلطة مقابل 24% منهن تعلّمن في مدارس للإناث.

3 ـ 3 توزيع المستجوبات تبعاً لنوع المدرسة (بالنسب المئوية)

نوع المدرسة	النسب المئوية
مختلطة	64
غير مختلطة	24
غير محدد	12
المجموع	100

جدول (3)

3 ـ 4 النشاط الاقتصادي

تبين ان من بين خمسة نساء من العينة، هنالك أربعة يمارسن نشاطاً اقتصادياً، وغالبيتهن (83%) يعملن في القطاع الخاص.

وقد غطت المهن التي يزاولنها دائرة واسعة من النشاطات نتوقف عند الابرز فيها:

المهنة	العدد
ـ معلمة	38
ـ محاسبة	20
ـ بائعة Vendeuse	18
ـ سكرتيرة	17
ـ خياطة	12

تجدر الإشارة إلى فئة العاملات في مجال المحاسبة (16% من العاملات) كونها أتت في المرتبة الثانية بلائحة المهن المزاولة وتقدمت على ما يعرف تقليدياً «بالمهن الانثوية»؛ كما شملت لائحة مهن أفراد العيّنة المحاماة والصحافة والهندسة و. . . «سيدة أعمال»

3 ـ 5 مستوى دخل العاملات (ألف ليرة لبنانية)

فئة الدخل ل.ل.	العدد	النسبة المئوية
300 ـ 400	12	9,84
400 ـ 600	29	23,77
600 ـ 900	42	34,42
900 ـ 1200	11	9,01
1200 ـ 1500	10	8,20
1500 ـ 3000	12	9,84
غير محدد	6	4,92
المجموع	122	100

جدول (4)

تبيّن معطيات هذا الجدول ان أعلى نسبة تمركز لاجور أفراد العيّنة العاملات كانت في الفئة ما بين 600 و900 ألف ليرة لبنانية، وبلغ متوسط دخلهن الشهري حوالي 891 ألف ليرة لبنانية، أي بما يفوق المتوسط الوطني للاجر الشهري للمرأة (568ألف ليرة لبنانية) ويزيد حتى عن المتوسط الوطني لدخل المرأة (622 ألف ليرة لبنانية)[1].

3 ـ 6 وباعتقادنا ان هذه الميزة ـ الدخل المرتفع نسبياً، تشكّل تعزيزاً لارتباط الفتاة العازبة بأسرتها، دعماً والتزاماً ومسؤولية، ربما كافتراض، شكلاً معيقاً أمام فرصة زواج أو عماً اختيارها لعزوبيتها.

وسنحاول فيما يلي رسم صورة المنشأ الاسري لمجموعة دراستنا.

ـ مقارنة المستويات التعليمية لمجموعة الدراسة والاهل (بالنسب المئوية).

(1) الوضع الاجتماعي الاقتصادي في لبنان: واقع وآفاق. وزارة الشؤون الاجتماعية 2004 ـ ص 132 ـ 133.

المستوى التعليمي	مجموعة الدراسة	الاباء	الامهات
ابتدائي وما دون	8,7	48,0	53,3
تكميلي	24,00	22,7	25,3
ثانوي	20,00	12,7	14,0
جامعي	38,6	12,7	3,3
مهني	8,7	2,0	1,3
غير محدد	-	1,9	2,7
المجموع	100	100	100

جدول (5)

تؤكد هذه المعطيات ما سبق وأشارت إليه دراسات عديدة[1] حول تراجع معدلات الامية مع الاجيال، والاهم ارتفاع معدلات الالتحاق الدراسي، خاصة عند الإناث، حيث تزيد معدلاتهن أحياناً عن مثيلاتها عند الذكور في متابعة التعليم العالي. فإذا اعتبرنا ان فئة «ابتدائي وما دون» تشير وربما عن حق، إلى الاميين أو أشباههم، نجدها تمثل النصف أو ما يزيد عن الأهل مقابل 8,7% من المستجوبات؛ بالمقابل، فإن مستوى التعليم الثانوي والجامعي شكل عند الاخيرات ما نسبته 58,7% مقابل 25,4% من الآباء و17,3% من الامهات.

3 ـ 7 الحالة الإجتماعية للاهل (بالنسب المئوية)

الحالة الإجتماعية للأهل	زواج قائم	إنفصال	وفاة الأب أو الأم	وفاة الاثنين معاً	المجموع
النسبة المئوية	50,7	1,3	35,3	12,7	100

جدول (6)

(1) الدراسات التحليلية لنتائج مسح المعطيات الاحصائية للسكان والمساكن، والوضع الاجتماعي الاقتصادي في لبنان ودراسة الأوضاع المعيشية للاسرة. . . .

تبين معطيات هذا الجدول ان نصف المستجوبات ينتمين إلى أسر ما زال فيها زواج الأهل مستمراً؛ أما ما يفرض التوقف عنده، هو ندرة حالات الانفصال (حالتان فقط) مقابل ارتفاع حالات الترمل (53 حالة).

4. مؤشرات العنف الرمزي:

4 ـ 1 الشقيقة الكبرى

لدى سؤالنا عن وجود شقيقة أكبر من المستجوبة وإذا كانت عزباء أو متزوجة، توزعت الاجابات كالتالي:

	العدد	النسبة المئوية
عزباء	12	8,0
متزوجة	74	49,3
لا جواب	64	42,7
المجموع	150	100,0

جدول (7)

برزت 50% من الاجابات كانت الاخت الكبرى فيها متزوجة، والغريب ان هناك 42,7% رفضن الاجابة عن هذا السؤال وتحفظن، لماذا؟ نظن ان هناك علاقة بين المستجوبة وبين اختها الكبرى أو الصغرى لكن المتزوجة لا تريد ان تفصح أو أن تعلن عنها... وربما يعود ذلك إلى نوع هذه العلاقة بين الاختين بعد الزواج الذي يشرعن السيطرة والمساءلة ويتجاوز التراتبية الأسرية. فتتحول العلاقة الخفية إلى شكل من أشكال الضغط الإجتماعي غير المعلن بصراحة، رغم ان هذا السؤال (الذي ورد في الاستمارة تحت الرقم 23) هو سؤال طُرح بهدف التعبير عن وضعية معينة ولا يحمل معنى الاحراج من حيث المبدأ...

4 ـ 2. المساهمة الاقتصادية داخل الأسرة:

إذا كنت تعملين، هل تساهمين بمسؤوليات ما تجاه الأسرة أو احد أفرادها؟

	العدد	النسبة المئوية
نعم	94	62,7
لا	36	24,0
لا جواب	20	13,3
المجموع	150	100,0

جدول (8)

هناك 62,7% من المستجوبات ساهمن اقتصادياً بمسؤوليات تجاه الأسرة مقابل 13% رفضن الاجابة؛ مما يتضح ان الموروث الإجتماعي الذي لا يلزم أساساً الأنثى بمسؤوليات اقتصادية اتجاه الاهل قد تم اختراقه هنا، مما يوحي بأنها طالما تعمل ولم تتزوج فلتشارك إذاً طالما لم تتمم كامل واجباتها الأسرية.

وربما يمكن ادراج ذلك في إطار العنف المجتمعي الاختياري القمعي. وهي مقولة نتأكد منها من خلال السؤال رقم 21 الذي يطرح إشكالية السكن مع الاهل حيث تبيّن ان 94% من المستجوبات كن قد سكنّ مع الاهل.

ويأتي ذلك في إطار التعبير عن ضغوطات إجتماعية تظهر عبر مستويين اثنين: المساهمة الاقتصادية وعدم التمتع بالحرية أي الرضوخ للضوابط الإجتماعية الأسرية.

السكن مع الاهل

	العدد	النسبة المئوية
سكن مع الأهل	141	94,0
سكن مستقل	9	6,0
المجموع	150	100,0

جدول (9)

4 ـ 3. الموقف من الزواج:

يمثل الزواج بالنسبة للمستجوبات العازبات الراحة، الاستقرار (نسبة 62%) تليها المسؤوليات (29%)، ولم يعن أمر الإنجاب (الأمومة) كثيراً في العينة، وربما كانت صادقة دفعها التغيير الحاصل وربما يكون عن سبق عمد واصرار في عدم تبيان مكنونات لا يمكن ان يؤدي شرحها إلاّ إلى وضعية دونية وقسرية.

	العدد	النسبة المئوية
راحة واستقرار	62	41.3
إنجاب الأطفال	7	4.7
مسؤوليات	29	19.3
قيد	13	8.7
راحة واستقرار+إنجاب أطفال+قيد	6	4.0
إنجاب الأطفال + مسؤوليات	4	2.7
راحة واستقرار + مسؤوليات	9	6.0
راحة واستقرار+إنجاب+ مسؤوليات	3	2.0
مسؤوليات + قيد	6	4.0
راحة واستقرار + إنجاب أطفال	10	6.7
راحة واستقرار + قيد	1	.7
المجموع	150	100.0

جدول (10)

وحول الموافقة على زواج حالي وافقت نسبة 84% من المجموعة وبمختلف فئاتها العمرية على عرض «زواج حالي»، مما يعني ولدى الربط: ازدواجية الفكر والتصرف وهي اعتبارات ذاتية مغلفة باعتبارات عائلية إجتماعية ربما تصل إلى حد انهن يرون ربما ان التزاماتهن الاقتصادية الأسرية تقلل من فرص الزواج.

الموافقة على زواج حالي

	العدد	النسبة المئوية
نعم	126	84,0
لا	23	15,3
لا جواب	1	0,7
المجموع	150	100,0

جدول (11)

وطالما نتحدث عن الموقف من الزواج، ندرج الاجوبة التالية التي تتعلق بالاتجاهات وبالدوافع السائدة التي تبرز صورة الشريك.

ـ الزواج من رجل من طائفة مختلفة

	العدد	النسبة المئوية
نعم	29	19,3
لا	116	77,3
لا جواب	5	3,4
المجموع	150	100,0

جدول (12)

حيث ان خمس العينة فقط وافقن على الزواج من رجل ينتمي إلى طائفة مختلفة.

ـ الزواج من الاكبر أو الاصغر سناً

لتبيان مسألة الضغط الإجتماعي الذي يمكن ان ينجم عنه عنف إجتماعي يؤدي إلى عنف فردي فإننا نضع مسألة الزواج من الاكبر والاصغر سناً في هذا الإطار. وهذا ما عبّر عنه الجدولين التاليين:

حيث أن 70% يقبلن بالزواج من رجل يكبرهن سنّاً مقابل 27% يرفضن هذا النوع من الزواج، في حين ان حوالي 10% يقبلن بالزواج ممن

يصغرهن سناً بنسبة مقابلة وصلت إلى 86% رفضن هذا الامر.

	العدد	النسبة المئوية
نعم	105	70,0
لا	41	27,3
لا جواب	4	2,7
المجموع	150	100,0

جدول (13)

الزواج من رجل أكبر سناً.

ـ الزواج من رجل أصغر سناً

	العدد	النسبة المئوية
نعم	16	10,7
لا	129	86,0
لا جواب	5	3,3
المجموع	150	100,0

جدول (14)

ـ هل أنت بعدم زواجك نادمة / سعيدة؟

	العدد	النسبة المئوية
سعيدة	29	19,3
نادمة	15	10,0
لم يكن الأمر بيدي	101	67,3
نادمة + لم يكن الأمر بيدي	1	0,7
لا جواب	4	2,7
المجموع	150	100,0

جدول (15)

«لم يكن الأمر بيدي» هي تلك الاجابة الأهم 67%.

أما إذا جمعنا هذه الاجابة مع «نادمة» التي ظهرت بنسبة 10% مما يؤكد ان 77% من المجموعة أي أكثر من 4/ 3 المستجوبات كان عدم زواجهن فيها غير متأتٍ من خلال اختيار شخصي حر!!

أخيراً، تجدر الإشارة إلى ان هذه الدراسة الاستطلاعية ساعدت في بلورة الإطار النظري وفي صياغة أطر الدراسات الميدانية الأخرى.

* التقنيات والتطبيق الميداني:

ساعدت الدراسة الاستطلاعية في تحديد مسار البحث وفي اختيار التقنيات[1] وذلك استناداً إلى المقاربات المعتمدة والى خيارات التقصي أيضاً.

1. الاستمارة (انظر القسم الخاص بالدراسة الاستطلاعية)

2. المقابلات نصف الموجهة (وجهاً لوجه):

2 ـ 1. مع المراجع الدينية للطوائف المسيحية والاسلامية بهدف رصد الفعل وردّ الفعل الديني عليه، حول وقائع علائقية أسرية (عنف زوجي). ونلفت النظر إلى أن القضاة الشرعيين تجاوبوا في كثير من الأحيان مع المستجوبين خاصة إذا ما استنتجوا انهم من دين مختلف، وذلك لكي يشرح للآخر جوهر دينه وكيفية حجبه للعنف.

3. المقابلات الجماعية التي ساعدت على قياس الاتجاهات التي تتعلق بالعنف المجتمعي وأثره على العنف الشخصي. ولقد انقسمت بدورهان إلى قسمين:

3 ـ 1. مع مراهقين من اوساط إجتماعية مختلفة، يجمع بينهم العمر والصف والتوجه والإعلام، بهدف رصد سلوكهم الناجم عن التأثر بظاهرة تلفزيون الواقع كظاهرة مفروضة إعلامياً وتعمل على تغيير الاتجاه حتى داخل

(1) لمزيد من المعرفة عن العينة أو العينات المختارة، فإننا ننصح بالعودة الى الشق الميداني حيث تم توضيح كل النقاط المنهجية وتحديداً العينة الخاصة بكل مرحلة....

مؤسسة الأسرة، فترسي سلوكاً رافضاً أو متحدياً للقيم الإجتماعية السائدة. ويمكن القول ان هذه المقابلات الجماعية تعرّضت لقيم أخرى متغيرة مسرعة إلى المراهق عبر تلفزيون الواقع أو غيره (الموضة ـ الرفاق ـ الاختصاص إلخ. .)

3 ـ 2. مع اسرى محررين من السجون الاسرائيلية لرصد أثر العنف السياسي (المدان) على العنف الشخصي (المشرّع) وما يتركه من آثار وذكريات غيّرت معالم شخصية المعتدى عليه وسطرت هوية جديدة له.

وتجدر الإشارة إلى ان هؤلاء الأسرى المحررين استجابوا بسرعة إلى هذا اللقاء وتسارعوا اثناءه إلى البوح عن تجارب قاسية سواء كان على الصعيد الجسدي أو على الصعيد النفسي (كنتيجة للأولى) أو حتى بأمور تتعلق بالحميمية لديهم.

4. تحليل مضمون رسومات الأطفال كتقنيات اسقاطية تدخل في صلب اللاوعي الفردي، ولقد قُسمت إلى قسمين:

4 ـ 1. رسومات لتحليل العنف الاسري (ناجم عن حوادث أسرية: طلاق ـ خلاف إلخ. .)

4 ـ 2. رسومات لتحليل العنف السياسي (جريمة اغتيال: الرئيس الحريري إلخ. .)

5. دراسة الحالة وقد رصدت حالات عنف متنوعة تمكنا من خلالها إلى دخول تفاصيل هذه الحالات وملاحظة تصرفاتهم وسلوكهم وردود فعلهم والوقوف على آرائهم الناجمة عن العنف المُعاش. وتهدف دراسة الحالة إلى العبور من الخصائص الخارجية للحالة إلى المضمون الباطني للحالة نفسها.

حالات عنفية متنوعة سير ذاتية شاهدة لا تحصل فقط في الاماكن الخاصة لكنها تتم أيضاً في مواقع وأماكن عامة، يكون ضحيتها المرأة والطفل وآخرون. .

6. تحليل المضمون: وثائق ومستندات سمعية ـ بصرية تمحورت حول الإعلام وتلفزيون الواقع والفيديو كليب وأيضاً الإعلام السياسي.

7. الملاحظة: وهي تقنية مساعدة ساهمت في بلورة وفي استخراج الحالات العنفية المتنوعة وفي رسم صور للعلائقيات.

8. التوثيق لبعض المستندات والمقالات التي رصدناها في الصحف حول مواضيع إعلامية وسياسية آنية. ويمكن القول ان الوثائق السياسية كانت تجمع مباشرة بعد كل حدث عنفي حصل في الحياة اللبنانية العامة والتي أثّرت على الجماعات بشكل عام.

* مراحل تحقيق الدراسة ومنهجيتها

كان البدء بالدراسات المرجعية والكتب المتخصصة التي تدور حول فكرة البحث وباللغات الثلاثة: العربية والفرنسية والانكليزية.

وأضفنا إليها وثائق متعددة حصلنا عليها من جامعة مونتريال في كندا ومن جامعة Lyon في فرنسا، كما استعنا بالتقارير الرسمية للمنظمات الحكومية والأهلية.

ونظراً إلى ان هذا البحث هو بحث ينطلق من الواقع فإننا ركزنا على الصحف اليومية التي تصدر تباعاً في لبنان مستفيدين من أهم ما يصدر فيها من أخبار عنفية (تتناول العنف) ومن مقالات ومواقف ترصد هذا الواقع الذي يعبر العام إلى الخاص..

ثم تم المفروض تنفيذه من دراسة استطلاعية مضافة إلى تنظيم وإعادة تنظيم موسع ومفصّل لمنهج دراسة الحالة، فتم إلحاقه بتقنيات أخرى مرفدة حيث ان الحقل والافكار التي انبثقت من الدراسات المرجعية ومن الدراسة الاستطلاعية ساعدت إلى حد بعيد بتحديد أو باستنباط أو بتغيير التقنيات.

بعدها قمنا بتنفيذ الدراسة الميدانية وبمراحلها تباعاً لما جاء في الفقرات التي سبقت، وتم تنفيذ الخطة الأساسية لبناء المقابلات الفردية والجماعية ولأسس دراسة الحالة، وهي مرحلة جمع المعطيات. بعدها انتقلنا إلى معالجة المعطيات وهي معالجة كمية ونوعية تبعاً لنمط كل تقنية وتبعاً للمحاور الأساسية التي طرحت فحللت استناداً إلى الإطار النظري للدراسة. فكان

تفسير النتائج والتركيز مجدداً تبعاً للضرورة الظرفية إلى وثائق تتناول فكرة العنف السياسي والإعلامي.

وتجدر الإشارة إلى ان تأهيل مساعدي البحاثة كانت قد سبقت الدراسة الاستطلاعية، وهي فترة كانت تمتد أحياناً وتبعاً لبعض التقنيات خلال كامل مرحلة التقصي الميداني لمتابعة كل المستجدات ولتحسين الاداء السيكولوجي عندهم ولتقويم ردود فعلهم.

ولقد كانت تقنية المقابلة الجماعية هي من أكثر التقنيات التي استلزمت وقتاً أكثر من غيرها، في عملية التدريب، نظراً لدور المنشط في كل مرة، وللعمل على استبعاد الاواليات الاسقاطية Projection وعمليات التثبيت Fixation النفسية، مما استدعى تواجد أكثر من منشط في كل حلقة.

أما في التقنيات الاسقاطية (كيف رسم الطفل اسرته وجريمة الاغتيال) فقد تلت المقابلة الجماعية من حيث دقتها وضرورة متابعة فريق التحقيق.

ونلفت النظر مجدداً إلى ان تفاصيل العينة بل العينات لم يتم في هذه المقدمة نظراً لتنوعها، لذا فهي ستقدم تباعاً مع كل مرحلة من الدراسة الميدانية خاصة وان كل مرحلة فيها تناولت تقنية معينة.

* **الصعوبات التي واجهت الدراسة**

هنالك صعوبة أساسية رافقت الدراسة بكل مراحلها وهي:

1. «التعبير: تعبير المبحوث واجتيازه لحالة الصمت إلى حالة العلن، خاصة في الحالات. ويمكن القول ان موضوع العنف هو موضوع مُعاش لكنه غير معلن، ما زال الحديث عنه يدرج في إطار المحرمات وقواعد الضبط الإجتماعي إذا ما كان عنف جنسي أو حتى سياسي.

إلا أنّ مسلسل الإغتيالات وجو الإرهاب والقلق الذي سيطر مؤخراً، والهجمة الواسعة لوسائل الإعلام لاعلاء شأن الكلمة، غيّر بعض الاجواء الصامتة.

2. اختلط العنف المشرّع بالعنف المدان في هذه المرحلة، إذ كيف ندين عنفاً للدفاع عن النفس وكيف نشرّع عنفاً يقتل؟!! إلخ. . . .

من التناقضات المعاشة التي طرحت الكثير من التساؤلات؛ هل ان كل عنف مشرّع هو غير مدان؟ وهل ان كل عنف مدان هو عنف غير مشرّع؟ ما هي الحدود الفاصلة بينهما؟. . . .

لحل هذه المعضلة كان اللجوء إلى فكرة أساسية انطلق منها البحث، وبلورتها أبحاث المؤتمرين (مؤتمر ليون ـ تموز 2005 ومؤتمر بيروت ـ تشرين الثاني 2005) وهي ترتكز، ليس فقط على دورة العنف بل على سوسيولوجيته، أي ان المنبع الأساسي للعنف هو إجتماعي (نشرّعه ام ندنيه. .)، كما ان أي عنف إجتماعي لا بد من ان ينعكس على النفس البشرية. جدلية العنف هذه تعيد مسألة الشرعنة والادانة إلى المرجعية القيمية التي ربما تقبل بالعنف تبعاً للظرف أو للمكان أو للجندر حتى لو كان المنطق أو شرعة حقوق الإنسان لا تقبلان به. . .

3. ارتبطت الصعوبة الثالثة بسابقتها ويمكن تلخيصها بإشكالية التنقل ما بين العام والخاص: العنف في الحياة اليومية العامة، والعنف في الحياة الخاصة والحميمية. وتفصيل ذلك انه ومن حيث المبدأ فإن النسق المكبر macro-Système لظاهرة عنفية محددة لا بدّ وأن يدخل في علاقة تأثر وتأثير بالنسق المصغر micro-système؛ إمكانية الولوج هذه ليست بالبساطة التي نعتقدها وهي تلقائية لكنها غير مباشرة؛ وللقيام بها فإن ذلك تطلب آلية محددة ومتدرجة مما اضطرنا إلى توسيع دائرة العمل الحقلي تدريجياً، وإعادة النظر بالكثير من التقنيات التي طرحت في أول البحث وفي تطوير مسألة التقابل والتركيز على دليل للمقابلة استناداً إلى نظرية grounded theory.

كما ان الإستمارات الأولية التي خصصت للدراسة الاستطلاعية كانت المدخل الذي ساعدنا في رصد العنف المجتمعي بالكثير من أوصافه وأوضاعه، ومن ثم تصنيفه عبر الحالات العنفية والمعبرة لدراسة المستوى السيكولوجي لظاهرة العنف هذه.

4. ظهرت مشكلة التعبير عن «المخفي» عن الذي «لا يقال» كمشكلة أساسية في موضوع التهجير، إذ فضّلت الأكثرية عدم التكلم أو التكلم بصعوبة وارتبطت المسألة بالآخر وبقبوله أو عدمه وذلك بالمطلق وهي دراسة تنشر لاحقاً.

تلك الصعوبة كانت تفرض زيارة الحقل لمرات عديدة ومتتالية لرصد التطور ولبعض الايضاحات واحياناً أخرى لإجراء مقابلة لم تتم....

وهذا ما فرض بدوره ضرورة مراقبة فريق المحققين ومتابعته بأدق التفاصيل لتجاوز مشكلة «استعادة التجربة» لدى استذكارها أثناء المقابلة، وهو أمر اعترض أيضاً النساء المعنفات...

إلا أن الأمر كان معكوساً بالمطلق لدى مقابلة الأسرى المحررين حيث شكلت «استعادة التجربة» بالنسبة لهم القوة والبطولة....

وفي مواجهة ملحمية مشرّعة مع الآخر...

القسم الأول

أطر نظرية لعبور العنف
من الحياة اليومية العامة
إلى الحياة الحميمة العلائقية

الفصل الأول

مقاربة بسيكوسوسيولوجية للعنف

1 ـ مقدمة

2 ـ ماهية العنف

3 ـ أنواع العنف

4 ـ في نقد ثقافة العنف

5 ـ في مفهوم التدخّل والوساطة

6 ـ خلاصة: التصنيع والتكنولوجيا: معبر ما بين العالمي / المجتمعي والشخصي: العنف المكاني

1 ـ مقدّمة

بالأمس القريب مات «هشام شرابي» تاركاً وراءه صرخة مدوّية تطال وضع المرأة العربية والظلم الذي تعانيه بسبب الهيمنة الذكورية مجسّدة عبر سلطتها الأبوية محمّلاً المثقّف العربي مسؤولية كبرى، فهو لا يوحّد المفاهيم مع زملائه وينتهي الأمر إلى نقاش غير هادف ونعود ننطلق كل مرّة من الصفر: تعدّدت الخطابات وآليات القهر ـ وإن تنوّعت ـ فهي واحدة...

يرى «شرابي» أنّ مجتمعاتنا العربية لا تزال خاضعة للإساءات الناتجة عن «البطركية» «وهي نوع من الهيكلية النفسية والإجتماعية التي تميّز علاقات القوة والسيطرة في المجتمع يحتلّ فيها الرجل مكانة عليا تسمح له بالهيمنة». استطاع الغرب وتبعاً لشرابي ـ رغم مواقف عنفية عديدة ـ تخطّي هذه المرحلة بواسطة التحديث المنهجي الذي لا يتوقّف، وهذا ما طوّر العلاقات الإجتماعية والسياسية وغيّر بطريقة جذرية الذهنية الغربية والأوضاع النفسية في المجتمع قبل انتهاء القرن التاسع عشر، وهذا ما لم يحصل في عالمنا العربي. فعلى الرّغم من محاولات التحديث فيه وتقليده للغرب، فإنّه لا يزال يخضع للبطركية التي أدّت إلى تكبيل المجتمع وعدم دمقرطته...

وأول ما يمارسه المجتمع العربي هي «همجيّة الإختلاف» في النظرة إلى المرأة لأنّها مربوطة بالمباشر، بالجنس والشرف وبالبكارة (إشارة منه إلى جرائم الشرف). ممّا يؤدّي إلى ظلم لها وإلى حرمانها من حقوقها المدنية والإستقلالية الإقتصادية...

وهنا لم يخض هشام شرابي في مظاهر العنف الجسدي أو اللفظي أو الإقتصادي أو الجنسي أو غيره ـ ونحن نؤيّده ـ بل طال العنف بشمولية لا بدّ لنا منها. ونحن نعبر من العنف المجتمعي إلى العنف الذي يطال كافة أوجه الحياة اليومية الحميمة وغير الحميمة وعبر آلية المجتمع بغضّ النظر عن عناصرها... التفصيلية... إلا أنّها آلية تستمزج الثقافة والثقافة تستمزجها عبر منمطات أبت التخاذل والتراجع حتى مع الصّور الجديدة التي تآخت مع سابقاتها القديمة فكانت هذه المشاهد التي نختار تقديمها كما هي وكما جاء في نهار 29/ 11/ 2004 حتى عنوان «مشاهد لبنانية»:

مشاهد لبنانية
(النهار 29/1/2004)

بدا لبنان الجديد في كل صورته البهية في تلك السهرة العائلية في إحدى المناسبات الإجتماعية:

الكاميرا الآن في حديقة منزل العائلة الكبيرة تتنقّل الآن بين وجوه الزوجات الشابات من مختلف الجنسيات وهنّ يلاعبنّ الأولاد.

زوجات روسيّات وإسبانيات وفنلنديات وإيرلنديات وفرنسيات. تتداخل اللغات واللهجات وتكسر اللغة العربية على مسمع من الجميع ولا أحد يسأل أو يهتم.

تدخل الكاميرا إلى الصالون الكبير وتبحث من خلال دخان الأراكيل عن وجوه العائلة الذين يتحدّثون عن الإنتخابات النيابية المقبلة وترتفع أصواتهم حادة واضحة حين يقرّرون أنّ على المسافرين من أفراد العائلة أن يكونوا في لبنان خلال ذلك الموسم، احتراماً لسعادة النائب المرشح ووفاء لفضله ويترحّمون على والدهم الذي كان سعادة والد النائب بستشيره في كل كبيرة وصغيرة.

ثم تنتقل الكاميرا إلى الصالون الصغير حيث تجلس النساء الكبيرات اللواتي يشربن القهوة وهنّ يستعدن تفاصيل رحلاتهن المكوكية إلى البلدان التي يقيم فيها أبناؤهنّ وبناتهنّ، ثم ينتقلن إلى المفاضلة بين «أنواع» خادماتهنّ ومستوى ذكاء كل منهنّ، ويطلبن الرحمة لحمواتهنّ اللواتي أفنين العمر والجسم في الغسيل والتنظيف ورعاية الأولاد.

وتنهي الكاميرا جولتها في المطبخ وملحقاته حيث الجنسيات الدنيا: فيليبينيات وسرلنكيات وأثيوبيات وهنديات يتقاسمنّ العمل في صمت ويتوزّعنه كما أمرن وبحسب مستوياتهنّ.

وينتهي الفيلم البرج البابلي بنسخته اللبنانية في غرفة الجلوس الشتوية، حيث تنظر الكاميرا إلى صورة جد العائلة بطربوشه المائل وحاجبيه المعقودين وشاربيه المعكوفين، وإلى صورة زوجته على الحائط المقابل بغطاء رأسها التقليدي ونظراتها الحية وابتسامتها الدافئة.

... كل الخطايا المميتة التي ارتكبتها تلك المرأة لم تشعرها بالذل والمهانة اللتين شعرت بهما يومذاك.

فلو أساءت إلى المحبة وهي الوصية الأولى لقالت أنّها تستحق تلك النظرات الغاضبة، لكنّها مذ بدأت بتناول الحبوب المهدّئة وهي تشعر بسلام داخلي وحب غريب حيال كل الناس والكائنات والحياة.

ولو استسلمت لرغبات الجسد ومالت مع ميوله لقالت إنّ ما يصيبها الآن قليل بالنسبة إلى ذنبها، غير أنّها منذ زمن لا تذكر أوّله وهي تحمّل جسدها عبئاً ثقيلاً كحمار ينوء تحت ثقل ما يحمله وينتظر بفارغ الصبر أن يريحه صاحبه منه.

ولو تسبّبت بأذيّة أحد الناس عمداً وعن سابق تصوّر وتصميم لهان عليها الأمر ولقالت أنها تستحق العقاب مهما كان قاسياً وشديداً.

إلا أنّ كل ما فعلته هو أنّها تكلّمت مع إبنة أختها المراهقة باللغة العربية في معرض الكتاب الفرنسي. جملة واحدة لا غير في خضمّ الإزدحام والضجيج كانت كافية ليحل صمت تام يشبه ذاك الذي سيطر على بعض المناطق اللبنانية يوم تحدّثت فيروز مع فريدبريك ميتيران باللغة العربية، وهو صمت يشبه أيضاً السكوت الرهيب الذي يسبق لحظة الدينونة. جملة واحدة سمعها الجميع فسكتوا وهزّوا الرؤوس استنكاراً ثمّ أحنوها خجلاً وهم يتساءلون عن سر تلك المرأة الغريبة. لكن إبنة أختها أنقذتها مع كل ذلك، أو هكذا ظنّت، حين شدّتها بردائها إلى الخارج لتنهال عليها لوماً وتأنيباً.

وعبثاً حاولت الخالة الخاطئة أن تدافع عن نفسها، فالفتاة المحرجة لم ترض بالعودة إلى المعرض وصمّت أذنيها عن سماع خالتها وهي تقول: صحيح يا صغيرتي أنّ هؤلاء يتكلّمون باللغة الفرنسية لكنّ اللغة الفرنسية لم تجعل كثراً منهم أقل جهلاً ولم تحرّرهم من العصبيات العائلية والطائفية والمذهبية والعنصرية، ولم تجعلهم يحملون الكتاب في الباصات والحمامات والمنتزهات، ولم تمنعهم عن رمي النفايات على الطرق أو عن مراقبة الآخرين وإزعاجهم، ولم تعلّمهم احترام حريّات الآخرين والقبول بالإختلاف والتنوّع، ولم تنقل إليهم عدوى الإنفتاح والثقافة والجدّية في العمل واحترام الأنظمة والقوانين ولم تدفعهم إلى التعلّق ببلادهم ولغتها كما يتعلّق الفرنسي ببلاده ولغتها.

كانت الخالة تتكلّم باللغة العربية وابنة أختها الغاضبة تقاطعها باللغة الفرنسية طالبة منها الإبتعاد عن هذا المكان قبل أن يراهما أو يسمعهما أحد أصدقائها.

2 ـ ماهية العنف

يمكن تعريف العنف من فرد لآخر بمحاولة تسلّط متزايدة يفرض خلالها أحدهم (ومن موقع إحساسه بقوّته) مراقبة وضبط الآخر ومستخدماً وسائل ضغط متنوّعة تحافظ على حالة دونية وتجبره على تبنّي مواقف وسلوكات مطابقة (أو تتطابق) مع توجّهاته الخاصة ورغباته!

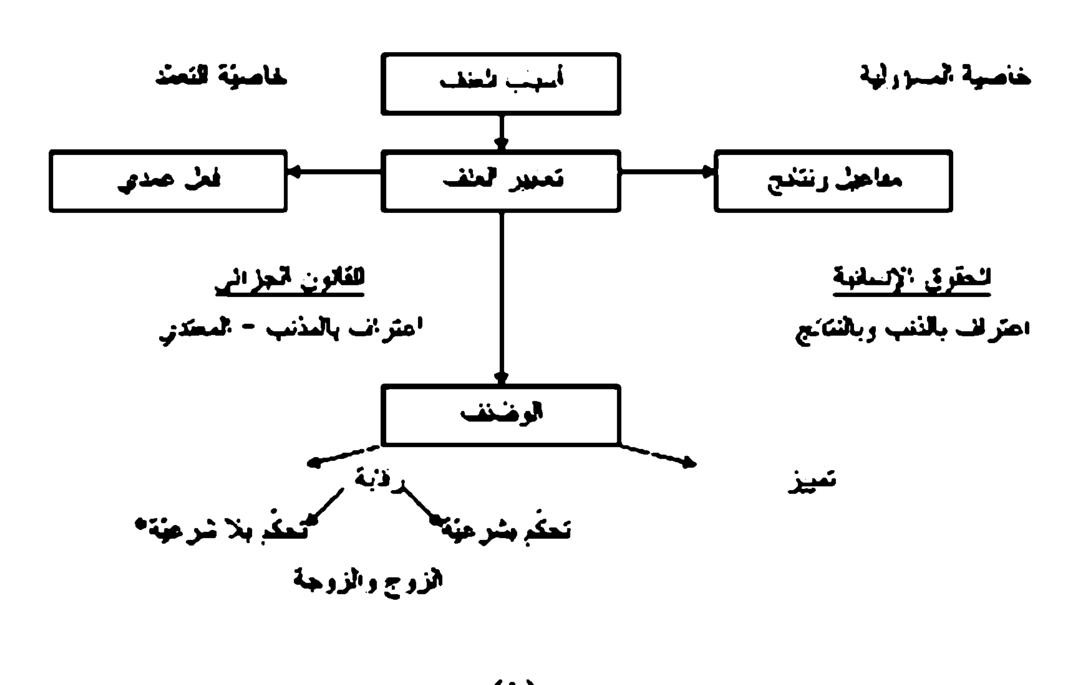
(S. Thibault et autres: Rapport d'activités 2002-2003 cri-viff - Avril 2003 Quebec).

وفي العنف المنزلي وهو حالة عنف مؤسساتية violence institutionnelle لا ترتبط بوقائع خارجة عن الرقابة الذاتية، بل هي فعل تسلّطي رقابي يحمل همّ وحاجة إقامة علاقات غير متوازية وضاغطة وقمعيّة. وهي نفسها ـ في حالة العنف الموجّه ضدّ النساء التي تستخرج فعل «الضبط» للحفاظ على وضعية «الدرجة الثانية» في إطار سياسة إجتماعية عامة تؤكّد التضامن والتعاضد مع السلطة الأبوية التي ترتشف روحية الدولة «Etat» (Préoccupations en émergence dans la pratique et la recherche en violence-criviff - Actes des séminaires á cap-de-la-Madelaine - Mars 1994).

العنف هو اعتداء موجّه نحو الآخر بكلّيته ولقد عرفناه بأشكال متعدّدة منذ قيام الخليقة وعبر الأساطير والمعتقدات... وهو الآن يرتبط بمفهوم العلاقة (بالمفهوم العلائقي) وما يعرفه من تطوّرات.

ويربط F.X. De Guibert وJ.A. d'ornano في كتابهما حول أصل العنف الحديث (Essai sur l'origine de la violence contemporaine - O.E.I.L. Paris 2003) أصول العنف بالهجرة التي ازدادت من الريف إلى المدينة في السنوات الأخيرة، والذي قلب علاقات الناس عبر الزمان والمكان، فالعنف برأيهما هو عنف مديني: فاعلوه وضحاياه هم على السواء من ناس المدن الذين فقدوا خيط التواصل فجأة. إنّ العنف هو سلسلة علاقات نبذ واستبعاد واستثناء exclusion عبر سلخه كلّياً عن كل ما يحيط به وكأنّ الخيط الذي يجمعنا بالحياة قد انكسر فجأةً. ويمكن بهذا الصّدد وعندما نفكّر حول العنف المعاصر أن

نربطه بموضوع الشرّ الذي طالما أقلق البشر وطالما ارتبط بمفهوم العنف الإجتماعي (عنف الغني ضدّ الفقير) عنف القوي على الضعيف/عنف الصورة/عنف التحرّش الجنسي. . .) ومفاعيل الاضطهاد والعنصرية وطالما ـ كي يبرّر نفسه ـ يحمّل المُعَنِّف ضحيّته ويزيح المسؤولية عن عاتقه: محاولات تبريرية واتهامية متكرّرة مما يعكس عدم ثباته وانعدام الحس بالمسؤولية الذاتية على الصعيد النفسي.



رسم (1)

* Centre de recherche interdisciplinaire sur la violence familiale et la violence faite aux femmes. Violence et intentionnalité. Actes du colloque tenu à Québec le 12 Mai 1998, dans le cadre du 66ème congrès de l'acfas, p = 87.

ويحدّد G. Rondeau وآخرون في أحد منشورات مركز البحث المتعدّد الأنظمة حول العنف الأسري والعنف الموجّه ضدّ النساء Cri-Viff وتحت عنوان Les mécanismes de Concertation Intersectorialle en matière de violence conjugale au Quebec No. 15 (Quebec Déc. 2000) إشكالية العنف الزوجي بمختلف أنواعه (نفسي بالضرورة ـ لفظي ـ جسدي ـ جنسي ـ إقتصادي. . .)، فهي ترتبط إلى حدّ بعيد بفقدان السيطرة لكنّها تشكّل في

الوقت نفسه خياراً أو طريقة إختيارية للهيمنة على الشخص الآخر وتأكيداً لسلطتة عليه. إنّه عدم قبول الآخر بإختلافاته، عدم احترامه ولا شفاء بدون الإنطلاق من فكرة عدم الإلغاء. وهذا ما يؤكّد الهيئة (أو الطابع) الجرمي للعنف الزوجي وما يشير بدوره أهمية الحماية والأمان للمرأة ـ الضحية وللأطفال بهدف تركيز استقلاليتهم وتأكيد قدرتهم على استعادة القدرة في السيطرة على حياتهم مقابل التأكيد على مسؤولية المعتدي في فعل الإعتداء. من هذه النقطة بالذات، فإنّ أي منحى بحثي في هذا المجال يجب أن يخطّ سياسة وقائية وخدماتية تبتعد عن التنظير ممّا يسهّل الطريق أمام الحلول.

تبقى الإشارة إلى أنّ إشكالية العنف هي إشكالية التنسيق بين المنظمات التي تهتم بمكافحته (من منظمات أهلية من مختلف القطاعات) فهي (أي هذه الهيئات) ما لم تتّفق وتتوافق فيما بينها وضمن تبادلية آلية (عبر القطاعات) ترتسم عبرها عملية فهم مشتركة بموضوع العنف الزوجي. فإنّ النتائج غير مضمونة إطلاقاً في حملات مكافحة العنف.

إنّ هذه الإشكالية لا بد من أن تتقاطع في بعض زواياها وفي بعض الأحيان مع صنيع الجميل: الاعتذار دون أن ننسى أن العنف يضرّ بطرق عيشنا وطرق التعبير والتفكير لدينا؛ كما يضرّ بالآخر مما يستدعي إعادة «الترميم» في كثير من الأحيان. عليه، يصبح كل عنف (وعلى الأخص العنف الزوجي) هو عنف سيكولوجي: بداية ونهاية، يعبّر عنه عبر عدة وسائل للتواصل شكلاً ومحتوىً بشكّل مباشر أو غير مباشر / سلباً أو إيجاباً: تكرار ـ حركات ـ نظرات ـ ألفاظ... بهدف ظاهر لطعن وجرح المشاعر الإنفعالية لدى شخص ما...

ونستخرج أنّ إشكالية العنف ما بين الخاص والعام، العالمي والمجتمعي والفردي إلخ. هي إشكالية جدلية التحليل الإجتماعي وأثر المؤسسات الإجتماعية في المساهمة في تكوين العنف (أنظر Cornaton): علاقة تبادلية.

هي أيضاً إشكالية الإزدواج غير المنسجم، فالمرأة منهكة ما بين الممنوع والمقدّس مقابل التغير الحاصل: ما زالت بداخلها أسيرة الممنوعات...

فمعبر العام إلى الخاص هو رمزي لأنّ العنف يتمّ مبرّراً بمبادئ وقيم ذات بنى إجتماعية وقانونية يتبناها ليست فقط الأفراد والجماعات الصغيرة بل أيضاً السياسات العامة. إنّ العنف لا ينبع فقط مزاجياً بل من هذه النظم والمعتقدات المرتبطة بفكرة العقاب والثواب العنصري مما يحدو بنا إلى القول أنّه عنف مركّب. وتعتبر تيارات في علم النفس أنّ الرجل عند ما يخرج من رحم أمّه باكياً يسعى العمر كلّه للعودة إليه. هو توق مستمر للمرأة كسمة أساسية من التصرّف الذكوري النموذجي «الذي يعبّر عنه الرجل بالطرق السليمة المحتشمة، أو يتجاوز دواعي الإنضباط الديني والأخلاقي والإجتماعي إلى حد الإعتداء على الحياء العام». (النهار 29 ت2 2004).

وعرّفت الجمعية العامة للأمم المتحدة العنف على أنّه «اعتداء جسدي أو معنوي مقصود من جهة تتمتع بسلطة مادية أو معنوية على جهة أخرى». وقد تكون هذه فرداً أو جماعةً أو طبقةً إجتماعية أو دولة تحاول إخضاع طرف آخر في إطار علاقة قوة غير متكافئة إقتصاديّاً أو إجتماعيّاً أو سياسيّاً، مّما يتسبّب في إحداث أضرار مادية أو نفسية أو معنوية للفرد أو جماعة أو طبقة إجتماعية أو دولة أخرى.

3 ـ أنواع العنف:

وبذلك، يصبح العنف قوة كبيرة وبدائية يفرضها فردٌ على آخر، وهي قوة يمكن أن تؤدّي إمّا إلى التخجيل أو/أمّا إلى الرعب ويمكن أن نجدها في معظم حالات المرض النفسي سواء كفعل أساسي أو كنتيجة تلقائية...

وعليه يكون العنف الأسري أو المنزلي «هو كل عنف يقع في إطار العائلة ومن قبل أحد أفراد العائلة، بما له من سلطة أو ولاية أو علاقة بالمجني عليه».

أمّا أنواع العنف الأسري فهي متعدّدة نذكر منها: العنف الزوجي، سوء المعاملة أو الإهمال للأطفال وكبار السن، استغلال الأطفال خاصة الإستغلال

الجنسي، (إغتصاب ـ تحرّش جنسي ـ البغاء ببعض أنواعه). ويأخذ هذا العنف أشكالاً أخرى. وبشكل عام، إنّ العنف الأسري يطال فئات النساء والأطفال وكبار السن... وهي أنواع سيعرض البحث لبعضٍ منها...

وهناك العنف الذي ترتكبه المؤسسات في الدولة والقوانين (جرائم الشرف) والإنتاج (من الناحية الإقتصادية: تدنّي أجور النساء أو الإستيلاء على نقودها وما تجنيه أو تمتلكه إلخ...

ولقد أدخلت السلوكية المحدثة فكرة النيّة أو القصد في تحديداتها للعدوان بمعنى الأخذ بعين الإعتبار لدافع الفاعل وكذلك إدخال حالات العدوان فيما يخص المحاولات دون أن ينتج عن ذلك أذىً.

لذلك يقول بيتر كوفتيز 1974: «العدوان هو النية لجرح أو أذيّة الآخر».

ويعتبر «زيللمان» 1978 «بأنّ العدوان هو محاولة جرح فيزيائي للآخر».

وبعض الباحثون الجدد والذين يتموضعون ضمن التيار المعرفي، يعتبرون بأنّ السلوك العدواني لا يصبح عدوانياً إلا من خلال حكم الملاحظ الذي يعين السلوك على أنّه انتهاك المعيار.

وبالتالي، يعتبر السلوك عدوانياً إنطلاقاً من إجراء تحكيمي يقوم على ثلاث محكات مستقلّة:

1 ـ التحقّق من إيذاء محتمل أو واقعي بالنسبة للضحية.

2 ـ النية من قبل الفاعل بتسبّب تبعات سلبية.

3 ـ الحالة التي تعتبر من قبل الضحية و/أو المراقب على أن السلوك الذي يحدث غير متوافق مع الوضعية أي أن يكون هناك انتهاك لمعيار.

لذلك، فمن غير الجائز عدم الرجوع إلى المعايير الإجتماعية التي تحدّد ما هو الفعل العدواني. ففي كل وضعية هناك مستوى عدائي مسموح أو غير مسموح به.

وكما بدأنا فإنّ المرأة أكثر تعرّضاً من الرجل للعنف بسبب:

1 ـ القيم الإجتماعية والثقافية السائدة: (سيادة القيم الذكورية، ونظرة المجتمع إلى القوة والعدوانية).

2 ـ التربية الإجتماعية التي تخلق لدى المرأة وعياً زائفاً بذاتها باعتبارها الجنس الأدنى والأضعف، وعليه فوجودها لا يتحقّق إلا بالرجل ومن خلاله.

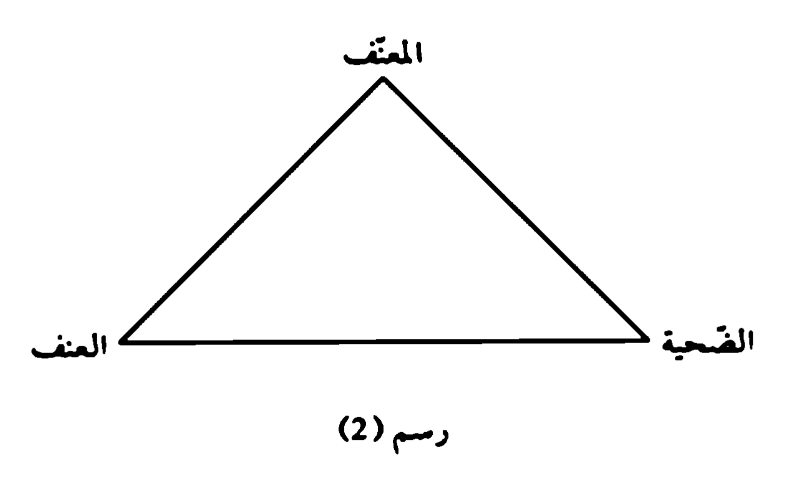
3 ـ الأنظمة الإقتصادية والقانونية: بحيث تغيب القوانين الخاصة بالعنف المنزلي وتميّز القوانين المرعية الإجراء (القوانين الجزائية وقوانين الأحوال الشخصية) في الحقوق والواجبات ما بين الرجل والمرأة (كالتقسيم في عمل المرأة والرجل).

4 ـ المؤسسات المجتمعية: وغياب الخدمات الإجتماعية الداعمة لضحايا العنف، كدور الحماية للنساء والأطفال، قلة مراكز الإستماع والإرشاد النفسي والقانوني... بالإضافة إلى بعض عناصر الأمن عن التخصّصيّة في مجال التعاطي مع حالات العنف ضدّ المرأة.

5 ـ تأثير المحيط الإجتماعي: غياب الروادع الإجتماعية في حال كان المحيط المباشر (العائلة الممتدّة، الجيران، الأصدقاء...) يبيح العنف ضدّ المرأة أو يشجّع عليه.

6 ـ العوامل النفسية والإضطرابات العقلية: كالنقص في مهارات التواصل، أو تبني الأواليات الدفاعية كالتعويض والإسقاط والتثقيف والتماهي بالمعتدي وقد تصل أحياناً إلىالإصابة بالإضطرابات أو الأمراض العقلية كالسادية والصّرع والفصام وعقدة النقص بالإضافة إلى الغيرة المرضية، الإدمان، إلخ...

يتشكّل مثلّث العنف على الشكل التالي:

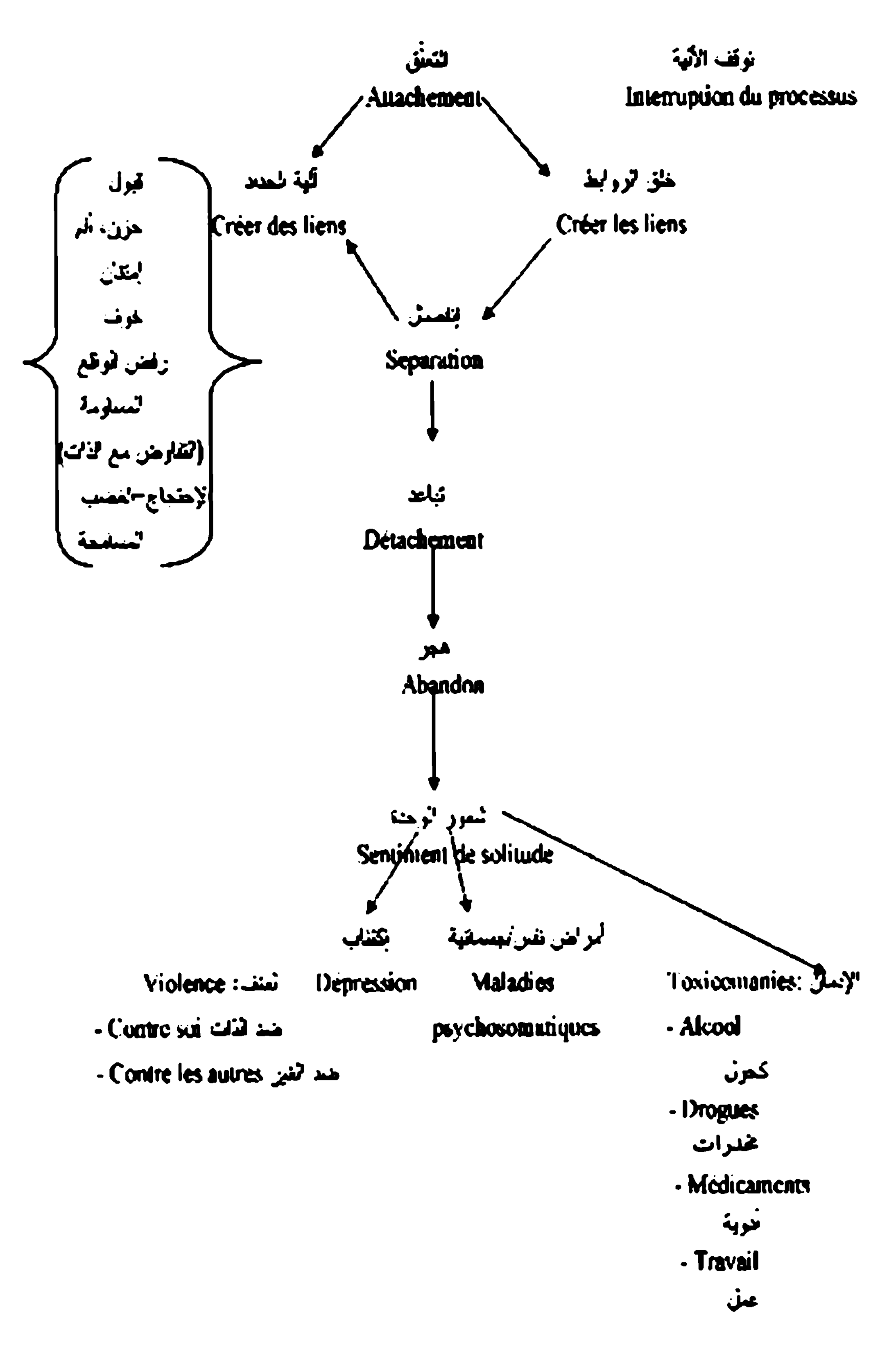


رسم (2)

أي فعل عنيف تدفع إليه عصبية الجنس يترتّب عنه أذى جسدي - جنسي - نفسي أو تهديد من هذا القبيل سواء حدث هذا في الحياة العامة أو الخاصة.

- العنف القائم على أساس النوع الإجتماعي مظهر تاريخي للعلاقات القائمة على القوة واللا مساواة بين الرجال والنساء.

- عنف يعبّر عنه داخل علاقة قطبية امرأة/رجل موجّه إلى المرأة ومرتبط بوضعيّتها داخل المجتمع.



التعلق
Attachement
توقف الآلية
Interruption du processus
آلية التحديد
Créer des liens
خلق الروابط
Créer les liens
الانفصال
Separation
قبول
حزن، ألم
إمتنان
خوف
رفض التوقع
المساومة
(التفاوض مع الذات)
الاحتجاج-الغضب
المسامحة
تباعد
Détachement
هجر
Abandon
شعور الوحدة
Sentiment de solitude
اكتئاب
Dépression
أمراض نفس-جسمية
Maladies psychosomatiques
Violence : عنف
- Contre soi ضد الذات
- Contre les autres ضد الغير
Toxicomanies: "الإدمان"
- Alcool
كحول
- Drogues
مخدرات
- Médicaments
أدوية
- Travail
عمل

رسم (3)

مراحل الحدّاد:

القبول: أي الشعور بالرضا، انسجاماً مع الفقدان. ويتمّ هذا القبول على الصعيد العاطفي.

الحزن، الألم: هو شعور مؤلم في القلب، يمكن أن يتجلّ خلال الافتراق.

الإمتنان: يصدر هذا الشعور من أعماق الشخص. يكون الشخص قد تعافى ويشعر بالتحسّن ممّا يتيح له التميز. يكتشف الشخص الناحية الإيجابية لتجربة الألم هذه.

الخوف: الخوف من الهجر.

الإمتناع (عن الإعتراف بالواقع): هو رفض الواقع أي رفض نهاية التعلّق.

المساومة: التفاوض مع الذات، والتقبّل على المستوى النفسي.

الإحتجاج، الغضب: يشعر بهما الشخص تجاه فقدان التعلّق، هناك محاولة لإعادة التعلّق.

المسامحة: يعني به إنشراح عميق يولّد حالة نفسية جديدة والقدرة على قول: «الوداع».

عندما يتجاوز الشخص المراحل، ينشأ رجوع إلى الوراء. يرتبط العنف بشدّة بالمرحلتين: (الحزن والألم: والخوف من الهجر). يتسبّب الفقدان بالغضب ثم بالإنسحاب.

وقد يكون من الصعب حصر الآثار التي يتركها العنف على المرأة، وذلك لأنّ المظاهر التي يأخذها هذا الجانب كثيرة ومتعدّدة. ومع ذلك نستطيع أن نضع أهم الآثار وأكثرها وضوحاً وبروزاً على صحّة المرأة النفسية والعقلية. (هذا بالطبع لا يعني أن المرأة تتعرّض لها جميعها، بل قد تتعرّض لواحد من هذه المظاهر حسب درجة العنف الممارس ضدّها:(*)

(*) المرجع نفسه، وزارة الشؤون الإجتماعية.

- فقدان المرأة لثقتها بنفسها، وكذلك احترامها لنفسها.
- شعور المرأة بالذّنب إزاء الأعمال التي تقوم بها.
- إحساسها بالإتكالية والإعتمادية على الرجل.
- شعورها بالإحباط والكآبة.
- إحساسها بالعجز.
- إحساسها بالإذلال والمهانة.
- عدم الشعور بالإطمئنان والسلام النفسي والعقلي.
- اضطراب في الصحة النفسية.
- فقدانها الإحساس بالمبادرة والمبادلة واتّخاذ القرار.

لا شك أنّ هذه الآثار النفسية، أو بعضها تفضي إلى أمراض نفسية أو نفسية - جسديّة متنوّعة كفقدان الشهية، اضطراب الدورة الدموية، اضطرابات المعدة أو البنكرياس، آلام وأوجاع وصداع في الرأس... إلخ.

الآثار الإجتماعية للعنف:

تعتبر هذه الآثار من أشد ما يتركه العنف على المرأة، ولا نبالغ إذا ما قلنا أنّه الأخطر والأبرز. ويمكن إبراز أهم وأخطر هذه الآثار بما يلي:

* الطلاق.
* التفكّك الأسري.
* سوء واضطراب العلاقات بين أهل الزوج وأهل الزوجة.
* تسرّب الأبناء من المدارس.
* عدم التمكّن من تربية الأبناء وتنشئتهم تنشئة نفسية وإجتماعية متوازنة.
* جنوح أبناء الأسرة التي يسودها العنف.
* العدوانية والعنف لدى أبناء الأسرة التي يسودها العنف.
* يحول العنف الإجتماعي ضدّ المرأة عن تنظيم الأسرة بطريقة علمية سليمة، أي أنّه يقف عائقاً أمام هذا التنظيم من جهة، ويبعثر مداخيلهم الإقتصادية ويشتّتها في أمور غير ضرورية من جهة أخرى.

الآثار الإقتصادية للعنف:

يرى العديد من الباحثين في العلوم الإجتماعية أنّ الموضع اللا إنساني الذي تعيشه المرأة في المجتمع، سواء المجتمعات العربية أم الغربية على حدّ سواء، ما هو إلا نتائج لوضعها الإقتصادي السيّء الذي يكاد أن يكون المسؤول عن جميع أوضاعها الأخرى الإجتماعية والسياسية والنفسية. ونحن، وإن كنّا نتّفق مع هذا الإتّجاه في تحليل وضع المرأة العربية الرّاهن إلى حدٍّ كبير، ومع ذلك نقول أنّه يصعب عزل هذه الأوضاع عن بعضها، وبالتالي يصعب عزل آثارها. فهي متداخلة إلى حدٍّ يكاد يكون من المتعذّر فهمها منفردة، فعلى سبيل المثال فإنّ ظاهرة العنف الممارس على المرأة بشكل رئيسي، وعلى الأولاد بصفتهم الملحق داخل الأسرة، لا يعكس في الحقيقة حجم العنف المعنوي ـ الإجتماعي فحسب، بل أيضاً حجم العنف الإقتصادي وبما يحدثه من خلل واضطرابات في البنية الإقتصادية. حيث يفَوّت هذا العنف على الأفراد فرص تدريبهم وإعدادهم لسد ثغرات العمل من جهة، واستيعابهم في سوق العمل بشروط أفضل من جهة ثانية. ولعل أهم وأخطر الآثار السلبية التي يتركها العنف الإقتصادي على الأسرة والمجتمع هو إعاقة متطلّبات التنمية الإقتصادية. حيث أنّ العنف مسؤول عن دفع أعداد من الأيدي العاملة غير الماهرة (ذكوراً وإناثاً) إلى سوق العمل وخضوعهم للظلم الإجتماعي والمعاملة المجحفة بحقّهم. هذا في الواقع إن وجدوا أمامهم فرص عمل.

وبناءً على ما تقدّم، ومع استمرار تدنّي نسبة مشاركة المرأة في العمل المنتج يمكن القول أنّ العنف الأسري يعيق اندماج المرأة في الحياة الإقتصادية ـ الإنتاجية، ويفوّت فرصة الدولة الإستفادة من الطاقات النسائية والشبابية الكاملة، وكذلك فرصة توظيف هذه الطاقات في عملية التنمية الإجتماعية والإقتصادية.

الأسباب التي تدفع بالمرأة إلى البقاء أسيرة علاقة عنيفة:(*)

إنّ الأسباب التي تدفع النساء إلى الإستمرار في هذه العلاقات هي عديدة ومتنوّعة وفقاً للإطار الثقافي والإجتماعي حيث يمارس العنف الزوجي. . .

(*) المرجع نفسه.

* الخجل من وضعهنّ يدفعهنّ إلى نكران العنف.
* الخوف من الترديات التي قد تنجم أو تصدر عن الزوج الممارس للعنف (أو الخوف من ردود فعل الزوج المعنّف).
* خوف الضحية من الإقدام على فعلٍ قد يضاعف من خطورة الوضع.
* الخوف من أن تصبح مهجورة ومعزولة.
* الخوف من نبذ أسرتها الأصلية لها في حال اتّخاذها قرار مماثل.
* الخوف من النبذ المجتمعي.
* العزلة الإجتماعية التي تعيش في إطارها / نقص الدّعم أو غيابه.
* التبعية الإقتصادية للزوج.
* التبعية النفسية واعتقاد المرأة بأنّه لا يمكنها إعادة بناء حياتها.
* الشعور بالولاء للمعتدي.
* أمل المرأة بإيجاد الرجل المسالم والهادئ الذي عرفته خلال فترة التعارف.
* الأسباب دينية أو ثقافية.
* إيمان المرأة بضرورة المحافظة على وحدة الأسرة.

العنف الإقتصادي: هو عنف مركب ـ جسدي / جنسي/ معنوي/ إجتماعي

ـ هو عنف يمسّ كرامة المرأة لأنّه يعتبرها وسيلة وليست غاية.

ـ هو عنف هادئ ليس دامي ولكنّه مستمر.

يؤدّي إلى تفشي الفقر بين النساء واستغلالهنّ واستهلاكهنّ بسبب الاعمال غير المدفوعة الأجر خاصة في الريف وانعدام ملكية الأرض التي يعملن بها بل في الغالب يعملن لحساب أسرهنّ.

ـ انعدام ملكية النساء بشكل عام لعقارات ومنقولات الا بنسب ضئيلة ومحدّدة رغم دخول المرأة سوق العمل نتيجة ذهاب دخلها لتصريف شؤون أسرتها اليومية بينما يذهب دخل الرجل للحصول على الملكية.

وبالتالي فإنّ الفقر بمختلف أبعاده وأشكاله له وجه نسائي.

التمييز ضدّ المرأة: إنّ كل عنف يتضمّن بالضرورة تمييزاً وهذا ما تدل عليه عبارة عصبية الجنس في التعريف. فالمرأة تستهدف بالعنف باعتبارها أنثى لا باعتبارها إنساناً أو مواطنة أو غير ذلك. ويتمّ تعنيف المرأة على أساس أنّها كائن من نوع خاص أو كائن مؤذ أو مصدر فتنة للرجل وهناك شتيمة شائعة تكون موضوع عنف لفظي أو تكون مصاحبة لعنف جسدي تتمثّل في نعت المرأة بأنّها مومس تبيع جسدها. والتمييز يؤدّي إلى العنف، فمبدأ طاعة الزوجة زوجها تنصّ عليه الكثير من القوانين العربية والذي يمكّن ضمنها الزوج من تأديب زوجته، يفتح المجال أمامه ليتّخذ الضرب شكلاً من أشكال التأديب «لفت نظري الضرب المشوب بالحنان».

ـ العنف يدعم التمييز فالكثير من الرجال أرباب الأسر يستعملون العنف الجسدي لفرض الأدوار التقليدية النمطية على النساء ولتقييد حركاتهنّ وعلاقتهن.

ـ ومن المفيد أن نقطع شوطاً أبعد في عقد الصلة بين العنف والتمييز لكي نكتشف ما في التمييز ضدّ المرأة من عنف أو لنكشف عنه أنّه عنف يتمّ باسم مبادئ رمزية أيضاً وهو عنف بنيوي لا ينبع من أفراد بل من بنى إجتماعية وقانونية يتبنّاها الأفراد والمجموعات.

(الختان)

ـ وهو عنف هادئ يعمل في صمت ولكنّه يعمل باستمرار فهو كالطاحونة التي تسحق الأفراد وتحدّ من مجال توقهم وآفاق حريّتهم؛ فالعنف ضدّ النساء وخلافاً لبعض التعريفات المعتمدة فهو ليس فعلاً معرقاً في الإجتماعية وفي الإنسجام مع الأخلاق السائدة.

ـ والتمييز هو نوع من «العنف الأساسي» لأنّه يستهدف ملكية الآخر بل يستهدف ماهية الآخر. إنّه ليس اعتداء على جسم الآخر أو على ما يملكه الآخر بل نفي لجوهر الإنسان في الآخر. إنّه كالعنصرية أي التمييز على أساس العنصر: نفي لحقّ الآخر في أن يكون له حق. نفي للإنسانية الكاملة للمرأة وللمبدأ المؤسّس للحياة الإجتماعية في عصرنا وهو مبدأ المساواة.

فجعل الطلاق أمراً يقرّره الرجل وحده عنف بنيوي، وهو عنف أساسي ينفي حق المرأة من أن يكون لها حق في تقرير مصيرها، وهو عنف لا يعد اعتداء على الأخلاق السائدة، ومع ذلك فإنّه يمكن أن يحوّل حياة بعض النساء إلى انتظار طويل ودوران في حلقة مفرغة بين زواج أسر لا يحتمل وقضاء لا ينصف ولا ينصت.

في كل حالة عنف ضدّ المرأة هناك عنف أساسي يقوم على إنكار حق المرأة في أن تكون لها حقوق، ولكن العنف ليس قائماً فحسب على إنكار ضمني أو معلن لمبدأ المساواة بن الرجال والنساء إنّه قائم أيضاً على إنكار لمبدأ الكرامة فما الكرامة؟

الكرامة قاعدة أخلاقية وفلسفية لحقوق الإنسان الأساسية غير قابلة للترجمة القانونية المحدّدة ولكنّها أساسية ويرد ذكرها دون تعريف في الفصل الأول من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1948: يولد جميع الناس أحراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق وهم قد وهبوا العقل والوجدان، وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

ـ الكرامة صفة تتوافر في كل الناس لا نثبتها بل نقرّرها لأنّ الكرامة تعني على وجه التحديد أن من حق كل شخص أن يعامل في علاقاته بالأشخاص الآخرين أو بالدولة على أساس أنّه غاية لا وسيلة وعلى انّه أغلى من كل شيء وأنّ له قيمة قصوى.

ـ وما يدعو إلى احترام الإنسان هو العقل والوجدان الذي قد يعني بالأساس شعوره بوجود الآخرين وميله إلى رحمتهم وقدرته على تسيير حياته حسب مبادئ وتوجّه إلى القيم المطلقة وإلى مصير يتجاوز الزمن.

ـ ومفهوم الكرامة هو الذي يجعلنا لا نقدم تصوّراً للعنف يقصره في التعدّي على حرمة الجسد فحسب، وهو الذي يجعلنا لا ندين الإغتصاب فحسب بل ندين التحرّش الجنسي أيضاً فالمتحرّش بالمرأة لا يؤذي جسدها بل يؤذي الجسد ـ الذات، وهو يخلّ بكرامتها لأنّه لا يبالي برغبتها وبعدم رغبتها، فيعتبرها وسيلة لتحقيق رغبته.

ـ وهناك «عنف هادئ لامرئي لامحسوس حتى بالنسبة إلى ضحاياه» ويتمثّل في أن تشترك الضحية وجلادها في التصوّرات نفسها وأن يعتبرا معاً أنّ الهيمنة من المسلمات والثوابت وهو ما يسمّى بالعنف الرمزي الذي حدّثنا عنه بيار بورديو في كتابه «الهيمنة الذكورية».

ـ إن أشد أنواع العنف ضدّ المرأة هو العنف الثقافي المقنّ العتيق الذي تعود ممارسته إلى مئات السنين، وهو ذلك العنف الرمزي الذي يبدو بديهياً ويفرض نفسه على الضحية والجلاد والقاضي ويقول عن نفسه أنّه ليس عنفاً «ظاهرة الختان عند البنات».

ـ وتتجلّى مظاهر العنف ضدّ المرأة بصورة محسوسة: مثل العنف البدني أو الجنسي أو العنف التعليمي أو الإجتماعي أو الإقتصادي:

كالضّرب والشتم وتوجيه الإهانات والإرغام على ممارسة الجنس والتحرّش والإغتصاب والحرمان من الملكية و. . . لكنّها كلّها تبقى في طي الكتمان على اعتبارها مشاكل شخصية / محرّمة لا يمكن الإفصاح عنها باعتبارها من التابوات، المحرمات. . . المقدّسة. . .

4 ــ في نقد ثقافة العنف:

ما بين العنف كظاهرة والثقافة كإطار جدلية واضحة، وعلاقة ملتبسة بدون شك.

فما بين «عنف الثقافة» «وثقافة العنف» عملية نقدية تقلّ ممارستها.

لذا فإنّ عمل ونتاج «إدوارد سعيد» يندرج في إطار النقد الثقافي عبر مادة ثقافية متنوّعة تشمل الفردي، المجتمعي والعالمي، وهو مفكّر يحظى بأهميّة بالغة في ثقافتنا المعاصرة؛ لقد شدّ الأنظار إليه بما رمى إليه من «وعي الآخر» ووعي ثقافته بتفاصيلها وبكافة ميادينها لكن دون الوقوع في أسر الإنبهار به. . .

لقد دفع بنص مركّز جامع للعلاقات وللحدود التي تجمع المتغيّرات السياسية بالمتغيّرات الثقافية عبر تفكيك لحضارة المركز والأطراف. . . لقد حلّل طويلاً علاقات التضامن والتناحر عبر النّقاط الأساسية التالية:

1) الثقافة والإمبريالية وصورة المثقّف.

2) تمثيل التابع ـ تمثيل الذات.

3) صور الأقليات وتحديداً المرأة... هي تابعة كالشرق تماماً، وهي موضوع لهيمنة ثقافية ـ إجتماعية ـ سياسية تمارسها الثقافة المسيطرة وهي ثقافة عنفية بامتياز، وهذا ما يقرّبنا من مرجعيّة نصّه وتكوينه الإطار المرجعي للعنف الإجتماعي.

يأتي خطاب «سعيد» خطاب علماني ـ عقلاني ـ إنساني يترفّع عن وضع الذات رهن لخدمة فكرة متعالية تهمل الإنسان بوصفه إنساناً.

وركّزت أهم طروحات «إدوارد سعيد» على فاعلية المثقّف والتحامه بالواقع، لكنّها حذّرت من احتراف المثقّف لثقافته التي تغدو مصدر خطر، إذ يتسبّب في ضغوط تنفي حيوية المثقّف وتعطّل تفاعله مع قضايا المجتمع، ممّا يؤدّي إلى عزلة المثقّف أو مآله إلى برج عاجي بعيداً عن التعبير والحساسية لواقعه الذي يعيشه...

على المثقّفين ـ برأيه ـ أن يجهروا بالحقيقة في وجه سلطان الصّمت الذي هو عالم قابل للتحدّي وكأنّه يقول بالعبارة البسيطة الصريحة أنّ الله لا يسمع من صامت أو ساكت... لقد تخطّى «إدوارد سعيد» القيمة الجمالية للصمت التي تكمن في الفن وأخرجها من حيزها الجمالي الفنّي إلى حيز العالم الشمولي... إنّ مفهوم الصّمت عنده يتخطّى المفهوم المألوف، وهو صمت يدخل إليه مدخل صدق بليغ من خلال الموسيقى واللغة وما بينهما من تاريخ وأدب... بمعنى أن الأعمال الفنّية تؤكّد على أهميّة إداء التعبير الدّقيق والإيضاح... ويشير إلى الصمت الذي يكتنف الأجندة الخفية لتعامل الغرب الإستعماري مع العرب ممّا يؤدّي إلى تجنّب العرب مشكلة البحث في أمر الصمت الذي يخفي الأسرار العدوانية والإكتفاء بالظاهر من الحديث والقول؛ فالصمت يبطّن أكثر مما يظهر الظاهر وأنّ الحقيقة في المخفي صمتاً لا في الظاهر علناً... فإذا ما كان الصمت ظاهرة مهمة في الحياة فإنّ الأهم منه في رأي «إدوارد» هو تحدّي الصمت (محمد شاهين، إدوارد سعيد، : مقالات وحوارات المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ الأردن ـ 2004).

وعن فلسفته «للجمعي» فيمكن أن نرتكز على تفسيره لأمراض المجتمع العربي التي يمكن أن تؤسس لفعل العنف؛ فالهوة بين المعرفة التّقنية والنضج الإجتماعي عميقة جدّاً، والعرب عاجزون عن التخطيط أو التصميم، وهم يفتقرون إلى مفهوم العمل وتطبيقاته في عالم لا نظام... عالم قبلي ينتمي إلى العصور الوسطى وهو حال تخلق برأيه تحدّياً للمجتمع بكامله... وهذا ما يحتاج نقداً نفسياً تاريخياً للواقع العربي الراهن، ويعني بها العمليات النفسية التي بها يختبر الواقع ويعاد خلقه في تفاعل لا ينتهي بين الذّهن الجمعي لمجموعة حضارية وواقعها التاريخي. ذلك أنّ الذهن ليس وعاء يتلقّى المعلومات بل هو صانع لنفسه ولما يمليه الواقع... فالنقد النفسي - التاريخي هو وعي دائب عميق بالعمليات النفسية ورغبة في توكيد أهميتها العظيمة في مختلف علوم الإنسان.

ومن الواضح أنّ النفسية الفردية والمؤسّسات السياسية والإقتصادية الإجتماعية والحياة اليومية والثقافية في حضارة ما، مترابطة فيما بينها ترابطاً وثيقاً... والواقع أنّ كلاً منها يعكس الآخر.

وممّا يجدر ذكره أنّ الواقع المعاصر قد أزال الحدود القديمة بين الأفكار ومن ثمّ بين الثقافات وكوّن ثقافات جديدة. هكذا تظهر طرق تفكير جديدة... تستجيب الإحتمالات امحاء الحدود بين الأفكار الا أنها تتميّز بقدر مماثل من الجمود واللاواقعية... ويذكر في كتابه الحدود: إنّ إحدى الإستجابتين تحاول أن تتمسّك بالحدود القديمة بشكل محافظ... الإستجابة الثانية تميل إلى محو الحدود جميعها.

وبرأيه أنّنا لا نستطيع تفسير أشكال الحياة الجديدة إلا بمعرفة الأشكال السابقة والتشوش المعاش اليوم فهو نتيجة لأهداف لم تتحقّق وهوية إجتماعية سياسية ثقافية لم يكتمل تكوينها بعد.

والغريزة العدوانية تنمّيها الثقافة بحيث تتفادى تدميرها لنفسها وتوجّه نحو الخارج ضدّ الثقافات الأخرى... ويعتمد على فرويد الذي يعلّمنا أن الإنسان تكمن حقيقته تحت السطح الخادع وهو مخلوق تكتنفه العقد والرغبات الجنسية البدائية والدوافع الممزّقة اللاأخلاقية... وجوهر الإنسان الغربي اليوم تبدّل

تبدّلاً كاملاً نتيجة اكتشاف فرويد إلى درجة أنّنا نتكلّم اليوم عن الإنسان السيكولوجي، وهو كائن تبدّلت جذرياً مفاهيمه عن العقل والزمن والفضاء والتاريخ والثقافة واتّخذت صورة أكثر تعقيداً من الصورة التقليدية الأحادية البعد. . . وهذا كلّه برأي إدوارد سعيد حُجب عن العربي المعاصر، لأنّ الثقافة العدائية التوسّعية تكتفي بإيصال المستويات السطحية من واقعها وتستخدمها للتحكّم بالأذهان الغربية وإقناع الناظر بالسطح لا بالعمق. . . ذلك أنّ النظام والعمل والتقدّم ينشأ من صراع الثقافة مع القوى الخفية الكامنة فيها، هذه القوى التي تدعم الظواهر فيما تحاربها. . .

أما في المفاهيم العنفية التي تستتبع أو تتداخل في عملية النقل الثقافي، فإنّها تندرج كلّها في إطار السيطرة والرقابة.

1 ـ السلطة: (L'autorité) وهي قوّة مجرّدة يهيمن فيها القوي ويخضع فيها الأضعف. وفي العلاقات الزوجية يتمظهر الرجل دائماً وهو مهيّأ للسلطة.

2 ـ التمكّن والقهر: (Le pouvoir, Le coercitif) وتندرج في إطار العقوبات والتأديب (السلبي) والضغط والتأثير بالقوّة.

3 ـ الهيمنة: (Domination) في إطار علاقة غير متوازية بين الشريكين، ويفرض المسيطر أو المهيمن تأثيراً قهريّاً على الخاضع.

4 ـ العنف السيكولوجي: والتهديد فيه لا يقف مقابل تجزيء للإستقلالية الأنثوية بكافة أوجهها.

5 ـ الرقابة: التي تسيّر الأفكار والإنفعالات وردود الفعل. إنّه كيفية الوصول إلى داخل الفرد عبر معرفة منمّقة لرغبات الشريك، أحاسيسه وانفعالاته بهدف السيطرة عليه وإخضاعه. وهذا لا يمكن أن يتمّ مع أي كان بل مع من تمرّس بالتأثير القهري المقصود باتجاه شخص عاش معه لحظات حميمة، لكن فكرة استبعاده والضّغط للتطابق مع احتياجاته ورغباته هي التي تسيطر لديه.

6 ـ التبرير: وهو مفهوم قلّما دُرس نسبة للمفاهيم الأخرى، ويُقصَد به مجموعة العوامل الإجتماعية والمعتقدات التي يلجأ إليها الشريك ويستعين بها

لشرح ولربط موضوعي وعقلاني للحوادث العنيفة التي يقترفها. ويرتبط مفهوم التبرير بمفهوم التسامح الذي ينبثق من سلّم قيم المجتمع الذي يعيش فيه الفاعل وكيف يقيّم عدوانه! (يستخف أو يقيّم).

7 ـ الضحية: وتدور بين المظلومية والظالمية ونظرية المؤامرة وهي بالأحرى خلل في الهوية. فاللوم، لوم الغير يمنحنا الشعور بأنّنا على حق، ويسهم في إنقاذ اعتبارنا الداخلي الذاتي. وهو مفهوم يحاول إسقاط الشعور بالبؤس على الخارج. إنّه، وبحسب «إدوارد سعيد»، تحليل دنيوي لوقائع ولعلاقات ولقوى ولمعانٍ متحرّكة يتفاعل ضمنها أفراد وجماعات في أوضاع غير متناظرة دائماً. ويرى Bourdieu أنّ التراتب الإجتماعي يساهم في حالة التنافس بين ثقافة الطبقات، فمحتوى كل ثقافة هو أمر تعسّفي بالنسبة لهم...

5 ـ في مفهوم التدخّل والوساطة L'intervention

بدأ يظهر مؤخّراً وفي كندا بالذات برامج للحدّ من العنف داخل «الكوبل» وقد رعت هذا التوجّه مؤسّسات بحثية(*) وخدماتية(**) عدّة تقدّم البرامج العلاجية في إطار مهمة إيقاف العنف عبر:

- استباق وتدارك الفعل العنفي.

- إلقاء التبعية على هذه الأنواع من التصرّفات وعلى من يقوم بها (خاصّة من قبل الرجل).

- المساعدة على آلية التغيير.

- الإستجابة لحاجات الحماية والدعم (خاصة للمرأة).

في البدء، كان التوجّه حصرياً للمرأة ـ الضحية، إلا أنّ البعض منهنّ كنّ يرفضن ترك أزواجهنّ نهائياً وكنّ يحبّذن العودة إلى أزواجهنّ بعد فراق قصير. من هنا وُجدت فكرة تقديم الخدمة النفس ـ إجتماعية والإرشادية

(*) ونخص بالذكر مركز الأبحاث المتعدد الأنظمة حول العنف الأسري والعنف الموجه ضد النساء في جامعتي مونتريال ولافال Cri - Viff.
(**) سنأتي على ذكر بعض هذه المؤسسات في نهاية هذا القسم.

للرجال وبدأت تشاهد النور عبر برامج خاصة تحثّ على توجيه سلوكه والحدّ من تطرّفه واستخدامه للسلطة ضدّ الأنثى. ومواجهة مواقفه الجنسوية المنمطة ومراقبة الذات وتغيير تصوّراته مّما يفسح المجال بإقامة علاقات أكثر انفتاحاً.

ويُقترح لذلك النموذج الإدراكي (التشكلي) السلوكي Comportement cognitivo-comportemental الذي يرتكز على فكرة أنّ كل سلوك إجتماعي هو سلوك مكتسب، مّما يفرض «إدارة الغضب» المنبثق أساساً من العدوانية وذلك عبر القراءات الموجّهة ولعب الأدوار وتمارين الإسترخاء وتنمية الإستعداد لطلب العون. كل ذلك بهدف إعادة بناء المواقف والسلوكات والترويض والتقوية. إلا أنّ المواقف العلاجية يفترض أن تكون منتقاة من التحليلات النسوية حول العنف الزوجي، وهي عموماً لا يتعاطف معها الرجال بشكل مباشر، ممّا يفرض أن تأخذ تأخذ بعين الإعتبار قياسات ومواصفات الأشخاص الذين سيتمّ التدخّل معهم؛ لكن الشرط الأساسي هو: قابلية التعبير (Rondeau et autres. Evaluation du programme intensif de traitement pour conjoints violents offert par l'organisme (après coups - cri-viff no. 25, Aout 2002 - Quebec).

ويمكن القول أنّ التدخّل مع الزوج ينطلق من كون هذا الأخير لا يختلف عن المرأة في ذخيرته الإجتماعية بكافة مستوياتها (الإقتصادية والأسرية...) فهو على سبيل المثال ـ ورغم اقتحام المرأة للميادين المهنية التي احتكرها الرجال سابقاً ـ لا يتقبّل فكرة المشاركة المهنية من قِبَل المرأة في نفس أعمال الرجال واقتصار عملها على الوظائف التقليدية.

نطرح هذا المثال للوصول إلى أهمية فكرة الخدمة والمساعدة وأيضاً الحاجة لدى الرجال الذين يسجّلون عدم الإرتياح وقابليّتهم للنيل عدوانيّاً من المرأة. (un pont à bâtir - Actes du colloque de l'équipe Hommes, violence et changement tenue a St. Hyacinthe 25 Octobre 2002 - no. 15 cri-viff)

ماذا عن قواعد التدخّل؟

أولاً يجب القبول، ثانياً المبادرة، ثالثاً الإستقبال عبر قبوله وتعويده

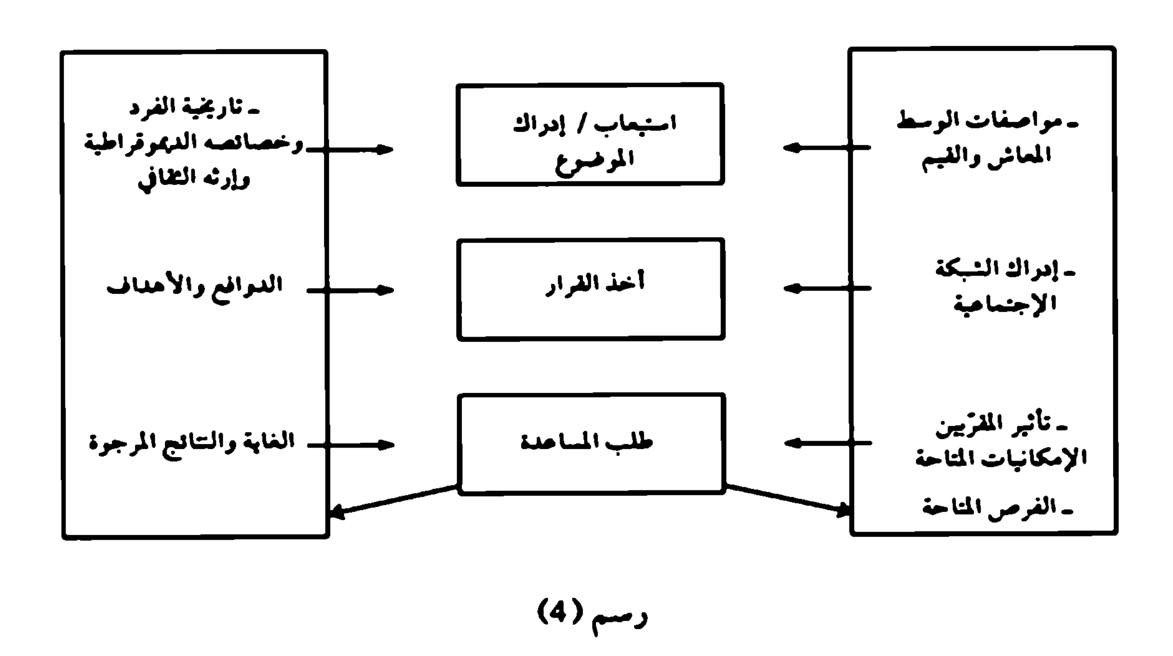
والعمل على خلق صلة وحميمية وثقة معه دون نسيان المطبّات والصّعاب التي يمكن أن نواجهها. أن نشعره بأنّنا نفهمه ونعيش عذابه وآلامه ممّا يساعدنا على أن نعلمه بما يفعل.

ورغم حاجة المعنّف لطلب الخدمة والتدخّل الا أنّه يمكن أن يناقض نفسه ويعود فلا يُقرّ بالمشكلة وهو يتّسم بالتعلّق والغيرة وقلّة التقدير للذات ويلقي باللوم على الضحية إلا أنّه يتوقّع المساعدة في إعادة تشكيل سلوكه ومعرفة ذاته أكثر وتغيير واقعه والإعتراف بمواطن ضعفه وإستبعاد التوتّر الذي يقلّل من قدرات الإستيعاب. تسعى المؤسّسات الكندية لمساعدة الرجل المعنّف في محاولة تحريره من هذا العنف الكامن لديه وأيضاً دراسة الدوافع التي حدت به إلى طلب التدخّل. فمن المعروف أنّ الرجل يتأخر جدّاً في طلب الدّعم ولا يطلبه إلا بعد استفحال الأمر وشدّة تعقيده - والتدخّل يمكن أن يحدّ من تطوّر هذا التصرّف. - مع لفت النظر إلى أن الطلاق لا يعني حلّ المشكلة بالنسبة له بل يمكن أن يكرّر سلوكه تجاه الزوجة الثانية.

كما أنّ تحديد انتماء الزوج (الثقافي - الإجتماعي والإقتصادي) يساعد كثيراً في تحديد أطر التداخل السلوكي والضوابط التي تحرّكه والتي يفترض أن تكون غير مطواعة ومنمطة.

كما يتمّ حالياً - وفي كندا أيضاً - الإهتمام بالمسنّات الوحيدات والمعنّفات سابقاً من قبل أزواجهنّ حيث تبيّن أنّهنّ ما زلن يعانين من آثار تعنيفهنّ وهنّ شابات.

(S. Gravel et autres - les mauvais traitments entre conjoints âgés - in criminoligie No. 2 PUL).



رسم (4)

المصدر: D. Turcotte et autres: les trajectoires de demande d'aide des hommes en difficultés no. 21 - cri-viff (Centre de recherche interdisciplinaire sur la violence faite aux femmes). Aout 2002 - Quebec.

وتهدف هذه الطريقة إلى وصف مقارن للحالات المطروحة (عنف مقرون بالإدمان أو شرب الكحول): مواصفات وحلول وتعميم الإطار الخدماتي (التهيئة للقبول به ثقافياً).

خجل - عزلة - انهيار - قلق... خشية الإفصاح - المواجهة - خوف من الفشل - خوف من الحكم عليهم مقابل عدم تمكّنهم من الرقابة الذاتية - التسرّع في الوصول إلى الحلول.

وهذه الخشية تمنع التواصل والدّعم الصّحي - الإجتماعي، وهي تطلب الدّعم عندما تعيش أوجه الأزمة إلا أنّها وفي دائرة العنف التي تهدأ في أوقات ما، فإنّها تتراخى وتتراجع. ويمكن القول أنّه وفي الحالات القصوى ما زالت تتّسم بحساسيّتها للطّرح وتفضّل دعم المقرّبين قبل التوجّه إلى الأخصّائيّين. وهذا ما يرتبط مباشرة بوضعيّتها الإجتماعية والثقافية (خاصة إذا كانت مميزة!).

1 - .G.A.P.I: وهدف هذه المؤسسة حثّ الرجال ذوي السلوك العدواني ضدّ زوجاتهم بتغيير سلوكهم ومواقفهم وبإيقاف العنف الأسري وذلك عبر نشاطات تأهيلية تفتح المجال لبناء مجتمع ضدّ العنف: مجتمع التسامح

والمساواة بين الجنسين ونفض غبار الهيمنة الذكورية باعتبار أن العنف هو عنف مبني ومكتسب (Construite et apprise) عبر قيم منقولة إجتماعياً (Valeurs Vehiculés) ومختارة إفرادياً، بحكم أنّ العنف هو مشكلة إجتماعية أبوية يتمظهر عبر العنف الزوجي الذي زاد انتشاره مؤخراً.

إنّ العنف الزوجي هو ظاهرة منقولة عبر معادلة متفاوتة ما بين الرجل والمرأة واعتبرت المجموعة العلاجية محاولة جادة للتعبير والمشاركة ومن ثمّ القبول بالقواعد وبالإلتزام وبتحريك المشاعر اتجاهها واعتبارها جنحة وفتح المجال بإعادة التقليد بسلوك متّزن ومتساوٍ.

2 ـ بيوت الإستقبال Les Escales :

بيوت النساء المعنّفات والتي تستقبل النساء والمعنّفات مع أطفالهنّ نظراً لاعتراف هذه البيوت التي تدعمها المؤسّسات الأهلية بالتعاون مع المراكز البحثية بأن المرأة المعنّفة تعاني إلى حدّ الضّرر النفسي المتفاقم.

أمّا نوع الدّعم فهو متنوّع ويتطابق مع الواقع الذي تتوق إليه النساء المعنّفات إذ يترك المجال لحرية التعبير ـ إعادة التوازن والتعاضد ما بين النساء والإنخراط في عمل الفريق والمساعدة في إيجاد عمل بهدف إستقلاليّتها مع دعم دائم للأولاد وتقديم المساعدات التربوية والثقافية.

(J. Falardeau - La maison des femmes de Quebec - rapport d'activités 2002 - 2003 - Quebec).

3 ـ مراكز البحث حول العنف الأسري والعنف الموجّه للنساء في كندا:

وأهدافه تتمحور حول إيجاد وسيط ناجح ما بين العمل البحثي واحتياجات المجموعات. ونسج تعاون مستديم ما بين الجامعيين، العمّال، أصحاب القرار، المعالجين عبر إيجاد شبكات مستديمة تهتم بالعنف ضدّ النساء وفتح باب البحث العلمي وخلق إمكانيات التأهيل داخل المجموعات المتنوّعة للبحاثة الشباب والطلاب. . . وتوسيع الحس النقدي لديهم وإطلاق المعارف والمقاربات وتحليل السياسات والإستراتيجيات عبر خلق موديلات تفاعل أكثر جدّية.

وذلك عبر محاور ثلاثة:

أ ـ فهم ظاهرة العنف عبر مختلف مظاهرها وتجميع الدراسات التي تحدّد التصوّرات حولها.

ب ـ المحدّدات التي تدخل في تحديد الظاهرة (عوامل الخطر والحماية على السواء).

ج ـ تحليل تطوّر التدخّل...

(Democratisation de l'excellence: l'experience des centres de recherché sur la violence familiale et la violence envers les femmes - Canada).

(ومن أهداف Cri-Viff على سبيل المثال الحصول على أكبر فهم ممكن لظاهرة العنف الأسري والموجّه ضدّ النساء في سبيل إرساء ودعم طرائق التدخّل الناجعة وتعزيز السبل الوقائية. ويقدّم العنف كوسيط جيّد يسمح لشخص أن يقيّد شخصاً آخر، فهو ملتزم بمفهوم التمكّن Le pouvoir، هو فعل الإعتداء السيكولوجي الذي يمكن أن يستخدم العنف اللفظي / الفيزيولوجي والجنسي والضغط الإقتصادي. لذا فهو ليس بالضرورة، وكما يُشاع بأنّه فقدان السيطرة، بل هو فعل هادف في كثير من الأحيان) لحكم الآخر. ويتمظهر في علاقات الحب والأمومة وفي كل مراحل الحياة..).

ويمكن وفي هذا الإطار الإشارة إلى السياسات النسوية (المناصرة للمرأة) والتي تنظر إلى الإستغلال ـ الإضطهاد والدونيّة التي يتمّ التعاطي بها مع المرأة، وإن كل محاولة تحديد هذه التوجّهات تأتي لصالح المرأة ولتحوّل النظام الأبوي كبنية إجتماعية. إنّ المشروع النسوي يرتكز على تحسين وضعية العيش عند النساء من خلال الحالات الملموسة وقد طوّر مقاربات متوازية مع المقاربة السائدة وفي لحظ مواجهتها بموضوعية.

4 ـ رصيد الإتّجاهات حول الخدمات الموجّهة ضدّ العنف:

M. Rimfert - Raymor (sous la direction) - Points de vue des femmes et des hommes sur les services utulisés en matière de violence conjugale n° 18 - cri-viff Septembre 2001 - Quebec.

أظهرت النتائج:

1 ـ إنّ النساء يلجأن أكثر بكثير من الرجال لطلب الخدمة. كما أنّ الدراسات بدورها قد توجّهت للنساء أكثر منها للرجال في وقت أنّ الخدمات حاولت أن تساوي بالتوجّه إليهما قدر الإمكان.

2 ـ إنّ استقلال المرأة أو توقها للإستقلال يساهم في خيارها للحدّ من التعنيف وفي قبولها للتدخل.

3 ـ ينظر الرجل إلى البوليس كدور الموجّه أو المرشد الذي استجارت به الزوجة أو في الوقت نفسه الذي لا يقبل تدخّله لأنّه ينظر إليالرجل بدور المشبوه.

4 ـ رغم اعترافها بالدور الذي لعبته المؤسّسات عندما تدخّلت لحمايتها وساعدت الرّجل في تغيير سلوكه، إلا أنّها ما زالت تخشى (ولدى العديد منها) التراجع الذكوري.

5 ـ أجمعت النتائج على أنّ العنف الزوجي هو عنف خاص ولكنّه لا يتعلّق فقط بالمجال الخاص بل يعكس إشكالية ذات منشأ إجتماعي.

6 ـ بقيت دور الرعاية مكاناً للفهم ـ للدّعم ـ للمتابعة وللمواكبة وغيّرت إيجاباً مواقف الضحية وقوّت من حصانتها الدّاخلية ومن قراراتها. عندما يطلب الرجل التدخّل والدّعم فهو يطلبه ليس لدرء خطر الإنفصال الزوجي بل لدرء خطر الوحدة الناجم عنه.

في تعويد الشريك العدواني على ضبط النفس:

ويكون ذلك عبر تمارين هدفها الرّبط ما بين مراقبة الذات ومفاهيم الهيمنة والتسلّط من جهة وما بين المعتدي (أو المُعَنِّف) وكيفية ضبطه لشريكته من جهة أخرى. والحاجة للمقارنة (بين الأشخاص) تبدو جليّة بهذا الإطار. ومن البديهي أنّ المُعَنِّف يبذل الجهد الأقصى مقارنة بالآخر الذي يتبعّد عن السلوك العنفي.

وتجدر الإشارة إلى أنّ التحوّلات العصرية الحاصلة (نضوج في المهنة /

معرفة حدود العمل / محدودية المصادر) أوجبت التفكير وإعادة التفكير بإطار الموروثات وبقواعد العيش السائدة.

إنّها حالات تعوّد وتأقلم في النظر إلى المشكلة حيث أنّها تخصّ المرأة ككائن أكثر من اقتصار فهمها على أنّها سوء تفاهم أسري. ذلك أنّ العنف يتمّ في مجالها الخاص. ونلحظ بهذا الخصوص تقرير الأمم المتّحدة لعام 1995 الذي يرتكز على أنّ المرأة لم تكن يوماً في مجتمع من المجتمعات مساوية للرجل، ولا يفارقها ذاك الإحساس باللاطمأنينة الذي تنقله معها من مهدها إلى لحدها.

والشريك المعتدي لا ينفكّ يطلق (ويبدأ) بالعنف اللفظي وهو بدون أدنى شك يقلّل من القدرات ويحطّ من الإمكانيات، إنّه بداية الحرب النفسية خاصة إذا ما اقتنعت المرأة بدونيّتها وبقلّة إمكانياتها وقدراتها فتسير حتماً في وضعيّة الإستلاب التي طالما ركّز عليها د.م. حجازي.

وغالباً، وفي بلادنا بالذات، ما يقع فعل مواجهة العنف على عاتق المرأة المعنفة وحدها كون الفوارق هي فوارق فطرية والخروج عن الأدوار النمطية هو خروج على النظام الإلهي.

حملة الحق النسائي:

أطلقت محكمة النساء، المحكمة العربية الدائمة المناهضة للعنف ضدّ النساء، حملة الحق النسائي استكمالاً لأهداف جلسة الإستماع الأخيرة المتعلّقة بالعنف القانوني، وتهدف الحملة بشكل رئيسي إلى كسر طوق الصّمت المضروب على العنف المسلّط على المرأة العربية وبخاصة في مجال الأحوال الشخصية.

انطلقت الحملة في نهاية عام 1999 وهي اعتمدت استنفار وسائل الإعلام والتوعية والتربية والضّغط وتستهدف الرّأي العام وصانعي القرار السياسي والقانوني والإعلام في الدول العربية. تتمثّل أهداف ومطالب حملة الحق النسائي في:

1 ـ المساواة في طلب الطلاق وفي مفاعيله.

2 ـ توحيد المراجع القضائية وإجراءاتها.

3 ـ ضمان حقوق المرأة في الحضانة والولاية والمنزل الزوجي.

4 ـ العمل لإنشاء صندوق حكومي لضمان حق النفقة.

وعن التدخّل في لبنان: بالإضافة إلى جهود بعض المنظّمات الأهلية في المجتمع المدني ونشاطات الهيئة اللبنانية لمناهضة العنف ضدّ النساء نشير إلى حملة التوعية والتدريب التي نظّمها صندوق الأمم المتّحدة بالإشتراك مع «الهيئة اللبناينة» لمناهضة العنف ضدّ المرأة» في مراكز الخدمات الصّحيّة، بهدف مكافحة هذه الظاهرة عبر تعريف العاملين الإجتماعيين والممرضات والأطبّاء في تلك المراكز على هذه المشكلة الشائكة وعلى آثارها الصحية والنفسية. وقد ساهم مقدّمو الخدمات الصحية في استقصاء المعلومات من المتردّدات على المراكز وفي إزالة العوائق من أمامهنّ لخرق جدار الصّمت والحديث عن العنف الذي يتكبّدنه. وكشفت نتائج الحملة أشكال العنف الذي طال 33,68% من المتردّدات وعن نسبة وهي 23% عنف جسدي و30,6% عنف نفسي و14,6% ضرب و11,6% تهديد بأخذ الأولاد و14,6% تهديد بالطلاق و12% حرمان اقتصادي (النهار ـ الإثنين 29 ت2 2004)

ـ حاجة الإنسان إلى من يصغي إليه كي يتفهّمه ويتقبّله ومن ثمّ يرشده أو حتى يوجّهه بدأت ـ باستلهام من معطيات التحليل النفسي ـ تنتشر في كافة أنحاء العالم ويمكن القول أنّ «التأمرك» قد أعطاها صفتي الإسراع والحل. إذ أنّه ما بين عامي 1999 و2000 بلغت نسبة الإتصالات حوالي 50000 اتصالاً منها حوالي 38631 اتصالاً منها أي بنسبة 77% (مقابلة وجهاً لوجه أو عبر دردشة على الانترنت أو حتى عبر الخطوط الهاتفية الحارة). وفي لبنان بدأت هذا التواصل جمعية تنظيم الأسرة وتعدّت خدماتها الإرشاد حول الصحّة الإنجابية لتطال التوجيه لدى شرائح من المراهقين وأيضاً لمتزوّجين يعانون من مشاكل جنسية ونفسية.

ـ شبكة عمان لتحليل الإعلام والجندر وتامين التدريب الإعلامي للنساء في المنطقة.

ـ «إعلان بيروت» وهي مهمة وطنية عبارة عن ناشطين يسعون لإعلان

وثيقة تقدّم الحلول للمشاكل التي يعاني منها الوطن بهدف تأكيد التواصل بين اللبنانيين وإيجاد حلول لمشاكل لبنانية وخلافات مزمنة منذ الاستقلال حتى الحرب الأهلية. . . منذ سلم الطائف حتى ضياع الوطن تحت عبئين (عبء الدّين العام وغياب القرار الوطني الحر) بهدف إعادة الوطن إلى أهله وإعادة الأهل إلى الوطن. . .

هذا بالإضافة إلى ضرورة توعية المواطن لما يدور حوله والتعاضد مع المؤسّسات الإعلامية والإعلانية (النهار ـ الأربعاء 28 تموز 2004).

منشورات التوعية: وهي تهدف إلى تعزيز ثقافة المرأة ووعيها لحقوقها ونطرح على سبيل المثال:

1) فرنسا: حقوقك سيّدتي

Madame vous avez des droits! pour vous, femmes étrangères ou d'origine étrangère qui vivez en France.

وهو كتيّب موجّه للمرأة ذات الجنسية غير الفرنسية والتي تعيش في فرنسا ولتوعيتها على حقوقها داخل أسرتها في حال مواجهتها أزمات داخلها. تحذّرها من:

ـ تعدّد الزيجات.

ـ الزواج الإجباري.

ـ عدم حضانة أولادها (قانون 1990 / 1961) وحقّها في متابعة أمورهم حتى في حال حدوث الطلاق.

ـ عدم المساواة في الزواج والحقوق.

2) أميركا: عبر نصوص مشاريع خاصة مثال مشروع الشرق الأوسط للدّفاع عن حقوق المرأة من الإجحاف الذي تلاقيه في المجتمعات العربية، إلا أنّه مشروع ذو وصاية خارجية يجعلها تابعة مرتين. مرة: إجتماعية عبر معاناتها داخل المجتمع الذكوري من قمع وخضوع لتقاليد واعتراف لا يمسّ بها، مرّة أخرى: سياسية بحيث أنّ مصدر المشروع نفسه هو دولة تمارس نفسها أقسى أنواع التعذيب بحق نساء العراق (917 امرأة معتقلة = 38 منهنّ تحت سن 16

عاماً وقتل 168 امرأة في الفلوجة) هذا عدا سياسات التجويع والقمع في فلسطين عبر حليفتها إسرائيل.

ونشير إلى ضرورة قيام الحكومات بوضع استراتيجيات لتحقيق المساواة بين الجنسين عبر زيادة برامج الوعي للقضايا المتعلّقة بالمرأة كالعنف وجرائم الشرف والحد منها وتأمين فرص عمل للنساء وضرورة مشاركتهنّ في كافة المجالات وبالأخص في القطاع السياسي والأهم من هذا إعادة النظر في البرامج التعليمية للقضاء على «الصّور النمطية للمرأة كربّة منزل والرجل كمعيل للأسرة».

6 ـ خلاصة

التصنيع والتكنولوجيا: معبر ما بين العالمي / المجتمعي والشخصي.

العنف الناجم عن التصنيع والتكنولوجيا ـ معبر ما بين العام والخاص. لو لم تكن التكنولوجيا لما كنّا على ما نحن عليه من تطوّر وما ننعم به من تسهيلات لم يكن إنسان الزمن الماضي يحلم بها، وبفضل شدّة تطوّرها دخلت التكنولوجيا الحياة الإنسانية الخاصة: اقتحمت عالمنا فازدادت التساؤلات حول صلاحية الحياة الإجتماعية السابقة فهزّت القيم وتشعّبت المخاطر من جهة، وتسبّبت بعلاقات توتّر وأزمات نفسية من جهة أخرى (ربّما كانت نتيجة ازدياد العرض والطلب وتنوّع الإستهلاك وضيق الوقت).

لقد ساهمت التكنولوجيا بشكل مباشر في عملية إنتقال وتنقّل للقيم الإجتماعية: فقد تنقّل الـ Tabou (ولم نقل أنّه أزيح تماماً) وانتقل العنف معه عبر مدارات عدة، فالمحرّمات لم تعد هي هي في سلّم القيم، منها ما استبيح ومنها ما تحوّل. إلا أنّه يمكن القول انّ السلوك السلطوي الأبوي الذي كان ينجم قبلاً كردّة فعل على تخطّي المألوف تحوّل إلى سلوك عنفي من نوع آخر، ولا يُحكم أن يكون بالضرورة ما بين الأب وابنه بل ربما كان من الذات وإلى الذات كتعاطي المخدّرات والأمراض الفاتكة والإنهيارات العصبية، ومنهم ما يرصد ارتفاع نسب الطلاق... إنّها محنة الإنسان بين شعارات الحداثة والعولمة وبين نظمه الأولى.

من هنا أهمية الإنصات إليه والإستماع للمساعدة على حلّ مشاكله وهي خدمة لم تعمّم بعد (أنظر فقرة التدخّل ـ لبنان).

لقد تغيّرت العادات القديمة والعلاقات التي تربط الأبناء بآبائهم نتيجة الإنفتاح التكنولوجي بعد أن كان الزواج ربما يتمّ من دون حتى رؤية العروس.

إنّ عدم اكتمال التنظيم الإجتماعي المتمثّل بدخول تقنيّات العولمة إلى دول العالم الثالث وعدم القدرة على استيعابها أدّى إلى تسلّل روح استهلاكية مقلّدة ولا مفرّ من السقوط بفخّها، طالما أنّ لغة الإعلانات مؤكّدة ومصرّة والمجتمع الإستعراضي لا بد من أن يتأثّر ومن أن ينجرف من دون مناقشة المبادئ ومن دون اعتماد منهجيّة مسؤولة عند مواجهة الأخطار. . . فها هي ـ رغم تبريرها ـ تلك الألعاب العنفية (كألعاب الفيديو وبعض برامج التلفزة والألعاب اليدوية القتالية) تتحاشى الجّهد في حل التعقيدات وفي حل المشاكل للقضاء المباشر على السبب بهدف الأنغماس في اللعب وعدم مناقشة المبادئ. إنّها ألعاب تعمل جاهدة لإزالة الحواجز كلّها لبلوغ الغاية دون الخوف من تحمّل مخاطرها.

والقتل (قتل القوي للضعيف) مبرّر: تكنولوجيا رائعة لم تعهدها الأجيال السابقة، فدمية اليوم التي لا تملك الثراء لا تواكب الموضة. وهي دمية تجذب وتثير على التخيّل وتعزيز رغبات الأمومة إلا أنّها ليست ملك الطفل الفقير في بلادنا. . . التكنولوجيا بعالمها الخاص صار الجميع مرغم على اللحاق بها وبتطوّراتها. وبعد أن كانت اللعبة تشبه الطفل أصبح الطفل يشبه لعبتة.

إلا أنّه ومن نواحٍ أخرى فإنّ التكنولوجيا كانت عاملاً عامّاً وسيطاً لضبط العنف السياسي. نذكر على سبيل المثال، أن التصويت والفرز الإلكتروني يحدّ من القبليّة وهي وسيلة شهدتها أميركا وأوروبا ولاقت الكثير من الإستحسان وفي حال طبّقت فإنّ نتائجها تظهر على صعد عدّة:

على الصعيد الإقتصادي: تحدّ من النفقات.

على الصعيد الأمني: تزيد من صدقية الإنتخابات التي لا يمكن الحصول

عليها من خلال العدّ اليدوي والأغلاط التي تنتج منه، كما تمنع عمليات التزوير.

على الصعيد الزمني: تسريع عملية النتائج بعد إغلاق مكاتب الإقتراع.

ولتحقيق هذه الفكرة يجب تواجد الإرادة السياسية الواضحة والمصمّمة على عدم حصول أي تلاعب بالأصوات.

ا ـ العنف المكاني ـ معبر ما بين العالم والخاص ـ

المكان هو الحي ـ المنطقة ـ المدينة هو المسكن أيضاً، وطالما أنّ البنية النفسية للفرد لا بدّ لها من أن تخزّن الوقائع والأحداث، ليس فقط عبر الوجدان بل أنّه أي الوجدان يرتبط بل يندمج مع البنية المادّية حيث يصبح الإطار للدّفق العاطفي، فإنّ المكان هو الحيّز الذي يلعب دور التواصل والإحتواء على السواء. وطالما أنّه «صلة الوصل» فإنّ عدائية الداخل لا بدّ من أن تنمو وتشتدّ تبعاً، ليس فقط لاحتوائها المعنوي بل لاحتوائها المكاني أي المادي والمرتبط بفكرة الزمن. ويصبح المكان هو مكان عبور إذا ما قسنا خلاله العقل العنفي الذي طالما التزم بفكرة التمدّد المديني وبفكرة الوسط الإقتصادي ـ الإجتماعي.

ولمزيد من إيضاح هذا المحور سندخل في تفاصيل أمثلة أربعة نأخذها كدلالة تعبّر عن الإطار الذي يتشكّل فيه العبور ما بين الخاص والعام والعكس صحيح (وفي لبنان بالذات).

ا) بيروت ـ المدينة: بتاريخ 31/ 5/ 2004، ترجمت «نسرين ناضر» ما كتبه «فاروخارونس» عن بيروت: «انبعاث مدينة فوضوية: بيروت، الجميلة الرعناء» عن «أل بايس سيمانال» ـ مدريد، والذي يركّز فيها على تحوّلات مدينة في مرحلة الحرب الأهلية إذ تحوّلت من مدينة الجمال، قصيدة الشعراء، جامعة القلوب، حبيبة جميع الجنسيات، إلى مدينة الأقنعة والأنقاض وخطوط التماس الدينية والفاصل ما بين الشرق والغرب. ويقول أنّ تخطّي الحدود المجالية لأطراف النّزاع برز عبر فعل القتل، والتهجير فكان القتل على الهوية وكان أيضاً كسر مركز المدينة وتلاقي الحضارات الذي أصبح حتى بعد ترميمه اليوم، وحسب قوله ـ قد تحوّل إلى مجال للإحتكار التجاري «للتلهفات على

الموضة والقادمات من بلدان قريبة أخرى. وكانت إعادة التمركز الذي يقوم على ميل أفراد كل طائفة إلى التجمّع في بقعة جغرافية محدّدة فضلاً عن الإنفصال المناطقي نتيجة تردّي الأوضاع الإقتصادية. فهناك تغزو السيارات الفخمة ويغزو أصحاب المليارات وهناك أحزمة البؤس التي انتشرت حول بيروت، خاصة من جهة ضاحيتها الجنوبية ونتيجة للإجتياح الإسرائيلي فأقاموا في أحياء حمّلوها أسماء قراهم التي تهجّروا منها، وهي أحياء تتّسم بالمباني التي تبتعد عن الهندسة والتنظيم وتقترب من الفقر والتناحر وكل ما له صلة بجمع الأضداد. هم متضامنون ومتناحرون في الوقت نفسه: يتضامنون ضدّ الدولة ويستقوون عليها بعصبياتهم، لكنّهم يتناحرون فيما بينهم متباهين بقواهم العدديّة والجسديّة ويختلفون لأتفه الأسباب. إنّه عنف مكاني يمارسونه بحق أنفسهم وبحق الغرباء عن تلك المنطقة وبالأخص بحق الدولة ومؤسّساتها ويغدو عنف مجتمعي يتمثّل بارتفاع نسبة البطالة والأمّية والتمسّك بمفهوم خاطئ للدفاع عن النفس عبر طابع جسدي يعتبر الممرّ إلى العلاقات الإجتماعية ومحدّدها... (البلد عدد 174 ـ 19 حزيران 2004). وبمعزل عن حي السلم أو غيره، مدينتنا بيروت أصابتها وللأسف تخمة الإسمنت خلافاً لأي قانون معماري... فقد تحوّلت بيروت الحلم إلى كابوس بنظر من عرفها وعايشها قبل الحرب... إنّه كابوس العنف اللامتناهي المعاني...

2) هاجس البيئة ما بين الحفاظ عليها وتدميرها وهي عديدة ومتنوعة، نأخذ منها على سبيل المثال التلوّث من المصانع وطالما جرى الحديث عنه والبحث فيه، وهاجس الكسارات التي يعاد تشغيلها من وقت لآخر دون أي اعتبار للمخاطر التي قد تنجم عنها. هذا الهاجس الأخير سنختار التطرّق إليه إذ أنّ أبناء البلدات المقصودة والمعنّفة بيئياً تعيش باستمرار خطر تحويلها، فهي لم تترك باباً إلا وطرقته عبر توجيه رسائل متكرّرة ألى كل الوزارات من الزراعة إلى الصحة والسياحة لوضع حد لهذا العنف المدمّر لكنّه المفيد لجيوب المستفيدين (كبلدة «وطى الجوز» ـ البلد ـ 16 آب 2004 عدد 232) بحيث يتمّ قضم الصخور القديمة الشامخة منذ آلاف السنين إضافة إلى تأثّر المزروعات والناس من جرّاء الغبار والضّرر الذي سيلحق بخزّانات المياه الجوفية التي تغذّي منطة كسروان وهذا حكماً ما سينعكس على إفراغ وتهجير الأهالي.

3) ارتفاع نسبة العاملين الأجانب: وهو موضوع علائقي - إقتصادي فيه عنف وتعنيف متلازمين من قبل الطرفين ونوجز أهم أطره عبر النقاط التالية:

ا - 3. مرارة الغربة وصعوبة العيش ممّا يدفعهم إلى العيش في أماكن وتكتّلات خاصة دون المستوى المعيشي بحدوده الدنيا دون أي مانع من الزواج وإعادة الزواج والطلاق (مع ارتفاع نسبه).

2 - 3. صراعات الذكر والأنثى إمّا على نتاج النهار أو على علاقات أخرى وكلّها تستدعي ضحايا... وربّما كانوا أطفالهم بالذات أو حتى مأساة سفرهم من الأساس وتركهم لأطفالهم ربما الرّضّع.

3 - 3. اللجوء إلى العقائد الوهميّة والسحر والخرافات لحل مشاكلهم حتى داخل منازل مخدعهم مبرّرين العنف في المعاملة نحوهم أو غير ذلك (معابد في النهار وحانات في الليل... قتل عمدي إلخ) (البلد - 26 آب 2004 - عدد 232).

4 - 3. الإقتناع بجو سائد من «المسموحات» في لبنان لا يمكن أن يتواجد في بلدان أخرى... «كل ليلة اعمل مشكلة... كلو عطول هيك...». هو جو تبريري يتصاعد من العنف ويعود إليه...

عنف الملعب خاصة إذا ما أقيمت المباراة ما بين خصمين لدودين فينتج عنها كافة مشاعر العدائية المكبوتة وتتفجّر على أرض الملعب مقابل جمهور لبناني متعلّق بأنواع الرياضة... وتصبح حينذاك مباراة الثّأر والإنتقام فتشتعل قلوب المشجّعين وتثأر النفوس... ويبرز العنف اللفظي ورفع الشعارات المعادية في المدرّجات وخارجها... والجسدي بالركل والضرب وأيضاً إهراق أو إتلاف ممتلكات المكان ومحتوياته... وتتدرج في أعمال الشّغب والعدوانية... ممّا يسقط كل ما يسمّى بالروح الرياضية التي تتجسّد كلّها داخل مكان اللعب، فتتحوّل الرياضة كفعل ترفيهي هادئ وتنافسي إيجابي إلى حلبة صراع عدوانية عنيفة وهو موضوع يطول الحديث فيه بحدّ ذاته...

السفر تركت الحرب اللبنانية آثارها تتجلّ بالأوضاع الإقتصادية

والمعيشية والسياسية الصعبة فدفعت الشباب للتفكير بالسفر بأعداد كبيرة. فأصبح السفر حلم كل لبناني للهروب من الأزمات خاصة الشباب والذكور هرباً من الخدمة العسكرية ومن البطالة، فيفرغ الوطن من أبنائه سعياً منهم إلى إيجاد فرص تتناسب مع طموحاتهم، إلا أنهم في أحيانٍ أخرى تسيطر عليهم مشاعر الشوق فيعودون أسرع إلى أرض الوطن حيث صرّح الكثير بحلم يزداد في غربتهم «شراء قطعة أرض أبني عليها منزلي الخاص في قلب الطبيعة وبالحجر الصخري التراثي» «فالمسافر ـ المهاجر ـ يتعذّب نفسياً ويعاني بعض الذلّ كونه غريب». (النهار 11 آب 2004).

البطالة أدّت الضائقة الإقتصادية والسياسية إلى ارتفاع البطالة لدى الشباب الجامعي على الأخص، فالخرّيجون في ازدياد مطلق وينتظرون الإعلان عن وظيفة خاصة في الدولة حتى لو انهم سيضطرّون للتوفيق بين العلم والعمل. . . لكنّه عمل غير مرضٍ في كل الأحوال دون توقّف الطموح في الحصول على الشهادة والدبلوم أملاً بالترقّي. إن عدم إيجاد فرص عمل للخرّيجين من شأنها زيادة خيبات الامل والإحباط والهجرات ممّا يؤثّر على تقدّم المجتمع وتطوّره. أزمة تحتاج إلى حل وتعميم التوجيه المهني وإرشادهم.

ولا يتعلّق الأمر بعمل الخريجين بل أيضاً بتدنّي المستويات الإقتصادية للأهل وعدم قدرتهم على الإستجابة لميول أولادهم الجامعية وكثرة المؤسسات الأكاديمية العالية لكن بتوجّه تجاري بهدف الرّبح السريع.

«الشباب والمدينة والعنف»

يمثّل الشباب فئة عمرية لها مميّزات وخصائص وثقافة خاصة، وتعتبر عصب الدورة الإنتاجية في المجتمع ومرآة المستقبل، لكن هذه الفئة تتخبّط في مشاكل دفعتها للإنحراف وارتفاع نسبة الجرائم لديها، خاصة أولئك الذين يسكنون في المدينة، في هذه المقالة يتمّ التطرّق للعلاقة القائمة بين الشباب والمدينة، وارتفاع نسبة العنف فيها.

إنّ الشباب في العصر الحالي عصر الحياة السريعة، لهم حاجات ومشكلات يجدر الإهتمام بها، بالأخص أنّ هذا العصر يتطلّب من الفرد أن

يكون ناجحاً من الناحية المادية ليسير في ركب العولمة؛ أمّا إذا كان غير ذلك فيهمش ويُنظر إليه على أنّه فاشل، فينتج عن هذا التقسيم الذي أوجدته الحياة الحديثة مشاكل وأزمات على الصعيد الشخصي قد تتفاقم وتصل إلى حدود الظواهر الإجتماعية المتفجّرة في حال عدم معالجتها بطرق جذريّة. وهذا ما يحصل في الوقت الحالي في المدن العربية حيث الإرتفاع الجنوني في عدد السكّان النازحين إليها بحيث «ازدادت نسبتها المئويّة لمجموع سكاّن القطر حتى أنّها تجاوزت 50 بالمائة كما هو الحال في مدينتي بيروت والكويت»[1] رغبة في رفع المستوى الإقتصادي والإجتماعي، لكن هذه الكثافة السكّانية أدّت إلى تقسيم المدينة لجزئين لعدم القدرة على استيعاب الجميع بطريقة متساوية، الجزء الأول هو الأحياء الشعبية التي لا تتوافر فيها الخدمات الحياتية بطريقة معقولة، والجزء الثاني يتمثّل بالأحياء المريحة التي تتوفّر فيها كل ما يتطلّبه الفرد. هذا التجزيء المديني كان له الأثر على الصعيد النفسي الفردي والجماعي من ناحية الشعور بالفروقات والتمييز، بالأخص أنّ الحكومات لم تلجأ إلى معالجتها بطريقة جذريّة، إنّما لجأت إلى الترقيع بمعنى أو بآخر. وهذا ما ادّى لانتشار العنف وارتفاع نسبة الجرائم العنيفة.

«فالعنف فعل يصدر عن فرد أو جماعة بهدف إلحاق الأذى الجسمي بالآخرين»، وقد يكون هذا الفعل مخطّطاً له أو حصل بطريقة عفوية، والعنف لا يتمثّل فقط بالقوة الجسدية بل له أشكال عدة كالعنف الإعلامي ـ السياسي ـ المجتمعي، وحتى مظاهر العنف تظهر في الرياضة مثل الملاكمة والمصارعة وفي الموسيقى والرّقص. ولكن ليس فعل عنفي هو جريمة بل يختلف هذا الأمر حسب سياسة وقانون كل دولة، فالبعض يعتبر أنّ الإنتفاضات هي جرائم عنيفة والبعض الآخر يعتبرها كفاح وطني؛ هذا الإختلاف في الآراء ناتج عن مصالح وسياسة كل فرد أو مجموعة أو دولة. إلا أنّ تعريف جرائم العنف هو «القيام بالفعل أو التهديد بالقيام بالفعل الذي يتضمّن استخدام القوة بهدف إلحاق الأذى والضّرر بأشخاص أو أشياء»، وترتفع بشكل عام نسبة الجرائم في المدينة لعدة ظروف وأسباب منها التنوّع الديني والثقافي والفئوي وعدم وجود

(1) ص. 290.

علاقات إجتماعية قويّة بين سكّان الحي الواحد الأمر الذي يهدّد الضبط الإجتماعي، بينما وجود أو انتماء الفرد إلى جماعة يتفّق معها ويعرف أفرادها معرفة شخصية يساعد على التمسّك بالقوانين وبالضّبط الإجتماعي، فضلاً عن تعقد الحياة المدنية والضّغط المتواصل على الأفراد لتأمين متطلبات الحياة، والكثافة السكانية الهائلة التي تعاني منها المدن العربية دفعت بالدول للإهتمام بالجوانب المادية، وإن كان ليس على قدر كاف ومتساو بين الجميع بالإضافة إلى إهمال الحاجات الإنسانية الهامة التي من شأنها أن تؤدّي لظهور ولتفاقم العديد من المشكلات الإجتماعية التي لا يمكن للمسؤولين فيما بعد حلّها مثل عصابات السطو على المنازل وسرقة السيارات؛ فأفراد هذه العصابات هم من صغار السن المتعثّرين في دراستهم، لذا فمستوى الإهتمام من قبل المسؤولين يجب أن يصبّ على حاجات الصغار النفسية والإجتماعية خاصة أنّ المدن العربية تتميّز بإرتفاع نسبة صغار السن. إنّ هذه الفئة العمرية تعاني من نفس المشكلة حتى في المدن الأوروبية وإن اختلفت نسبها عن المدن العربية، وقد حصلت عدة مؤتمرات ودراسات حول هذا الموضوع في الولايات المتّحدة الأميريكية من جهة وليبيا من جهة أخرى وقد أظهرت هذه الدراسات تقارب من ناحية عناصر الجريمة كارتفاع الجرائم في المدن، خاصة في الفترات التي شهدت إقبالاً وتضخّماً سكّانياً كثيفاً ولدى الشباب من عمر 15 ـ 28 سنة، وارتفاعها لدى الذكور الساكنين في الأحياء القديمة الشعبية والمكتظّة سكنياً، والمتحدّرين من أسر محدودة الدّخل والتعليم، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على أن ظاهرة العنف ليس لها طابع محلي أو إقليمي بل أضحت ظاهرة عالمية يجدر معالجتها، لأنّ جرائم العنف أخذت بالإزدياد بالأخص في المدن العربية لتباين الثقافات داخل المدينة الواحدة، وإهمال الحاجات الإنسانية الأساسية، والأخذ بالمظاهر المادية للغرب وترك القيم والمعايير والتقاليد العربية جانباً؛ لذا وجب على المسؤولين النظر إلى الجانب الإنساني للمواطن بشكل علام وللشباب بشكل خاص.

في العنف المكاني يتجلّى الصراع في مجال العمارة ما بين الوعي الجمالي للمكان وزحف الطراز الدولي للبناية المعلبة المعولمة. ما بين التوزيع الديموغرافي للمكان وانتمائه الإقتصادي ـ الإجتماعي. فالأمكنة وإن تشابهت فإنّها تتنوّع

وتتعدّد دائماً تبعاً للمسار الإجتماعي والثقافي والتاريخي الذي يحكمها. . .

الأنماط الزاحفة هي جزء من العنف الإجتماعي العام والكتابة المعمارية عنها لا يمكن أن تكون إلا بوعي مقاوم للإقتحام المكاني لأنّه لا بدّ من أن ينجم عنه اقتحام إجتماعي ـ ثقافي.

ويرى «رهيف فيّاض» في هذا الإطار أنّنا نواجه تيّاراً يفرض لغة واحدة. فالتحوّل الذي حصل عندنا قاتل إلى حد بعيد في ما يتعلّق بضرورة الإستمرار بين التطوّر والحفاظ على شيء من الذاكرة. . . هي عملية قطع فظيعة لا تنفع في معالجتنا للذاكرة. . . التي فقدت لأنّنا فقدنا فيها الخصوصية. . . الحنين البكائي هامشي التأثير. . . وعمارة الزي العالمي الموحّد، تصنع كل المجال.

إن المشروع المعماري ارتبط بالثورات الصناعية التي انتجت الأيدولوجيات ومنها الحداثة في العمارة، تماماً كما أنتجت في الوقت ذاته الكولونياليه والإمبرياليّة والعولمة. . . والمشروع المعماري المعاصر فيمكن تحديده ليس فقط بالموقع الجغرافي والتضاريس والتوجّه. . . بل أيضاً بالعلاقة مع المحيط، مع الـ «نحن». . . ببعد وظائفي وتقني في الوقت نفسه. والمحيط له أبعاد إنسانية / إقتصادية / إجتماعية ـ أيديولوجية وبرأيه أن العمارة التي تصلنا من بلدان المركز هي عمارة منمطة، تفرض علينا تارة ونختارها تارة. . . هي حمّى البناء. . . إنّها رأس المال بغطرسته وبلا أخلاقيّته. . . «ولا يتجلّى تكامل المعطيات في المنتج المعماري، إلا عندما تتمّ السيطرة الكاملة على المشروع. . . عندها فقط، يمكن للعمارة أن تصبح قيمة ثقافية دائمة». . . «إنّ تصوّر الإشكالية المعمارية بشموليّتها عندنا، عليه أن يتمّ داخل خاصيّات المجال في المجتمع المقاوم. وذلك كي ننمّي عندنا معرفة مهنية مقاومة، تحرّرية، في تعليم العمارة وفي إنتاجها، منفتحة على المعرفة، وعلى العلم الذي يرقي بالناس، ولا يُسخّر لخدمة الغطرسة والعسكرة المعولمة. ومنفتحة على التقدّم، ذي المضمون الإنساني الحقيقي، الذي يرفع مستوى حياة الناس، ولا يفقر معظمهم، وبعيدة عن أي تزمت أو ظلامية يرفضها معظمنا». . . (رهيف فيّاض ـ العمارة ووعي المكان ـ دار الفارابي ـ بيروت 2004).

والإقتراح الذي يمكن العمل عليه، وهو عمل منتج يقوم على «إفساح المكان للفرد وبناء المواطنة وإعادة ترميم الذوق وتحريض الوعي والخيال، وبعث ضمير المتكلّم ومخاطبة كل الحواس، وتشجيع الإختلاف والقبول بالآخر»... من هنا المراهنة (زوايا عدد 10 ـ 11 ـ ك2 2005) على نخبة معيّنة... أوليس للمعنّف ـ المعماري ـ (الاكاديمي والمهني) دور هام كي لا نبقى «غرباء» وكي نستعيد ذاكرتنا وكلّها علاجات ضدّ العنف... العنف بصفاته الحديثة والمعاصرة.

وبقدرته الهائلة، الصناعية والمتنامية بفعل التطوّر التكنولوجي التي قنّعت الحرية الفردية وحدّت منها بحجّة المستلزمات والمستوجبات التقنية والإقتصادية التي لم يزل ينظر إليها في إطار الخدمة والمنفعة التي لا مناص منها (inéluctable) دون أن نلحظ أنّها حطّمت الفرد عبر حيميته أي من أعمق داخله.

الفصل الثاني

العنف الأسري:
أساس العملية الإنتقالية والتحويلية

1 ـ تعريف العنف الأسري

2 ـ الواقع الإقتصادي والإجتماعي للمرأة وأثره على ظاهرة العنف

3 ـ ما بين العنف والحب

4 ـ في مفهوم العنف الزوجي وتقييم قساوته

5 ـ العنف الأسري الموجّه ضدّ المرأة

6 ـ العنف الأسري الموجّه ضدّ الأطفال

1 ـ تعريف العنف الأسري

إتّسم العقدان الأخيران بنمو ظاهرة العنف كسلوك يميّز طابع العلاقات الإجتماعية وأنماط التفاعل القائمة بين الأفراد والجماعات في المجتمع والأسرة. وممّا ساعد هذه الظاهرة على الإنتشار، الواقع الإقتصادي الرّاهن للمجتمع اللبناني إضافة إلى مجمل السياسات التي تخلق مناخاً مشجّعاً للممارسات العنيفة على المستويان الإجتماعي والسياسي.

العنف الأسري هو أكثر أشكال العنف تأثيراً عل الفرد وتأثيراً على المجتمع.

فهو يهدّد أمن العائلة والأسرة والسلام الإجتماعي؛ ويعتبر العنف أنّه سلوك عدواني إنتقالي من... إلى... من المجتمع إلى الفرد... ومن الفرد إلى المجتمع ويتّسم بالقهر والظلم والعدوان على المرأة.

العنف الزوجي وأحواله في الكلام والأجساد:

تطالعنا الأخبار العالمية والمحلية بحالات عنف تحدث بين الأزواج. إنّه العنف الزوجي بأنواعه المتعدّدة (الجسدي، النفسي، الإقتصادي). يتميّز العنف الزوجي عن الشجار أو الخلاف اليومي، ولا يمكن مطابقته مع سوء التفاهم بين الزوجين. فالعنف الزوجي هو جهاز لعلاقة، وفيه أن أحد الزوجين يستعمل التخويف، التهديد، والضرب، والمراقبة للوقت والمال، وكل وسيلة ممكنة لمراقبة الآخر.

ولا دخل للعنف الزوجي بالحب، فالشريك العنيف لا يتحمّل من الآخر الموافقة تماماً على شروط الآخر، ولا القدرة على التخلّص منه، أو أن يعيش بعض الشيء خارجاً عنه؛ وهذا ما يقابله في تركيبة متعدّدة للشخصية وللمظاهر التي هي متنوّعة أيضاً؛ بالنسبة للبعض، فهذه هي الطريقة الوحيدة، التي من خلالها يكون الإستعداد لإقامة علاقة.

يخص العنف كل نماذج الأزواج: متزوّج أو غير متزوّج، الكبار، الشباب، المثليي الجنس أو غيرهم... وتشير الدراسات المختلفة إلى وجود نماذج تقليدية للعنف منها ما هو جسدي، ونفسي، وجنسي، وإقتصادي.

يتمثّل العنف الجسدي بتقنيّات وفنون قتالية مختلفة: ضرب مباشر، قذف بأشياء أخرى، الرمي أرضاً أو باتجاه الحائط، التلاسن بالعبارات المهينة والتجريح بقصد النيل من الطرف الآخر.

أمّا بخصوص العنف النفسي، فالصورة تختلف، باتّجاه الإذلال والتهديد، والإبتزاز، والإهانة، إضافة إلى الشك ومراقبة الوقت.

كما يحضر العنف الزوجي في ممارسة الجنس بطريقة عنيفة، مع فرض الممارسة بوضعية غير لائقة بهدف الإذلال.

ويشتمل العنف الإقتصادي على المراقبة، فنجد بأنّ الشخص ليس حرّاً في تنظيم معاشه، والتصرّف به لجهة شراء الحاجيات وفق الرغبات وما شابه ذلك، والقائمة تطول وتتشعّب؛ والذي يؤسّس العنف هو الإعتداءات الصغيرة المتكرّرة المرتكبة في سياق المعاشرة.

يعرّف قانون الجزاء العنف الزوجي بأنّه جنحة وعند الإقتضاء يعاقب الفاعل قضائيّاً، وبالمعنى الجزائي، يدخل العنف الزوجي في إطار العنف الإرادي، فكلّ عنف زوجي يتمّ عبر قريب يشكّل ما يسمّى ظروفاً مشدّدة للعقوبة، ممّا يعني أنّ القصاص الذي يستحقّه سيكون مهمّاً.

القضاة في المحاكم الشرعية المهتمّون بحالات العنف الزوجي:

يعتبر الشيخ أو الخوري، حسب طائفة المعنّفين، هو المرجع الذي يحاول فضّ النزاعات بين الزوجين قبل اتّخاذ آخر خطوة يمكن اللجوء إليها، في حال

عدم التوصّل إلى حلّ للمشكلة، وهي الطلاق؛ حيث يتوجّه كل فرد من أفراد المجموعة نحو المحاكم المختصّة بقضايا الفصل بين الزوجين (الطلاق). إنّ الأديان السماوية كافة تحترم حقوق المرأة وترعاها وتصنّفها كشخص مهم يمثّل نصف المجتمع كما أنّ الرجل يمثّل النصف الآخر.

أمّا في حالات العنف ضدّ المرأة من قبل الزوج، فلا يوجد دين من الأديان يسمح بالعنف الذي تتعرّض له المرأة من قبل الزوج لأنّ أساس الحياة الزوجية هو الإحترام المتبادل والأخلاق والتفاهم.

وفي حال حدوث تعنيف فإنّ القاضي المختص يهتم بالموضوع ويحاول معالجته بالتي هي أحسن للمحافظة على كرامة المرأة، لأنّها تلعب دوراً مهمّاً في تكوين الأسرة وتطوير المجتمع وتربية جيل المستقبل.

الإستشهاد بقول النبي محمّد (صلّ الله عليه وسلّم) بأنّه أوصى بالمرأة وكرّمها ولم يحرمها من أي حق من حقوقها التي بدأت تتلاشى مع الزمان، والحالات المتعدّدة اليوم هي خير برهان على ذلك:

من أهم التحدّيات التي تطرح لدى الحديث عن العنف الموجّه ضدّ النساء، هي معرفة طبيعة الأسرة النواتية ونوع الملجأ ـ الحماية التي تتوجّه إليه لمساعدتها على تحسين وضعها. وممّا لا شكّ فيه أنّ التواصل يمكن أن يلعب دوره في الحلّ.

ونميّز بهذا الخصوص نوعين من التدخّل: التدخّل مع الأسرة المأزومة أو التدخّل مع المرأة المعنّفة مباشرة، وهذا الأخير يكون عادة في حال تواجد العنف المباشر ضدّ المرأة.

إلا أنّه يجب التركيز على تعميم الحالة الوقائية خاصة في الوسط المدرسي وعبر البرامج المدرسية والجامعية وبرامج التوجيه المهني (نلحظ أهمية الإستقلالية المادية...) كما تجدر الإشارة إلى أنّ الدعم ـ مهما كان من الأهل والأصدقاء أو من المؤسّسات فتقلّ أهميّته كلما تزايدت حدّة العنف.

إنّ غالبية التقارير والدراسات ـ وعلى وجه الخصوص في لبنان والبلدان العربية ـ لا تتضمّن أرقاماً ومعلومات عن حجم ظاهرة العنف، ذلك أنّ حياة

النساء داخل الأسرة ما زالت في حيز المحرّم وخصوصيّتها في حيّز السرّ المقدّس؛ وهو عنف أساسي يقوم على إنكار حقّها طالما أنّه يجري تدبّر العنف داخل الأسرة فهذا لا يعني سوى افتقار للترجمة العملية للتطوّر الذي يعيشه وتعيشه المرأة في حياتها اليومية. إنّ التعمّق في واقع المرأة وخرقنا للمظاهر، يوصلنا إلى عمق المشكلة والإزدواجية التي لا تسمح للمرأة بأن تحظى بمكتسبات تساعدها على تخطّي المظاهر الشكلية الغوغائية على شكل موضة موسمية، كي نصل إلى عمق المشكلة التي لا تحلّ فقط عبر خطاب يدعم تحسين مكانة النساء في المجتمع. وتحدّد الجمعية العامة للأمم المتّحدة العنف المنزلي على أنّه «أي فعل عنيف قائم على أساس الجنس، ينجم عنه أو محتمل أن ينجم عنه أذى أو معاناة جنسية أو جسدية أو نفسية للمرأة، بما في ذلك التهديد باقتراف مثل هذا الفعل أو الإكراه أو الحرمان التعسّفي من الحريّة، سواء وقع ذلك في الحياة العامة أوالخاصة».

يعتمد العنف الأسري مقولتي التأديب وتقويم الإعوجاج. ويتّخذ أشكالاً عديدة كالضرب والتشويه والإغتصاب والتهديد والألفاظ النابية والإهانة، إلى الطرد من المنزل ومنع الأم من حضانة أولادها فإلى جرائم الشرف. ويقول المحامي «هارلي البستاني» نقلاً عن النهار الصادر بتاريخ 29 ت2 . . 2004. «ما يلتئم جسديّاً يبقى جرحاً مفتوحاً في النفس، ينزف دائماً». . . وفي حال التجرّؤ واللجوء إلى المخفر فإنّ رتباء التحقيق ميّالون إلى تبرير الأب أو الزوج متذرّعين بعدم أهليّتهم للتدخّل في القضايا الخاصة.

وتبرز الحاجة إلى قانون خاص ينظّم شؤون الأسرة. فالقانون العام هو عن رعاية كل القضايا العائلية رعاية كاملة بكافة تفاصيلها وحيثياتها. ما بين أبوّة مستبدّة وصارمة وما بين الأبوّة المستحدثة يمكن أن تترجرج علاقات الإحترام لكنّه ممّا لا شكّ فيه فإنّ صورة الشريك لا تخرج عن هوامات العلائقيات الأسرية الأولى. . .

ويظهر العنف الأسري عبر وجوه عدّة، فبالإضافة إلى العنف بين الزوجين، هناك عنف الأهل تجاه أبنائهم والعكس، وهو في النوعين الأخيرين يتضمّن أشكال عدّة: فالأولاد يعانون أصلاً من انفصال والديهم خاصة إذا

كان قد تمّ خارج إطار التفاهم والتخطيط لعدم إيذاء الأبناء «كي لا يضرسون»... وتكثر الحالات المتأزّمة على الصعيد العلائقي في المؤسّسات التربوية (حيث تنعكس نتائج عقم العلائقية الأسرية على المحيط المدرسي مباشرة والتي يمكن لمرشد النفس ـ إجتماعي أن يرصدها بشكل مباشر) وغيرها...

ويمكن القول أنّ تقبّل الآخر وتبادل الإحترام معه هو مفتاح العلاقات الإيجابية ويراه البعض متعارضاً مع مفهوم السلطة ممّا ينعكس على عدم القدرة في إقامة الحوارات الناجحة والواعية بين الطرفين (الأهل والأبناء).

إلا أنّنا نرصد الواقع الإقتصادي المتردّي الذي لا يلبّي تشعّب الإحتياجات المعاصرة، فيكون إمّا:

أ ـ التعب والضّنى من قبل الأهل في محاولاتهم المستمرّة لتأمين عيش لائق لأبنائهم.

ب ـ أو ترك المجال أمام الأبناء للمساهمة في السعي للرزق ممّا يمكن أن يبدّل في صورة السلطة فترتسم أخرى أكثر انفتاحاً وربما أكثر انهيارية ونجدها في صورها القصوى مع أهل هؤلاء «الفنانات» والفنّانون الحاليون... خياراتهم لأقصر الطرق التي تسمح لهم بدخول باب الشهرة وقتل الفقر وإنهاض مستوى معيشة الأسرة...

إنّ العنف الأسري مهما كان نوعه (خاصة إذا ما وجّه ضدّ الأبناء أو نجم بفعل قصور إجتماعي ـ إقتصادي عائلي) يشكّل حالة رفض من المجتمع التي يعتبرها بدعة أو فعل عقل ناقص... إنّها ردّة فعل على عقدة نقص وحب للفت الأنظار... ونذكر هنا ظاهرة الوشم المتنامية وهي إما فعل الخروج عن الرقابة لا بل تحدّيها وإمّا مجابهة واقع أسري مفكّك وإمّا ردّة فعل على حالة لا طموح وكمون يعيشها الشاب...

ويحدّد J.P. Durif-Varembont العنف الأسري بأنّه عنف علائقي يتميّز عن غيره من أنواع العنف الأخرى والتي لم يحدّد فاعلها بوضوح، ففي الأولى يصدر الفعل العنفي عن شخص نعرفه ممّا يستتبع ـ وبالضرورة ـ صدمة نتائجها هلعية.

إنّه عنف ينتهك قوانين القرابة والروابط، فيجرّ معه آثار تتّسم بفقدان الثقة بالذات وبالآخر وبزعزعة بيان الهوية الداخلية ـ حيث تدخل عدة عناصر سيكولوجية وإجتماعية وثقافية وإقتصادية مما يستدعي معالجة الموضوع من عدّة وجهات نظر متعدّدة الأنظمة.

ويرى Durif-Varembont أهمية التدخّل القانوني الإجتماعي لإيقاف دائرة العنف للفاعل كما هو للضحية... هو الذي يحمي الأشخاص مَن هم عُرضة للإنتهاك والأكثر عرضة للعنف وهو الذي يساعد على استدراك الحقائق والتميز ما بين الفاعل والضحية.

وفي وصفه للعملية العنفية فإنّه يعتبرها تنجم عن علاقة أو عن رابط معقّد «اغترابي» و«نزواتي» يعبّر عنه برمزية في المواقف والأفعال... لا يمكن فيه للكلام (les paroles) أن يفعل فعل السحر... إذ انّه لا يمكن البوح بكل شيء...

(J.P. Durif-Varembont - violences «relationnelles»: effets post-trausmatiques et transformation des livres - colloque sur la violence entre le public et le privé - Beyrouth Novembre 2005).

يحتضن العنف خلال «فترة» (incubation) فيتظاهر فيها بالنسيان ـ الرمزي، الذي ما هو إلا تكوّن مباشر في التصوّرات الداخلية التي تدوم طويلاً بطبعها متحوّلة... ومتنقّلة... ويحلّ الكره فيها محل الحب، وتنعدم الثقة في ظل علاقة ذاتية (يفضّل بقاؤها على عدمه) ومنحرفة، ذات منشأ سادو ـ مازوشي ـ غالباً ما تنتقل مع أشخاص كانوا أهلهم عرضة لهذا النوع من العلاقات، فيحملوها في أعماقهم ويستعيدونها عبر علاقاتهم الشخصية مرّة جديدة.

2 ـ الواقع الإقتصادي والإجتماعي للمراة وأثره على ظاهرة العنف

يمكن القول أنّ عوامل الفقر والتهميش والأمية تعزّز تأجيج العنف إذ يكون من الصّعب جدّاً على النساء اللواتي يرزحن تحت وطأة العوز والجهل مجابهة واقع عنفي مما يمنعهنّ من التمتّع بالحماية أو حتى إمكانية اللجوء إلى

القضاء التماساً للإنصاف، وهذا ما يشكّل عائقاً أمامهنّ نحو التغيير أو حتى تنظيم المواجهة.

قامت الأسكوا بدراسة حول عملية التنمية لدى المرأة لتبيان مدى تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة ومراقبة التراجع والتحسين في بعض المجالات، فظهر تحسّن ملموس لواقع المرأة من ناحية ارتفاع نسبة الإلمام بالقراءة والكتابة «من 35 إلى 47,5 في المئة لدى النساء البالغات مقابل ارتفاعه من 63,5 إلى 71 في المئة للرجال». وتقدّم ملحوظ في انخفاض نسبة الوفيات لدى الفتيات والنساء بعد أن كانت مرتفعة لعدم الإهتمام بالصحة أو عدم توفّر القدرة المادية لمعالجة الأمراض التي يعانون منها وارتفاع معدّلات الخصوبة التي أثّرت بشكل سلبي على صحة المرأة بينما حالياً تشهد انخفاضاً في معدّلات الخصوبة؛ أما بالنسبة لمجال العمل فقد شهد تراجعاً عما كان عليه في السابق، حالياً هناك «19,1 في المئة من النساء العربيات و10,6 في المئة من الرجال العرب عاطلين عن العمل في عام 2001». بينما كانت النسبة في عام 1995 «5,9 في المئة للنساء و4,7 في المئة للرجال» ويعود سبب ارتفاع البطالة إلى الأوضاع الإقتصادية والسياسية الصعبة التي تمرّ بها البلدان العربية. ولاحظ القيّمون على هذه الدراسة تراجع عمل المرأة العربية في الحقل السياسي؛ إنّ نسبة العاملات في البرلمانات لا تتعدّى 5,8% بحيث أنّ بعض الدول كالبحرين والإمارات العربية المتّحدة لا وجود للنساء في برلماناتها (النهار 9/ 7/ 2004).

هذا بالإضافة إلى مشاريع أخرى كتعليم المرأة القيادة إلا أنّها كلّها يجب أن ترتبط بالنّضال الديموقراطي العام الذي يسمح للمرأة بأخذ مكانها الحقيقي.

إنّ ضمانات العيش كالتعليم المجّاني والإستشفاء وحرية الرأي وفرص العمل، كلّها أمور بتنا نحلم بها في وطن يشبه كل الأوطان... هكذا يعبّر الشباب عن معاناتهم.

في شوارع البؤس والفقر المكتظّة بالأطفال المشرّدين، تكثر وطأة الإعتداءات الجنسية دون رادع... فيزداد الشعور بالذنب لأنّه يحس بالشراكة خاصّة إذا ما كان هذا الكبير من الأقارب... والطفل قد يقبل بداية لفقدانه معنى اللذة (إذا ما كان قبل السابعة ـ شعور العيب، والخوف هو شعور

مكتسب) وعندما يفقد كل المعاني يزداد الشعور بالذنب. . . إنّه شخص فاقد للرابط ومهيّأ للوضعيّة الإنهيارية أكثر من غيره فاستعادة الفعل هي تداخلية عبر الأجـيـال (intergénérationnelle) وداخـل أسر إنـصـهـاريـة ومحـرّمـة (Insectueuse).

ففي فرنسا، على سبيل المثال، امرأة تُقتَل من زوجها كل 15 يوماً، 85% من النساء الضحايا ـ (ضحايا العنف المنزلي) قُتِلن من قريب لهنّ

(A. Houel - Du crime passionnel au crime d'honneur - colloque Beyrouth, Novembre 2005).

أمّا الفاعل، فتقدّره Houel على أنّه رجل يحمل في ذاته صورة أم بدائية (archaïque) لكنّه متحرّك ومنسي، هو يعيش قلق الإنفصال ويستعدّ للقيام بأي عمل تعويضي حتى القتل ما عدا الأب الذي يجسّد دوماً مسألة العرض. . . والشرف.

3 ـ ما بين العنف والحب

كما عرّفنا العنف، فإنّ الحب تختلف تعريفاته عندما يغوص في عالم كل من المسموحات والممنوعات. وإذا ما ربط البعض ما بين الجنس والعدوانية فإنّ الحب وبرأي M. Cornaton يجب تنقيته من أي شائب عدواني وهو دور يقع برأيه على المجتمع بكامل مؤسّساته حيث أنه هو الذي يحدّد المحرّمات Les tabous ما تنتجه من حالات حرمان تحمل عبر طيّاتها العدوانية خاصة تلك الموجّهة للمرأة كجسد وكموضوع جنسي.

بهذا المعنى يمكن أن يلعب المجتمع دوراً رقابياً هاماً عكس ما يتّضح لنا حالياً، إذ أنّه وعبر المؤسّسات الإجتماعية فإنّ تقنين العدوانية ـ وتبعاً لمصالح هذه المؤسّسات يأخذ دوره بعيداً عن التسامي.

وعندما يطرح Cornaton إشكاليته

(Le Croquant No. 38/39 Comprendre la violence, quelles reponses 2003).

فإنّه يعيد التفكير بنوع المجتمعات التي نتوخّاها ونتوخّى عبرها نمط الرابط الإجتماعي Le lien social بين أعضائه وهذا لا يتمّ بدون رابط الحب

le lien amoureux الذي يمكن أن يشكّل حاجزاً ما بين الحب والعذاب. من هنا فإنّ تعريف العنف يصبح برأيه كل اعتداء يطال الفرد بكلّيته الفيزيائية والسيكولوجية، وتصبح قدرة التحكّم بالعدوانية هي الموضوع الأساسي كي لا ندمّر الذات والآخر... كي نحبّ دون أن يكون هذاالحب على حساب أحد الشريكين وهو في نهاية الأمر شأن إجتماعي محض. وبالمقابل، وضمن نفس الدائرة فإنّ P. Mercader (Le Croquant nº. 38/39) تثير مسألة الجرائم العاطفية وتتساءل عن كيفية إدراجها في إطار الجريمة العشقية أم في إطار العنف الزوجي (كما حصل لـ Marie Trintigant التي قتلت على أيدي Bertrand Cantat) فعندما قتل B. Cantat زوجته نفى فعله العنيف كعادة الفاعل أن يزيحه عن عاتقه ويلقيه على الآخر... وعلى الظروف... ولكن الإجابة تكمن في الأعماق من خلال علاقات القوة المطروحة ما بين الرجل والمرأة. **فهو لا يريد قتلها إنّما يريد جرفها ـ اجتياحها ـ الإستيلاء عليها وإمتلاكها وجعلها كما يريد وحسبما يريد.**

ومن الأجدر أن نطرح التساؤل حول الحب في هذا «الكوبل» وطبيعته، **فإذا كان الرجل يسعى دائماً إلى تحديد أطر عالمه مع شريكته التي تفتش دوماً عن التفلّت والحرية واستعادة هويّتها... ساعتئذٍ يكون الحكم نحو هيمنة أو لِنَقُل بشكل أعمق عقدة الهيمنة والتي لا تتجسّد إلا عبر القطع مع الخارج؛ وتأتي النتيجة إنّ علاقة الهيمنة ـ الخضوع يمكن أن يخلق لدى المرأة نوعاً من الإستقلالية وتبدأ باستيعاب دونيّتها واقترافها للذنب فتعتقد أنّها ليست ضحية بل بسبب خطأها حصل العنف فتتّهم نفسها بالذات!**

في هذه الحالة يصبح الحب ذوبان، استيلاء ونفوذ، امتلاك ويفقد هويته الحقيقية. وتشير أغلب الدراسات إلى أنّ أغلب الأزواج المعنّفين كانوا ممّن شهد أو عاش أو أمسى ضحية للعنف في الأسرة الأساسية له، وهي فكرة سبق وطرحناها ويمكن أن نرصد في هذا المجال «تاريخية العنف» أو الفعل العنفي الذي يتواجد أساساً في صلب كل نتاج إنساني، علائقي وإجتماعي. إنّه ومن هذا المنظور بالذات منشئ وبانٍ violence fondatrice، على حد قول M. Cornation الذي يشير إلى حقيقية العنف المعاصر وبجميع أشكالها التي نعيشها

سواء كان ذلك عبر الحروب أو بين الجماعات أو بين الطوائف أو بين الأجيال أو بين الفئات الإجتماعية أو بين الأجناس أو بداخل كل منّا. . .

وإذا ما عدنا إلى فكرة «تاريخية العنف» فإنّ الجواب لا بد من أن يأتي في إطار علم النفس طالما أنّ العنف لا يعيش فقط عبر التاريخ العام بل عبر تاريخنا الخاص وسيرتنا الذاتية.

(M. Cornaton: Les sciences humaines face à la violence - colloque violence entre le privé et le public - Beyrouth 2005).

4 ـ في مفهوم العنف الزوجي وتقييم قساوته وشدّته

أظهر تطوّر الدراسات التي اهتمّت بالعنف الزوجي ارتباطها بالقيم المجتمعية وأيضاً بالأدوار الإجتماعية التي تحكم رؤيتنا للعالم المحيط؛ ممّا لا شكّ فيه أنّ تنظيم الحياة الإجتماعية له أثر مباشر في تكوين وفي وظائفية أفكارنا حيث يتلاقى العام بالخاص، فيتغذّى العنف الخاص والحميم كالعنف الزوجي من العنف العام الذي يمكن أن يتجسّد بكافة المعايير المتطرّفة «ربّما التي يتداولها الجميع»، عبر سلّم قيّم تحكم العلاقة بين الجنسين مع الآخر بكافة حساسيّتها وتربيتها وضمن آلية ديناميّة تتّصف بالتأثّر وبالتشكّل المستمر لتصوّرات representations ذهنية مبنية على تلك الأرضية السابقة الذّكر.

إنّ العنف الزوجي يتصاعد تبعاً لتلك النظم المجتمعيّة المترسّخة والتي تظهر باستمرار التأثير السلبي ذو الزاد الثقافي المنقول عبر الوسائط الإعلامية، إذ ينقل العنف كما لو أنّه وسيلة تصلح لحلّ المشاكل.

من ناحية أخرى، فإنّه يصعب أحياناً التعرّف على موضوع العنف لدى البعض وتحديد السلوك العنفي خاصة في العلاقات الحميمة بين الزوجين ممّا يستدعي التطلّع إلى التسامح لدى المرأة.

كما أنّه كموضوع ما يزال يُعتبر من المحرّمات (tabou) ممّا لا يسهّل

كشف القناع عن المعاناة بالسهولة التي ممكن تصويرها (الخوف من الشريك ـ حيث أنّ الكثير من المعنّفات يصلن إلى حد إقناع أنفسهنّ وبوحي من الشريك. إنهنّ من يسبّب ويثير عنفه عليهنّ. . . إضافة إلى الخوف من كسر رباط الأسرة وأثره على الأولاد ورد فعل العائلة الواسعة والتشنئة الإجتماعية ودور القيم فيها، التي تدفع بالمرأة إلى الصمت وطمر الحديث عن العنف الزوجي).

وفي الوقت نفسه، فإنّ المرأة التي تريد أن تكون غير مستقلّة وتابعة، فإنّ الرجل بالضرورة سيهيمن. إلا أنّ هذه الصيغة هي صيغة تصلح للدرس ممّا يقلب التساؤل فيصبح كالتالي: لأنّ الرجل هو متسلّط بطبيعته الإجتماعية، فإنّ المرأة تغدو تابعة ولا تخرج استقلاليتها! وهذا الفعل هو ضدّ العدالة الإجتماعية فيربط الإستعداد عندها للإستقلالية بالحكم عليها بعدم محبّتها لشريكها؟ وإلا فلماذا؟ إنّ مراقبة هذه الوضعيّة تحدو بنا إلى مراجعة العنف الزوجي بجدليتها وبمدى كونها ضحية، ودور العشق فيها.

ويمكن القول أنّ الدّولة اللبنانية لا تبادر إلى رسم استراتيجيات ولا تصنع خططاً ولا سياسات قابلة للتنفيذ فيما يخص مسائل التميز ضدّ المرأة؛ ففي مجال التشريع القانوني يجب إلغاء بعض القوانين أو تعديلها أو استحداث قوانين جديدة تعزّز وضعية المرأة خاصة عبر إيجاد قانون موحّد للأحوال الشخصية يحفظ حقوق جميع اللبنانيّات بغض النظر عن الإنتماءات الدينية ويساوي بين فئات النساء وأيضاً بين الرجال والنساء. هذه الإنتماءات لا يمكن أن ننظر لها بمعزل عن واقع المرأة، فوطأة المرجعية الطوائفية ـ الدينية تصبّ مباشرة في أحوالهنّ المدنية والأسرية وهذا ما ستبيّنه وما سيرسو على قاعدة الشقّ الميداني الذي خصّصنا له فصلاً بأكمله.

إنّ إشكالية العنف ضدّ المرأة وكيفية التخلّص منها لا تزال ترتبط تلقائيّاً بالمرأة بحدّ ذاتها وليس مؤسّساتيّاً عبر إطارنا الرسمي واحترامه لما صاغ ويصيغ من إتّفاقيات تابعة لمواثيق الأمم المتّحدة وغيرها.

إنّ رصد مكامن تقدّمها التلقائي تختلف كلّياً عمّا سبق وأشرنا إليه عبر استراتيجيات الدول الأخرى وما نفذ من عمليات تدخّل أوجبت حلولاً حدّت أو تحدّ مشاكل العنف الأسري. . . وتجعلها مقتصرة على «الشخصي» أكثر ممّا

تربطه «بالإجتماعي» و«بالعالمي» رغم أهميّته وتأثيره وتجعلنا من ذوي الخصوصية الإنتقائية.

5 ـ العنف الأسري الموجّه ضدّ المرأة

كسرت الدول الأوروبية الصمت حول ظاهرة العنف، بعكس المجتمعات العربية التي تعتبر أنّ ما يحصل داخل الأسرة يبقى سرّاً وكأنّه شيء مقدّس، فما يحصل في بلادنا العربية محاولة للتغطية وإنكار وجود العنف إلا نادراً. فكم من الزوجات تعرّضن للإهانة والضرب والشتم وحتى الإغتصاب من قبل أزواجهنّ ولم يتحدّثن عنه وعشن حياتهنّ صابرات ولكن ذليلات لا حول لهن ولا قوة. وكم من الفتيات تعرّضن للضرب والإهانة بحجة التربية، وتعرّضن للإغتصاب والتحرّش الجنسي واختبأن وراء الصمت والخجل خوفاً من أن يصبحن هنّ الجانيات.

العنف الأسري «هو كل عنف يقع في إطار العائلة ومن قبل أحد أفراد العائلة (كالأب، الأخ، الأكبر. . . .) بما له من سلطة أو ولاية أو علاقة بالمعنّف». إنّ الأطفال مقلّدون بطبيعتهم لذلك وجب على الأهل أن يكونوا قدوة جيدة لأطفالهم. هكذا يتشرّب الطفل الأخلاق والعادات الحسنة واللطف إذا وفر له الأهل المثال الجيد أمّا إذا أظهر الأهل مزاجاً سيئاً واستخدموا كلمات نابية وكانوا كاذبين وأنانيّين، وتجاهلوا أطفالهم عندما يتحدّثون إليهم فينشغلون عنهم بأي شيء، فعليهم أن يتوقّعوا أبناء مثلهم تماماً. إنّ الممارسات العنيفة في المنزل تؤدّي إلى أن يصبح الإبن عدوانيّاً والإبنة منعزلة وقد تصبح أمّا عنيفة ومهملة لأطفالها عندما تكبر، (عن منى فيّاض: الطفل والتربية المدرسية في الفضاء الأسري والثقافي. . .).

العنف ضدّ المرأة

هو أي عمل عنيف عدائي أو مهين تدفع إليه عصبية الجنس، يُرتكب بأية وسيلة كانت بحق أية امرأة لكونها امرأة ويسبّب لها أذى نفسي أو بدني أو جنسي

أو معاناة بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل أو القسر أو الإكراه أو الحرمان التعسّفي من الحرية سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة.

ومن التعريف نفهم أنّ العنف هو أي فعل مقصود أو غير مقصود يسبّب معاناة نفسية أو جسدية أو جنسية للمرأة فالعدوان عنف والإهانة عنف وكل ما يخلق لها معاناة من قهر وخوف وتهديد هو عنف، فكل فعل يمارس من قبل الرجال في العائلة أو المجتمع ابتداءً من الشتم والتحرّش الجنسي واستخدام القسوة ضدّها والإنتقاص من قيمتها كإنسان وإجبارها على فعل ما لا تريد وحرمانها من حقوقها وانتهاء بالإغتصاب أو القتل هو عنف ضدّ المرأة.

إنّ المصدر الأكبر الذي يتهدّد النساء، بلا استثناء، هم الرجال الذين يعرفنهم، وليس الغرباء، وغالباً ما يكون هؤلاء أفراد العائلة أو الأزواج... وما يثير الدهشة هو درجة الشبه التي تحيط بهذه المشكلة في مختلف انحاء العالم. بحيث يعتبر بالنسبة لملايين النساء، ليس المأوى الذي يجدن المأمن فيه، وإنّما مكان يسوده الرّعب حيث يمثّل العنف الأسري أكثر أشكال العنف ضدّ المرأة انتشاراً وأكثرها قبولاً من المجتمع وتتعرّض له نساء ينتمين إلى كل الطبقات الإجتماعية والأجناس والديانات والفئات العمرية على أيدي رجال يشاركونهنّ حياتهنّ.

العنف المعنوي النفسي:

ويعتبر العنف المعنوي النفسي من أخطر أنواع العنف فهو غير محسوس ولا أثر واضح للعيان، وهو شائع في جميع المجتمعات غنية أو فقيرة متقدّمة أو نامية وله آثار مدمّرة على الصحة النفسية للمرأة وتكمن خطورته بأنّ القانون قد لا يعترف به كما ويصعب إثباته.

حيث تعاني المرأة داخل الأسرة زوجة كانت (أم، إبنة أو أخت) من العنف النفسي الذي يرتكبه بحقّها رجال العائلة، وفيه الإهانات والإهمال والإحتقار والشتم والكلام البذيء والتحقير والحرمان من الحرية والإعتداء على حقّها في اختيار الشريك، والتدخّل بشؤونها الخاصة مثل الدخول والخروج في أوقات معيّنة وارتداء ملابس معيّنة، والتدخّل بأصدقائها ومراقبة تصرّفاتها

وإجبارها مثلاً على إنجاب عدد أكبر من الأولاد، وإجبارها على تقديم الخدمات لكافة أفراد العائلة وضيوفهم، كلّها أفعال تؤدّي لأن تكره المرأة حياتها ونفسها وأنوثتها ممّا يؤثّر على معنويّاتها وثقتها بنفسها. وتحت العنف المعنوي يندرج ما يسمّى بالعنف الرّمزي الذي لا يتّسم بالقيام بأي فعل تنفيذي بل يقتصر على الإستهتار والإزدراء واستخدام وسائل يراد بها طمس شخصية الضّحية أو إضعاف قدرتها الجسدية أو العقلية ممّا يحدث تأثيراً سلبيّاً على استمرارها في الحياة الهانئة وقيامها بنشاطاتها الطبيعية.

إنّ العنف المعنوي منتشر وبشكل كبير بسبب القيم الثقافية والتقليدية التي تكرّس تنشئة المرأة إجتماعيّاً، وجعلها خاضعة منذ طفولتها المبكرة حيث تسيطر الأعراف الثقافية لسلوك الذكور المقبول؛ فللرجل حق السيطرة على المرأة، والرجال قوّامون على النساء، وارتباط فكرة العنف بالرجولة والذكورة، فتعامل المرأة داخل الأسرة على أساس أنّها ضعيفة وعليها الخضوع لرجال العائلة فالشّتم والإهانة وتقديم الخدمة والحرمان من الحقوق الشخصية أمر لا يجب مناقشته أو الإعتراض عليه.

العنف الجسدي والجنسي

يكون واضحاً ويترك آثاراً بادية للعيان وتستخدم فيه وسائل مختلفة. وغالباً ما تكون هذه الأدوات اليدين والرجلين بحيث تتوجّه اللكمات للضّحيّة على الوجه والرأس وسائر مناطق الجسم إضافة إلى شد الشعر وقد يتمّ اللجوء إلى وسائل أخرى كالعصا والسكّين. . . أو تكسير أدوات المنزل وقذفها على الضّحية.

ويمكننا أن نعرّف العنف الجسدي والجنسي بأنّه الإيذاء البدني والجنسي ابتداءً من الرّكل - الصّفع - شدّ الشعر - والضّرب - والتحرّش الجنسي وسفاح القربى - وهتك العرض والخطف والفحشاء والدعارة مروراً بالممارسات الجنسية الشاذة والإغتصاب ويضاف إليه الإغتصاب أيضاً في إطار الزوجيّة (القوانين العربية لا تعترف بالإغتصاب في إطار العلاقات الزوجية ومنها قانون العقوبات السوري) جرائم الشرف وإحداث العاهات الدائمة والحرق وانتهاء بالقتل.

فالضّرب وتكسير وتشويه الأعضاء وغيرها من أنواع الإيذاء الجسدي تشير إليها الدّراسات وسجّلات المحاكم الشّرعية والجزائية والصحف التي نقرأ فيها جرائم كثيرة من هذا النوع وحتى قتل الزوجة أو الإبنة أو الأخت أو العمة لأسباب متعدّدة قد يكون منها بدافع الشرف.

ويعتبر العنف الجنسي من أخطر أنواع العنف الذي تتعرّض له المرأة داخل الأسرة، إلا أنّه يبقى في طي الكتمان، حيث التحرّش الجنسي والخطف والإغتصاب وسفاح القربى، وهتك العرض والدعارة والمجامعة بأشكال شاذّة تتعرّض لها المرأة (زوجة، إبنة، أخت، أم...) من رجال العائلة.

نظراً لارتباط العنف المعنوي الذي يمارس ضدّ المرأة والذي يؤدّي إلى إخضاعها وقهرها بتطبيق القوانين التمييزية ضدّها والتي تؤدّي بالنتيجة إلى العنف الجسدي والجنسي، حيث تخضع النساء في بلادنا للعنف بسبب القوانين ابتداءً بقانون الجنسية ومروراً بقانون العقوبات وانتهاءً بقانون الأحوال الشخصية.

كما يعتبر تعدّد الزوجات والطلاق التعسّفي بدون علمها وإرادتها من أبشع أشكال العنف القانوني فتعاني من مشاكل النفقة والحضانة ومنع سفرها مع الأولاد ثمّ حرمانها من حقّها بالإرث.

ويأتي قانون العقوبات ليكرّس التميز ضدّ المرأة حيث يعفي الرجل من العقوبة إذا قتل أو قام بإيذاء زوجته أو أحد أصوله وفروعه أو أخته في حال الزنا المشهود أو الخلوة مع رجل وبوضع مريب، ويستفيد من العذر المخفّف لمجرّد الشك والريبة، كما أنّ المرأة الزانية تعاقب بينما لا يعاقب الزوج إلا إذا ارتكب الزنا داخل بيت الزوجية أو اتّخذ له خليلة جهراً وعقوبة المرأة ضعف عقوبة الرّجل عن فعل الزنا رغم كونه فعل واحد ولكن العقوبة تختلف باختلاف مرتكبه حسب الجنس...

كما أنّ المادة 489 تعطي الحق للزوج بإمكانية اغتصاب زوجته قانونياً حيث تنصّ على ما يلي:

«من أكره غير زوجه بالعنف أو بالتهديد على الجماع عوقب بالأشغال الشاقة خمسة عشر سنة على الأقل».

وعلى هذا الأساس فإنّ مظاهر التميز بين الرجل والمرأة المولّدة للعنف داخل الأسرة تستقي أصولها من قوانين الأحوال الشخصية وقانون العقوبات والجنسية وبعض القوانين التمييزية الأخرى التي تكرّس مبدأ التميز ضدّ المرأة واستعبادها وتتعامل معها باعتبارها جنساً أدنى يتبع الرّجل ويجوز أن يتعرّض لكل أشكال قمعه وسطوته.

أبرز المميّزات أو الصفات التي تطبع شخصية الإنسان الذي يمارس العنف المعنوي على الآخرين وهي:

أنّه إنسان يحقد على الوجود، لا يحترم حرية ووجود الآخر، يكون عادة قد حرم في طفولته من حرّيته الشخصية ومن حرية القرار، فيستعيض عن ذلك بسلب حرية الآخرين كما سلبت حرّيته هو، أو يكون قد اعتاد الحصول على كل ما يريد وامتلاك كل شيء... وبذلك يحاول امتلاك قرارات الغير والسيطرة التامة عليهم.

أمّا مميّزات شخصيّة الضّحيّة أنّه الشّخص الذي تمارس عليه هذه الأنواع من الضغوطات، ويكون عادة ضعيف الشخصية قد اعتاد من خلال تجربته الشخصية أن يملي عليه الناس أفعاله.

ويجب أن نذكر عامل العوز أو الحاجة للشخص الآخر، فإذا كان المعنّف محتاجاً فعليّاً للشخص الضاغط، سواء كان ذلك ماديّاً أو معنويّاً فهو يتحمّله إن أراد ذلك أو لم يرد.

ويمكننا من خلال عمل النفس أن نرسم صورة معيّنة لكل من النمطين يبدو المعنّف في بداية العلاقة مع الضّحية طيّباً ودوداً ثمّ يصبح فيما بعد جافّاً ومتعجرفاً... مستخدماً أسلحته المفضّلة في إيقاع الأذى في الطّرف الآخر، وهي العزل ورفض التواصل، والتجريد من الحقوق والأهلية والمعاكسة.

والنساء حرائر من الناحية الظاهرية، ولكنّهنّ مرتبطات على نحو غير مرني بشرعة الشّرف، شرعة مذكّرة بحصر المعنى.

ومن هنا يكمن إفقار المراة، ومهانتها، وإضعافها، بالقياس إلى مجتمع الذكور. وتبحث النساء سواء في الثامنة عشرة من عمرهنّ أو في الرابعة

والعشرين وسواء يعملن في الخارج أم لا، عن جواب لواقعة أنّهنّ كنّ مخدوعات في جميع العصور. ولا زلن في أيّامنا هذه، مسحوقات أكثر من أي وقت مضى، وهنّ يحسسن بذلك، على الرّغم من الهدايا المذهبة التي تقدّم إليهنّ. فلم يسبق للمرأة أن كانت مسحوقة ومنهارة ومستعمرة وخامدة مثلما هي عليه الآن.

فالنساء، من جهة، ينلن حقوقهنّ العادلة، الإجتماعية والقانونية، والعمل، من جهة أخرى، ممنوح لهنّ من العالم إلى حد الإشباع. ولكن، في أي عالم؟ في عالم الرجال بالطبع!!

نساء أيامنا هذه، أو النساء منذ بعض الزمن، هنّ الإستطاعة الخفية التي تقود العالم، سواء كنّ عبدات بيوت الحريم أو الخدور، ومومسات أو عشيقات، أم زوجات أو أمّهات أسر. فليس نظام الأبوة، ولو كان هادراً، غير مزاج لطيف بالقياس إلى القوة الغامضة التي يتّصف بها النوع الأنثوي... ونذكر ما قالته «سيمون دو بوفوار» «لو لم تكن المرأة موجودة لاخترعها الرجال»...

6 ـ العنف الأسري الموجّه ضدّ الأطفال

يبدي التحليل الخاص بالأطفال الشواهد على العنف الزوجي أنّ مظاهر العنف تتزاوج مع سوء التصرّف في العلاقة مع الطفل وتنعكس مباشرة على نفسيّته؛ وتشير A. Fortin بهذا الصّدد إلى أنّ بعض الأطفال الذين يعيشون في معضلة العنف الزوجي هم بلا شك Stricto-sensu وهم الدليل الأكبر على تواجد هذا العنف حتى لو لم يقرّ الأهل به وآخرون vraisemblable + témoin متأثّرين بتواجد العنف في العلاقة بين الوالدين...

(A. Fortin L'enfant en contexte de violence conjugale: témoin ou victime in la revue internationale de d'éducation familiale, vol 2 n° 1, 1998, P 42).

وفي الحقيقة إنّ رصد هذا الأثر ليس بالأمر السهل، إلا أنّ النتائج تشير

إلى تواجد طفل من بين اثنين أثناء مشهد العنف الذي يحصل بين والديه. والأطفال الأصغر سناً هم عرضة للتأثّر بشكل مباشر ونتيجة لتواجدهم مع الأهل فإنّهم يدخلون بسهولة في صلب الموقف وتظهر عليهم بوادر الإضطراب الخارجي كالعدوانية أو الحركة المتزايدة أو الجنوح أو عدم الطاعة أو الكذب أو التدمير. كما تظهر عليهم بوادر اضطراب داخلي كالقلق والتوتّر والإنهيار والحزن والتعاسة وعند بلوغ مرحلة المراهقة، فإنّهم يخرجون ذاتهم عبر المعارضة l'hostilité، العدوان، الإسقاط، وتجريح الآخر والميل السلوكي نحو الإنتحار.

والصبي، فإنّه غالباً ما يتّجه لتقليد والده والتماهي به عبر سلوك عنفي حاد تجاه النساء، أما الفتاة فينمو لديها استهتار مطلق نحو الرجال ومواقف سلبية تجاه الزواج، كما يمكن أن تصبح مؤهّلة في تكوينها النفسي أن تعيش حياتها الحميمة تبعاً لعلاقات عنيفة قوية (ص. Fortin 45). وبهذا يختلط العنف الزوجي غالباً بعنف مُوَجّه ضدّ الطفل نفسه ممّا يتطلّب إعادة النظر من قبل الأهل لاستخدام الطرق الناجحة لتحسين وضعية الأطفال والأسر.

عندما يكون الطفل عرضةً للعنف المنزلي فكيف نحميه(*)؟ هو يبدأ تلقائياً بالتعوّد ومن ثم رصد الآليات أو استراتيجيات مواجهة. وتمكن المساعدة في توجيه الدّعم للأم في إطار علاقة الأم ـ الطفل أولاً ثم:

ـ تقييم واقع الطفل النفسي (إذ أنّه ومن المعتقد أنّ الطفل المعرّض للعنف له ميول اكتئابية وانهيارية أكثر من الطفل العادي أي غير المعرّض للعنف).

ـ صعوبات التكيّف لديه.

ـ كيفية الحكم على أمّه وعلى وضعيّتها (وهي نقطة تدخل بعلاقة مباشرة مع تأزّمه النفسي) ويفضّل التشجيع على الفصل ما بين الام والطفل حتى لا يتأثّر سلبيّاً بطريقتها وكيفية استجاباتها.

ـ إرساء قواعد التربية ضدّ العنف لدى كامل الفئات الإجتماعية.

(*) في كندا، فإنّه من الممكن ألا يدخل الطفل مع أمه إلى «المأوى» maison d'hébergement ممّا يستدعي أيضاً الإنتباه والرعاية والدّعم.

ـ تحسين وضعية النساء الإقتصادية والإجتماعية.

ـ تطوير احترام الذات l'estime de soi لدى المرأة وثقتها بالذات وتشجيعها على الإفصاح عن احتياجاتها ورغباتها وأيضاً ما يثير غضبها... وحقّها في الفرح والسعادة والإستقلالية.

ـ استيعاب فكرة التغيير الإجتماعي وأهمية التعاضد النسوي.

ـ تحديد جنسه (ذكر أم أنثى) ولقد أثبتت الدراسات أنّ الفوارق بسيطة بين الجنسين في صعوبات التكيّف، عندما يكونا معرّضان للعنف.

(A. Fortin: Analyse des facteurs de protection - cri-viff - n° 19 Montréal, Octobre 2000).

فالطفل أوّل ما يقوم به لمجابهة ما يحصل أمامه الإحساس بالذنب، فهو يجور على نفسه نتيجة عدم تمكّنه من القيام بأي عمل تدخّلي، ثمّ يتحوّل إلى سلوك آخر من الخوف والقلق البالغ وباختصار العذاب الكبير وأثره الصحّي عليهم: هم يسمعون من بعيد من غرفهم ويتحسّسون هذا الوضع كلّما ازداد تفاقماً.

يتعرّض الطفل للعنف عبر عدة طرائق: بالنظر أو بالسمع أو بالإستنتاج الموضوعي من خلال تجسّد الأفعال العنيفة على جسد الأم. وأيضاً بتلمّس الجو الخانق وغير المؤكّد الذي يسيطر على المنزل وعلى من يحبّهم كثيراً، وتكون النتيجة المباشرة الخوف الدائم على الأم: أن تقتل ويفقدها... **إبتزاز عاطفي** مؤكّد... لا يترك معه سوى **الإنحياز الإجباري**. وأهم ما في الأمر لدى ضحايا العنف من الأطفال هو الإنتقال عبر الأجيال ونعني بنقل العنف الزوجي حيث أنّه ثبت أنّ الولد الشاهد على العنف من أبيه لأمّه عرضة لأن يصبح هو نفسه عُنفيّاً أكثر بثلاثة أضعاف ما يعيشه الآخر الذي لم يعش نفس الظرف.

والمطلوب هو تخفيف حدّة العوامل العنيفة ذات الطابع الثقافي وزيادة فرص الحماية.

ويمكن للطفل أن يتعرّض للعنف في المؤسّسة التربوية التي ينتمي إليها ونخصّ بالذكر «المدرسة» وبأشكال متعدّدة. ويمكن أن تتنقّل من مشاكل بسيطة

تتعلّق باختراق النظام وعدم الطاعة والإزعاج وصولاً إلى اعتداءات فيزيائية ولفظية. ويمكن القول أنّ العنف اللفظي هو أحد الأشكال الأكثر انتشاراً في المدارس وتتجسّد عبر تهديد وصراخ.

إلا أنّه لا يجب أن نغفل الوقائع العنصرية التي تضغط على التلاميذ تبعاً للإتنية والإنتماء الإجتماعي فيرفضوا أو يُستعبدوا ممّا يؤثّر على انتمائهم للجماعة وما يعكسه هذا الواقع من تأزّم نفسي يزداد كلّما كبر الطفل إذ أنّه يزداد شعوراً بالإعتداء الموجّه ضدّه.

لكن المدرسة يجب أن تقي الطفل ـ مبدئيّاً ـ من هذه الظاهرة ويمكن أن يتحقّق ذلك عبر الإقلال من العوامل الضاغطة والخطرة وزيادة عناصر الحماية. ويكون أيضاً عبر البرامج المدرسية تحريك المشاعر حول الآفات التدميرية الناجمة عن العنف والتي تنمّي التعلّم على الحلول الإيجابية. (أنظر أحداث عنيفة تكرّرت على صفحات الجرائد).

أ ـ دور المناهج التعليمية في مواجهة العنف:

على أثر الإنتهاء من الحرب، بدأت الحكومة اللبناينة بورشة الإعمار والنهوض بالبلد عل كافة الأصعدة والتركيز على الجانب التربوي وعلى أهمية كتب التربية الوطنية والتنشئة المدنية التي تركّز على أهمية وجودها وتوحيدها وما تتضّمنه، وما لها من آثار إيجابية على الفرد.

بعد المعاناة المريرة التي عانى منها اللبنانيون على مرّ السّنين، ساد خلالها منطق العنف على أي منطق آخر، بدأت في مطلع التسعينات ورشة النهوض بلبنان من خلال «خطة النهوض التربوي» لتحقيق وحدة وطنية وتأمين الإستقرار والأمن والطمأنينة وكل هذا يتم من خلال المدرسة التي لها أهمية في إعداد مواطنين صالحين، وتهيئتهم للدخول في الحياة الإجتماعية عبر أنشطة ونوادٍ تثقيفية وترفيهية. وقد عرض الكاتب عدة نقاط تدل على أهمية خطة النهوض التربوي من خلال أولاً توحيد كتب التربية الوطنية والتنشئة المدنية القائمة على اعتبار أن «الإنسان هو غاية كل تنشئة وطنية كانت أم مدنية، باعتباره كائناً إجتماعيّاً في جوهره ولا تتحقّق شخصيّته إلا ضمن إطار

الجماعة»، ويهدف هذا الكتاب الموحّد إلى تعزيز قيم الحرية والديموقراطية وتربية المواطن على القيم الخلقية اوتقبّل الآخر، لذلك تركّزت غايات التربية الوطنية والتنشئة على «إعداد المتعلّم إعداداً خلقيّاً منسجماً مع الإنسانية في مجتمعه ووطنه». وتعزيز وعيه لإنسانيّته وتربيته على النقد والنقاش وتقبّل الآخر، ثانياً: أهداف مادة التربية الوطنية وتتدرّج محتوياتها وفق المراحل، ففي المرحلة الإبتدائية يتمّ تعويد الطفل على الإعتماد على نفسه والتعامل الصحيح مع أسرته ومع أقربائه والحفاظ على البيئة واحترام نظام المجتمع المدرسي، أمّا في المرحلة المتوسّطة والمرحلة الثانوية فتتم عن طريق تعريف الطالب على حقوقه وواجباته وعلى أهمية الأسرة في إقامة الروابط بين مؤسّسات الوطن المختلفة وترقية الحس الإنساني، واطّلاعه على كافة التغييرات والتطوّرات التي يمرّ بها المجتمع على كافة الأصعدة. أمّا في النقطة الأخيرة فيتناول الكاتب محتوى منهج التربية الوطنية والتنشئة المدنية» التي تضمّنت أربعة أبعاد: التنشئة المجتمعية: تحسين العلاقة مع الذات ومع الآخر والتوازن بين رغبات الإنسان ومقتضيات الإستقرار الإجتماعي للتنشئة المدنية عبر تعريفه على الحقوق الشخصية والسياسية، التنشئة الوطنية، الحفاظ على السيادة الوطنية وترسيخ مفهوم المقاومة، التمسّك بالأمن والسلم الأهلي، التنشئة الإنسانية: عبر تربية الفرد على الضبط الأخلاقي والروادع الإجتماعية والتمسّك بالأخلاق والدين.

أخيراً إنّ الطلاب بحاجة إلى مثل هكذا ورشة وخطة للنهوض التربوي، بالأخص إنّ عدد التلاميذ مرتفع جدّاً في لبنان بحيث يبلغ عددهم ما قبل الجامعيين ودون الثامنة عشرة 864087 أي ربع سكان لبنان، ممّا يعني وجوب تطبيق هذه الخطة بمساعدة الجّهات المختصّة لتثبيت منطق الحوار والنقاش الواعي وهو ما تسعى إليه كافة الأنظمة التربوية.

(عن النهار ـ ميشال بدر ـ 27 شباط 2004)

ب ـ نماذج من العنف في كتب الأطفال: تساؤلات من أجل قراءة واعية تبحث عن الحلول والبدائل: (محمّد الظاهر ـ جريدة النهار).

لا ينتمي كل القراء إلى مجتمع واحد بل تتعدّد وتختلف هذه المجتمعات وبالتالي تختلف الآراء ووضع الحلول لكل قصة تُعرض.

إنّ هناك بعض القصص التي قد تؤدّي إلى اختلاف في وجهات النظر بين مجتمعين بسبب امتلاك كل مجتمع سلوكيات وممارسات خاصة به وهذا ما يسعى إلى معرفته من خلال القصص التالية: قصة تتحدّث عن مجتمع يوجد فيه خلفيات عديدة ومتنوّعة وتكون السبب في إذكاء الشعور بالعداء بين السكان ممّا يؤدّي إلى محاولة إبراز كل جماعة قوّتها على الساحة عبر اللجوء إلى السلب والنهب؛ هنا يطرح الكاتب عدّة أسئلة حول هذه القصة منها: «ما هي الأسباب التي تؤدّي إلى حوادث شغب؟ ما هو تأثير مثل هذا السلوك على الأفراد في المجتمع؟ ما هي الطرق التي تراها مناسبة لحل المشاكل الناتجة عن أعمال الشغب؟»

قصة ثانية تتحدّث عن لص يكتشف أنّ هناك أناس بحاجة للمساعدة والعناية والحماية والرعاية فتبتدئ تغييرات هامة في سلوكه منها أنّ السرقة تتحوّل بالنسبة له إلى مجال لمساعدة المحتاجين والفقراء ممّا يدفع لطرح عدة أسئلة منها: «هل أنت مع هذه الفكرة التي تحاول القصة أن توجّهها لقرّائها؟ هل يؤدّي العنف إلى إلحاق الضّرر بالممتلكات العامة؟ لماذا يتوجّب علينا أن نغيّر سلوكياتنا؟».

وقصة أخرى حول رجل يحاول أن يصلح بين عصابتين متناحرتين فيلجأ عندها إلى ترميم مصنع ليعمل به كلا الإثنتين، وبالعمل تتحوّل مشاعر العداء والكراهية إلى انسجام وتوافق. الاسئلة المطروحة حول هذه القصة هي: «هل تتّفق مع الأفكار التي ساقها المؤلّف للتغلّب على جوانب النزاع بهذه الطريقة؟ هل يمكن للقواسم والمصالح المشتركة أن تكون وسيلة لمنع العنف في المجتمعات؟»؛ ويعرض الكاتب أيضاً قصصاً أخرى كقصة ناموسة تنزّ في آذان الحيوانات إشاعات كاذبة تؤدّي إلى حالات من الهلع والإضطراب في الغابة وينتج عنها عداوة بين الحيوانات. ونظراً لخطورة وتفاقم هذه المشكلة تلجأ الحيوانات للإجتماع لحلّها، فيحضر الجميع ما عدا الناموسة التي تشعر بتأنيب الضمير، واستطاعت الحيوانات أن تحلّ المشاكل بينهم عند معرفة الحقيقة. أمّا الأسئلة الطروحة فهي: «هل تعتقد أنّ الإشاعات يمكن أن تخلق مثل هذا النوع من العنف؟ ما هي المواقف السلبية التي يمكن أن تصنعها إطلاق الإشاعات في المجتمعات؟».

أما القصة السادسة فهي عن طفل في الثانية عشر من عمره يعيش في عائلة مفكّكة، الأب غائب دائماً، إخوته في السجن بسبب تعاطيهم المخدّرات، ممّا يعني العيش في حياة قاسية كادت أن تؤدّي به إلى الهلاك لولا مساعدة صديق له يقف إلى جانبه ويساعده في التألّق في حياته. فيطرح الكاتب أسئلة تتمحور حول «ما هو تأثير العائلات المحطّمة في إذكاء العنف في نفوس أفرادها؟ هل تعتقد أنّه يجب علينا أن نبحث عن الجوانب الإيجابية في شخصيّتنا بانفسنا أم أنّنا بحاجة إلى الآخرين لمساعدتنا في اكتشاف هذه الجوانب؟»

القصة السابعة: عن فتاة يابانية تعرّضت لفقر دم قويّ أثناء رمي القنبلة على هيروشيما، تحاول التغلّب على هذا المرض من خلال القيام بعمل هام ولكنّها تموت قبل إتمامه، لكن رفاقها في الصف يتابعون هذا العمل وتصبح رمز دولي للتذكير بالخسائر البشرية الهائلة التي تعرّضت لها هيروشيما أثناء رمي القنبلة. فضلاً عن التأكيد إلى الحاجة للسلام، وهذه القصة هي من القصص التي عملت اليونيسف في تقديمها للأطفال، وتتمحور الأسئلة حول «ما هي الرسالة الرئيسية لهذه القصة؟ هل يمكن للأطفال أن يساهموا بدورهم في التخفيف من الويلات التي تتسبّب بها الحروب؟»

قصة أخرى ترصد الاذى الجنسي للفتيات اللواتي يعملن في أماكن مختلطة عبر تعرّضهنّ لتحرّشات من قبل عصابة من الطلاب الرياضيّين الذين يقومون بعرض قوّتهم أمام الفتيات اللواتي لا يستجبن لرغباتهنّ: «هل يمكن أن يكون الجنس سبباً من أسباب العنف؟ هل تعتقد أنّ التحرّشات التي يقوم بها الذكور يمكن أن تكون لها انعكاسات سلبية على الفتيات في المستقبل؟»

هناك آلاف من القصص المتنوّعة المواضيع والتي يمكن تحليل مضمونها لشرح الأبعاد التي تحويها عبر «تشجيع التفكير الخلاق لدى الأطفال من أجل استخدام تفكيرهم في إيجاد الحلول السلمية للكثير من القضايا». إنّ هذا التعامل مع الأطفال يؤدّي إلى تعديل في السلوك لديهم و«يعزّز الجوانب الحضارية في شخصيّتهم وسلوكياتهم».

ج ـ أشكال وعواقب العنف ضدّ الأطفال:

تنتشر في دول العالم ظاهرة إساءة معاملة الأطفال وإهمالهم، وحتى الآن وعلى الرغم من وجود دراسات عديدة حول هذا الموضوع إلا أنّه لم يتمّ الإتفاق «على تعريف معنى الإساءة وأشكالها وخاصة الإساءة الجنسية. وكذلك بسبب التأثير العاطفي والأخلاقي على القدرة وعلى الحجة والحكم العقلي السليم عند التعامل مع حالات الإساءة». ويركّز د. الحديدي و د. جهشان على هذه الظاهرة في الأردن لأنّها أصبحت منتشرة بكثرة، وتشمل كافة الأطفال ذكوراً وإناثاً بمختلف الأعمار دون وجود عناية وإهتمام بالاخص للذين تعرّضوا للإساءة الجنسية. ويعتبر الكاتبان أنّ للأهل دوراً «في تربية الأطفال وتوجيههم والنأي بهم عن سلبيات ومخاطر الحياة؛ إلا أنّه من المتّفق عليه أيضاً أنّ الإفراط في فهم حقوق الوالدين قد ينجم عنه الإساءة للطفل، وهنا ينشأ الخلل في المعادلة بين التأديب والإساءة.

الإساءة ضدّ الأطفال تفشّت في المجتمع الأردني بشكل واسع، ففي عام 1998 تبيّن أنّ هناك 437 حالة من الأطفال تعرّضوا للعنف وقد عاينتهم عيادة الطب البشري لدى وحدة حماية الأسرة. «شملت 145 حالة إساءة جسدية للأطفال تراوحت بين إحداث إصابات غير عرضية بسبب فرط التأديب والعقاب، إلى إحداث إصابات شديدة لتصريف ثورة غضب، وإلى أحداث متلازمة للطفل المعذّب». كما وشملت 174 حالة جريمة جنسية على الأطفال كانت كما يلي (48 حالة إساءة جنسية كان المعتدي فيها من داخل العائلة و79 حالة إساءة جنسية كان المعتدي فيها معروف للضحية، قريباً أو جاراً، و47 حالة كان الإعتداء الجنسي على الطفل من قبل شخص غريب) (أمّا حالات الإهمال غير المرافق للإساءة الجسدية) فكانت فقط 6 حالات، ووصلت في عام 1999 إلى 522 حالة وعام 2000 حوالي 613 حالة. إنّ هذه الزيادة تعكس الوعي لهذه الحالات عبر التبليغ عنها وتشخيصها، ولكن هذا لا يمنع من انّ الرقم الحقيقي لا يزال طي الكتمان، ويحدّد الكاتبان أربعة أنواع من الإساءة: 1 ـ الإساءة العاطفية: وتمّ تعريفها بأنّها «نمط سلوكي مستمر يتّصف بانسحاب المسيء من العلاقة العاطفية الطبيعية مع الطفل، والتي

يحتاجها لنمو شخصيّته» وهي تشمل الإساءة الكلامية، العقلية النفسية كحبس «الطفل في الحمام أو بغرفة مظلمة وربطه بأثاث المنزل أو تهديده بالتعذيب» وغيره من الأمور التي تؤدّي إلى تعنيفه ولومه وإهانته وبالنسبة للعلامات السريرية لهذا النوع من الإساءة تشمل «اضطرابات بالكلام، بطء النمو وإخفاق النمو»، أمّا المؤشّرات السلوكية فتتمثّل بشعور الطفل بالحزن والكآبة وبأنّه غير مرغوب به، وظهور اضطرابات نفسية مثل مصّ الإصبع والعض واضطرابات سلوكية عدائية للمجتمع وتشمل التخريب وظهور صفات عصابية مثل اضطرابات النوم واضطرابات الكلام وعدم اللعب؛ كذلك يتضمّن هذا النوع من الإساءة الإهمال «نمط سلوكي يتّصف بإخفاق المسيء، تقديم احتياجات الطفل الجسدية والعاطفية مثل الطعام، المأوي، الملبس، المسكن» وهو يتضمّن ثلاثة أشكال هي الإهمال الجسدي أي إخفاق في تقديم الطعام واللبس والرعاية الطبية وأحياناً يصل إلى «التخلّي الكامل عن الطفل وطرده خارج المسكن». الإهمال التربوي إخفاق في توفير الدراسة والإحتياجات التربوية فيما يعني ظهور مشكلة التسرّب المدرسي. ثمّ الإهمال العاطفي أي إخفاق في تقديم «الحنان والحب والدّعم للطفل أو حدوث عنف منزلي بحضوره أو الإدمان على الكحول والمخدّرات من قبل البالغين ومشاركته في ممارسات هذا الإدمان» أمّا العلامات السريرية لهذا النوع من الإهمال هي الجوع المستمر، عدم وجود نظافة من ناحية الملابس وعدم توفير الرعاية الطبية له، أمّا المؤشّرات السلوكية تشمل «التسوّل وسرقة الطعام، والعزلة عن المجتمع، غير منظّم، غير مكترث بالحياة، لا يتّصل بالأقارب والأصدقاء والجيران».

الإساءة الجسدية «نمط سلوكي يتمثّل بإحداث المسيء بإصابات غير عرضية بالطفل والتي قد تكون بقصد فرط التأديب، أو العقاب الجسدي غير المناسب لعمر الطفل، أو الإنفجار السيء لتصريف ثورة غضب». بالنسبة للعلامات السريرية لهذا النوع من الإساءة فتظهر عبر كدمات في الوجه، والفم والفخذين «لها أعمار التئام متفاوتة وعلى شكل عناقيد، ولها أشكال محدّدة للأداة التي استخدمت مثل أسلاك كهربائية أو حزام أو إبزيم الحزام» بالإضافة إلى وجود آثار عضّ وكسور من غير المستطاع تفسيرها وكسور لولبية في الأطراف، أمّا المؤشّرات السلوكية لضحيّة الإساءة الجسدية متغيّرة حسب عمر

الطفل ودرجة نموّه «وشدة الإساءة وتشمل الإنعزال، وتجنّب الإلتقاء بالبالغين، الخوف والقلق عند بكاء الأطفال الآخرين، السلوك غير المتّزن والذي يتراوح بين العدائية والإنعزالية، وجود الخوف من الوالدين وخاصة المسيء أو الإعتماد عليهم بشكل كامل». أمّا المؤشّرات السلوكية للمسيء فتشمل عدم الإعتناء بالطفل وإعطاء تفسيرات غير واقعية تبرّر العنف ضدّ الطفل، إدمانه على الكحول، وعدم القدرة على التحكّم بالنفس.

3 ـ الإساءة الجنسية «في قيام المسيء بأي تصرّف جنسي أو تصرّف مثير للرغبة الجنسية أو انتهاك معتمد لخصوصية جسم الطفل، بغضّ النظر عن قبوله بتلك الأفعال أم لا». المشكلة هي أنّ أكثرية الأطفال لا يتكلّموا بهذا الكلام ممّا يجعل من العلاقات السريرية «نادرة الحدوث وعليه تمّ البحث عن المؤشّرات السلوكية، والتي بدورها لا يوجد مؤشّر سلوكي وحيد يعتبر تشخيصيّاً»، ويضع الباحثان بعض العلامات السريرية المحتملة صعوبة المشي أو الجلوس، تلوّث الملابس الداخلية ببقع أو دماء، ألم، كدمات، نزف بالأعضاء التناسلية وغيرها». أمّا المؤشرات السلوكية فهي سوء النظافة، الإنعزال عن الرفاق، «السلوك الطفولي مقارنة مع عمره، تجنّب الملامسة الجسدية للبالغين وحتى للأطفال، التبوّل اللاإرادي، كوابيس، مص الإبهام، أرق واضطرابات بالنوم، الكآبة والتوتّر، السلوك الجنسي غير المتوقّع لمثل عمره. بالنسبة للمؤشّرات السلوكية للمسيء تتضمّن «الغيرة من الطفل، الإفراط في حمايته من كافة الأشياء وإن كانت صغيرة، الإدمان على الكحول والإنعزال الإجتماعي، واضطرابات في الشخصية» ويتحدّث الباحثان الحديدي وهاني جهشان عن أسباب إساءة معاملة الأطفال: إنّ الإطّلاع على هذه الأسباب أمرٌ ضروري لأي شخص «يعمل في مجال حماية الطفولة» لا يوجد سبب واحد للإساءة، وحدوث الإساءة يعتمد «على عوامل متعدّدة: تصادم العائلة، وهذه العوامل تتفاعل وتعزّز بعضها البعض، لينتج عنها إساءة معاملة الأطفال أو إهمالها. وعليه فإنّ الإساءة تتولّد نتيجة تفاعل «عوامل خطورة» تتراوح بين الأطفال أنفسهم وعائلاتهم والمحيط الذين يسكنون فيه» على المهنيين الذين يتعاملوا مع هذه الحالات «التكيّف معها بشكل منفرد، وتجنّب التعميم عند تشخيص، أو علاج الأطفال، وعائلاتهم» وقد حدّد الباحثان عوامل

الخطورة لوجود الإساءة: الأول مرتبط بالوالدين، لأنّ أكثرية الأشخاص المسيئين للأطفال، قد يكونوا تعرّضوا في صغرهم لإساءة نفسية، جسدية، جنسية، ولكن يجب عدم تعميم هذه الفكرة، على الرغم من أنّ هؤلاء، «يعانون من إضطرابات عاطفية أو سلوكية، إلا أنّ الأمراض النفسية تلعب دوراً ضئيلاً في حصول الإساءة والإهمال، ولا يوجد نمط معيّن تتّصف به شخصية المسيء». فقد يتّصف بعد احترامه لنفسه، تدنّي الذكاء، اللامبالاة، الكآبة، العدائية، التوتّر. والثاني مرتبط بغياب المعرفة والوعي لدى الوالدين التي تؤدّي إلى الإهمال والإساءة وتشمل فرط التأديب أو العقاب الجسدي، مشاكل الصعوبات الزوجية كغياب التواصل بين الزوجين «القناعة بأنّ الطفل ليس ملكية خاصة للوالد أو الوالدة أو القناعة بأنّ العنف هو السبيل الأمثل لحلّ مشاكله». وهناك بعض الظروف التي تؤدّي إلى زيادة خطورة الإساءة وتشمل ولادة غير مرغوب بها، مرض جسدي للوالد أو الوالدة، عدم التعاطف مع الطفل المريض جسديّاً، الزواج المبكر، أو الوالدة الوحيدة والأرملة، المطلّقة» إنّ تعاضد هذه الظروف «مع وجود ضغط إجتماعي أو عزلة إجتماعية لدى العائلة» تؤدّي إلى زيادة الإساءة.

عوارض الخطورة المرتبطة بالطفل: إنّ عمر الطفل ونموّه الجسدي والعقلي الإجتماعي يلعب دوراً في زيادة أو نقصان إحتمال تعرّضه للإساءة، «بعض الأطفال وبسبب صغر حجمهم ومرحلة نموّهم المبكرة يكونوا عرضة «لمتلازمة الطفل المعذّب» «متلازمة الطفل المهتز» أو «إخفاق النمو غير العضوي»، كذلك الأطفال الذين يعانون من مرض دائم وبكاء شديد، وعدم الإستجابة، عدم تلقّي الرعاية الكافية، والأطفال الذين يعانون من الإنعزال الإجتماعي هم أكثر عرضة للإساءة، امّا عوامل الخطورة المرتبطة بالعائلة، فهناك بعض العائلات لها صفات تزيد احتمالية الإساءة والإهمال مثل: «النزاعات الزوجية داخل الأسرة النووية، النزاعات داخل الأسرة الممتدة، العنف الأسري، الضغوطات المالية والوظيفية، والإنعزال الإجتماعي».

بالنسبة لعوامل الخطورة المرتبطة بالمحيط الذي يسكن به الطفل، فتختلف سلوكيات الإساءة من مجتمع إلى آخر وهذا يعتمد على: «الحالة الإقتصادية

العامة بالمجتمع، مفهوم المجتمع لدور الأسرة، المفهوم السائد للعقاب الجسدي، والرعاية الإجتماعية المقدّمة للأسرة».

والنقطة ما قبل الأخيرة التي تمّ عرضها في هذا البحث هي آثار وعواقب إساءة معاملة الأطفال: هناك العديد من الآثار والعواقب التي تنتج عن إساءة معاملة الأطفال وتشمل: «العواقب العصبية، العقلية، التربوية، السلوكية، والعاطفية». وتعتمد هذه العواقب على مرحلة نمو وتطوّر الطفل وعلى فترة وشدّة الإساءة ونوعية العلاج المقدّم لهذه الإساءة، «فقد ينتج عن الإساءة العاطفية سلوكيات إنعزالية سلبية، أو عدائية، أو نشاط مفرط» ويرافق ذلك التبوّل اللاإرادي، نوبات الغضب، عدم احترام الذات، تأخّر في الدراسة وحذر من الكبار، وينتج عن الإساءة الجسدية إعاقات دائمة نتيجة إصابات الرأس وارتفاع معدّلات الإنتحار والتفكير بها، أو الإساءة الجنسية، فينتج عنها توتّر، خوف، قلق، غضب، سلوكيات جنسية غير مناسبة. ويطرح الكاتبان سؤالاً حول التعرّف على حالات الإساءة، مسؤولية مَن؟ ويجيبان بأنّ إساءة معاملة الأطفال مشكلة إجتماعية، يجب على الجهات المختصة والمعنين في هذا العمل في كافة القطاعات الإهتمام بهذه الأزمة والتعاون فيما بينهما، وتتضمّن جهودهم عبر وضع «إتفاق على الأهداف الرئيسية المشتركة بينهم، وفهم كلّ واحد منهم لدور الآخرين في هذا المجال، مع ضرورة التواصل الدّائم والإتّفاق على إجراءات مكتوبة»، كذلك يلعب الأمن العام دوراً في التحقيق من حدوث الإساءة أو عدمها والمتابعة الجزئية لهذه الحالات، جمع الأدلّة وملاحقة المجرم، والمشاركة في حماية الطفل، ودعمه؛ كذلك لوزارة التربية والتعليم ومؤسّساتها دور في التعرّف على حالات الإساءة عبر التبليغ عن الحالات المشبوهة بالإضافة إلى المساهمة في التشخيص وعلاج ومتابعة الحالات؛ أمّا وزارة الصحّة والخدمات الطبية الملكية، فيقع عليها دور في حماية الطفل عبر الفحص الطبي وتشخيص الحالات والتبليغ عنها، توفير العلاج الطبي والنفسي لهم وإجراء تقييم للأطفال المساء لهم ولعائلاتهم.

وأخيراً إنّ ظاهرة إساءة الأطفال ظاهرة مرضية موجودة في المجتمع الأردني ويجب العمل كفريق واحد من قبل الجميع لزيادة التعرّف وتشخيص

الحالات؛ والخطوة الأولى تكون عبر تشجيع التعرّف المبكّر على «حدوث أو احتمالية حدوث الإساءة أو الإهمال» كذلك يجب التركيز على دور الاجهزة الأمنية والقضائية والدينية وتفعيل دورهم، وتوفير التدريب الأكاديمي والعملي لهؤلاء المهنيين، وزيادة الوعي لدى المجتمع الأردني عبر القيام بحملات إعلامية موجّهة للأفراد وللعائلات (أوراق عمل قطرية في ملف العنف والأسرة الإسلامية. دراسات غير منشورة).

خلاصة

لكل المجتمعات ثوابت يبنى عليها العقد الإجتماعي، لكن ثوابتنا، فهي ما يبرّر اللامساواة واللاعدالة واللاحرّية، بل ما يسوغ الإرهاب والعنف، أنها «مقدّسات» تلهج بها مجتمعاتنا العربية، فتجعلها حجر عثرة في طريق كل رغبة في التغيير والإصلاح الحقيقي. . . على حد تعبير د. رجاء بن سلامة التي تناولت بالنقد العلمي الموضوعي التوّاق إلى الإصلاح والتغيير (نقد الثوابت، آراء في العنف والتميز والمصادرة ـ دار الطليعة ـ بيروت 2005). إنّ اللهج بالثوابت هو كاللهج بالهوية وهي عقبة أمام التغيير، إذ تبقى مبهمات مخزون ثقافي لا تدافع عن الحق في الحياة والحق في حرية المعتقد وحرية السيادة على الجسد. . . ونخصّ بالذكر اللغة الخشبية المتجمّدة المتعلّقة بمصائر النساء عبر هوس عقائدي يفترض في الرجل الذي ينظر إليها هشاشة مطلقة، يُخشى عليه من فقدان توازنه كأنّه غير قادر على التّحكّم بنوازعه. عليه تصبح الأنثى هي ذلك الآخر الذي يبني عليها سلطانه أو ظلّه. . .

إنّ علاقات الهيمنة هي نتيجة لعنف بنيوي هادئ ورمزي صامت وصريح في الوقت نفسه. . .

الفصل الثالث

العنف الجنسي

1 ـ مقدمة

2 ـ الإغتصاب

3 ـ التحرّش الجنسي بالولد

4 ـ الشّباب اللبناني والجنس

5 ـ البغاء

6 ـ جرائم الشرف

7 ـ أحداث ومواقف عنفيّة تكرّرت من على صفحات الجرائد

1 ـ مقدّمة

تحظّر المجتمعات بشكل عام ترك العنان للغرائز الجنسية وهي قيم إجتماعية شكّلت روح الشّرائع وصلب مواضيع العلوم الإجتماعية، وكل تصرّف يتجاوز هذه القيود المنصوصة والمتّفق عليها في آنٍ معاً ـ يجازى ويعاقب عليه إذ ترجمت هذه القيم بقوانين!

وفي حال غياب الحكم الإتهامي فإنّ الشعور بالذنب ليس بالضّرورة حكماً مقروناً. أوّل ما يبدأ التميز بينها وبين الرّجل بنفي إنسانية المرأة وهو فهم ناجم عن البنى التقليدية الرّاسخة في عقول الرجال، كعدم إعطاء المرأة حقوقها واعتبار كرامتها أدنى من كرامة الرجل ممّا يبرّر لنفسه الإعتداء على حرمة جسدها دون رادع، إن كان عبر التحرّش الجنسي أو الإغتصاب لعدم وجود قوانين صارمة تعاقب على هذا الموضوع.

إنّ السياسة المتّبعة ضدّ المرأة هي نتاج التّربية الذكوريّة القائمة في بلادنا على صيغ علائقية غير متوازنة الأطراف؛ فالفتاة تربى على طاعة الوالد وعلى حقّه في تأديبها. مضافاً إليها ختان البنات وما تمثّله من عنف جسدي ونفسي للفتاة... كل هذا يدفع المرأة للعيش حسب شريعة الغاب.

إلا أنّ معرفة النسب الحقيقية للنساء المعنّفات لا تزال طيّ الكتمان لأنّ هذا الموضوع يعتبر ليس فقط من المحرّمات بل من الأسرار الخاصة التي يُتكتّم عنها لسببين اثنين: الحميمية التي تنطلق منها والعنصرية التي يمكن أن

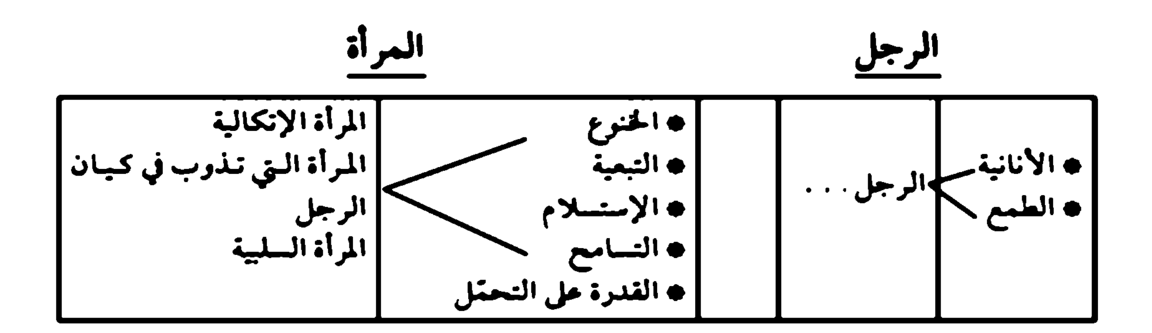
تستخدمها التيارات المعادية للعرب وللإسلام ممّا يجعل التطرّق إلى وسائل العنف أمراً أكثر صعوبة.

لكن التعبير حاصل، فبعد أن كانت النساء لا تدرك متعة الجنس إلا لإنجاب أو لإرضاء الرجل وكأنّ لا حاجات جنسية للمرأة... التي كانت تعيش عقدة جسدها. إنّ التوعية الجنسية، كمقياس في الغرب، ترفض المحرّمات في الجنس، والواقع اللبناني يعيش اتباع سياسة النعامة ونفي الواقع القائم الذي يطلّ على «التحرّش الجنسي»؛ ففي دراستها منذ 1983، رصدت ماري تريز خير بدوي 50% من الفتيات اللواتي شملتهنّ دراستها بأنّهنّ جرّبن الجنس قبل الزواج... في لبنان مجتمعات عدّة ولا يمكن أن تعمّم هذه النتيجة لأنّ موضوع الجنس يُطرح مع المستوى العلمي والدّين... وظواهر التحرّر ما هي إلا ردود فعل على المجتمع التقليدي... علاقة الفتاة بجسدها غدت أكثر تطوّراً وجرأةً وصارت تعلن عمّا تريده كإتباع الموضة المثيرة... الجنس أصبح متداولاً في العلن أكثر وهذا ربّما يعود إلى وسائل الإعلام.

لقد أصبح الحديث عن هذا الأمر غير محرج خاصة لشابّاتنا...

2 ـ الإغتصاب

في الخارج أيضاً ـ وكربط على أشكالتنا ـ فإنّ الأماكن العامّة، وأينما كان، تواجه المرأة على الخصوص وغالباً وفي حالات الإغتصاب ما تضطرّ معها الضّحية إلى الصّمت والتكتّم والخزي. وهي أيضاً متّهمة وكأنها هي من يتحمّل وزر ما وصلت إليه! فنذكر حالات الإغتصاب والتحرّش الجنسي والإضطهاد النفسي هو (أي العنف العام) الجذور والفروع والذي يتجسّد في التربية وفي كثير من الأحيان القراءات المغلوطة التعاليم الدينية ممّا يغذّي لدى كل من:



جدول (16)

يغيب الحديث أو يُغيَّب الحديث عن العنف إجتماعيّاً بغياب توعية لازمة، فمواجهة هذا العنف العام يغدو أمراً طبيعيّاً...

إنّه عنف الإجتماع والجنس عبر علاقة تحكّم الجنسين وتمركز على العنف الإجتماعي الجنسوي الظاهر بالثقافة الذكورية المسيطرة على مجتمعاتنا... هو الصبي الذي يتربّى منذ صغره على ان يكون رب الأسرة والآن هُزّء ونُعِتَ بأنّه «امرأة»... فيحكم ساعتذاك وبالمباشر عليها بأنّها كائن ناقص لا يتساوى مع الذّكر من حيث القيمة الإنسانية... هي كائن لا يتعلّم حقوقه الأساسية في تربير المصير والتحرّر والعمل ولأيّ موقع الإدارة والسلطة... وهي حالما تحصل على امتيازات شخصية وإجتماعية كالعلم والمال فهي تهدّد الرجل في علاقاته بالسلطة وبالسيطرة، في هذه المرحلة يبدأ الرجل بمحاولات حثثية (واعية وغير واعية) للحطّ من قدرتها وللمحافظة على هالته بالذكورة...

هي ثقافة سائدة تعبر من العام إلى الخاص تقوم على المنح والحرمان: منح الرجل امتيازات يعيد منحها وإنتاجها لنفسه... وحرمان المرأة من حق السيطرة على ذاتها تعيد إنتاجها على نفسها وعلى بنات جنسها.

هي ثقافة ينتج عنها سلوك عدواني مبني على علاقات غير متكافئة في تحديد الأدوار.

إنّ الإغتصاب كنوع من أنواع العنف الموجّه بالضرورة إلى النساء والأطفال لا يختلف في لبنان عمّا يحدث في غير بلدان، وإن تباينت الوقائع والحيثيات.

ومهما كانت طبيعة الإعتداء الجنسي، وأيّاً كانت ضحاياه، يبقى إنّه فعل تقاضيه القوانين؛ وهو في لبنان يعتبر جرماً ورد في قانون العقوبات اللبناني في عدة مواد قانونية وإن طرحت بعض التفسيرات التي ترى فيه بعض التمييز ضدّ المرأة والتي سنوردها لاحقاً.

تعريف الإغتصاب:

الإغتصاب وحسب التعريفات المتداولة هو مواقعة شخص مع شخص آخر دون رضاه عبر التهديد والعنف واستخدام وسائل لشلّ حركته.

ويعرف قانون العقوبات اللبناني في الباب السابع في الجرائم المخلّة في الإخلاق والآداب العامة في الفصل الأول، الإعتداء على العرض:

النص الحالي المادة 503.

«مَن أكره غير زوجه بالعنف والتهديد على الجماع عوقب بالأشغال الشاقة لمدة خمس سنوات».

هناك عدّة أنواع من الإغتصاب نكتفي بذكر بعضها:

- الإعتداء على قاصر.
- زنى المحارم (وهي إقامة علاقة جنسية بين الأهل).
- الإعتداء على شخص ذو إعاقة عقلية أو نفسية أو جسدية.

أمّا بالنسبة إلى علم النفس فهو يفسّر الإغتصاب إنطلاقاً ممّا تعنيه الكلمة لغويّاً، فهو أخذ الشيء قهراً أو ظلماً وعليه فالإغتصاب هو فعل عنف يتّصف بإنقضاض الأقوى على الأضعف، هو إكراه الضعيف على الإمتثال عنوة إلى قهر الضحية وظلمها جسديّاً ونفسيّاً ومعنويّاً نظراً للإضطرابات التي سيولّدها عند الضّحيّة. (www.alarabiya.net).

لذلك يعتبر علم النفس أنّ للإغتصاب تعبير نفسي أكثر ممّا هو عملية إشباع جنسي. ويعتبر علم النفس أنّ الغاصب يشعر في قرارة نفسه بأنّه أقل قدراً من الآخرين وهو يخاف الآخر لا شعوريّاً فيحاول التخلّص من مشاعر الضّعف تلك بإثارة الرّعب في نفس الآخر وإيذائه وتعذيبه.

لذلك حاول علم النفس الإهتمام في الآثار المترتّبة التي تنتج عن هذا الفعل وهو يسعى إلى تشخيص ما تعانيه المرأة المغتصبة وإيجاد السبل للعلاج، حيث يمكن أن تتعرّض بعد الحادثة إلى عذاب نفسي وتصاب بأعراض القلق، والخوف، والإحتقار الذاتي، والشعور بالعار وكرهها لجسدها ولجنسها، والميول الإنتحارية، والتي سنتوسّع فيها لاحقاً والتي تسمى عصاب ما بعد الصدمة / Post-Traumatic /Stress disorder.

هذه الأعراض تكون عبارة عن ردّ فعل قوية لضغط كبير أو صدمة عنيفة، وليس كل من يتعرّض لأزمة ممكن أن تظهر عنده أعراض ما بعد الصدمة وذلك حسب استجابات الأفراد وحسب وضعيّاتهم المختلفة ضمن محيطهم العائلي وعلاقاتهم مع الآخرين.

بالإضافة إلى الأعراض المرضية بعد الإنتهاك الجسدي والنفسي المتمثّل في الإغتصاب هناك ضغوط أخرى تتعرّض لها ضحية الإغتصاب ولاسيما في لبنان من قبل المؤسّسات التي تتعاطى مع هذه الحالة، والتي تبدأ بالأسرة المحيطة بها وتنتهي بالمؤسّسة القانونية وأجهزة الأمن، التي تتعاطى مع الحالة كحالة عارضة دون مراعاة لخطورتها وآثارها النفسية على الضحية.

وينبع اهتمامنا في هذا القسم عن الإغتصاب (للمرأة) ينبع من كون العنف في إزدياد بشكل عام، وبالأخص تجاه المرأة، في الوقت نفسه مع ازدياد التوجّه نحو المرأة كعنصر مركزي في الأسرة ونقطة إنطلاق نحو المجتمع. في موازاة ذلك هناك تقصير في تعزيز مكانة المرأة، الأم، العاملة، والفاعلة في المجتمع.

وإنطلاقاً من دورها المركزي في التنشئة الإجتماعية والتي تكملها المؤسّسات المحيطة من العلاقات داخل الأسرة إلى العلاقات مع المجتمع في نطاقه الأوسع، فإنّ أي خلل في مستوى من مستويات هذه العلاقات سوف ينعكس على المرأة كونها نقطة البداية في هذه العلاقات. فالعنف إذا كان مصدره داخل الأسرة أو خارجها سوف يؤثّر على نظرة المرأة إلى نفسها وموقعها وبالتالي على وظائفها المختلفة.

من هنا، ولمّا كانت كثيرات تتعرّضن للإغتصاب دون أن يبلّغن عن الحالة وذلك خوفاً بالدرجة الأولى من الفضيحة التي قد تلحق بالعائلة، وقلة ثقة بالقضاء وبتعاطي رجال الأمن مع هذه الحالة بالدرجة الثانية، حيث هناك البعض من القوانين التي فيها نوع من الإجحاف بحق المرأة وحقها في الإقتصاص من الجاني، وكون بعض رجال الأمن لا يراعون الحرج الذي قد تشعر به الضّحية، فلا تتعاطى معها أنثى تعمل في سلك الشرطة وتقوم بأخذ إفادتها وتنسّق مع هيئة أهلية لتقديم المساعدة الطّبية أو مساعدة نفسية على مواجهة الصدمة، بل يسارعون إلى التشكيك في كونها راضية، أو أنّها لم تبدي مقاومة كافية، والتي يرى البعض أنها ممكن تؤدّي إلى قتلها، ولا يعني ذلك أنّ عليها ألا تقاوم الجاني.

أبرز مثال على ذلك هي المادة 522 المتعلّقة بتزويج المرأة المعتدى عليها من الجاني بواسطة الإغتصاب أو ارتكاب الفحشاء أو الخطف أو التهتّك.

نصت الفقرة الأولى من المادة 522 على أنّه «إذا عقد زواج صحيح بين مرتكب إحدى الجرائم وبين المعتدي عليها أوقفت الملاحقة، وإذا كان صدر حكم بالقضية علق تنفيذ العقاب الذي فرض عليه.

أ ـ الإعتداء قد وقع على الضّحية المعتدى عليها وبالتالي يجب ملاحقة الفاعل ومعاقبته.

ب ـ أفلا تشجع هذه المادة العنف على الجماع بالقوة والإعتداء بواسطة الإغتصاب أو الخطف أو إرتكاب الفحشاء على الفتيات بقصد الزواج منهن رغم إرادتهن وتخالف أبسط حق من حقوق الإنسان ألا وهو الحفاظ على الكيان الجسدي والنفسي.

من هنا نلاحظ كيف تكون مثل هذه القوانين أداة ضغط تستخدمها العائلة لتزويج ابنتها خوفاً من الفضيحة دون أن تراعي حجم الأذى الذي تعرّضت له وفي نفس الوقت تستخدم لترهيب الضحية حتى لا ترفع دعوى قضائية.

العنف كما يقول د. مصطفى حجازي في كتابه «سيكولوجية الإنسان

المقهور» يبقى الوسيلة الوحيدة في يد الإنسان للإفلات من مأزقه ومن خطر الإندثار الداخلي الذي يتضّمنه هذا المأزق؛ والعنف هو السلاح الأخير لإعادة شيء من الإعتبار المفقود إلى الذات من خلال التصدّي مباشرة أو مداورة للعوامل التي يعتبرها مسؤولة عن التبخيس الوجودي الذي حلّ به. والعنف هو الوسيلة الأكثر شيوعاً لتجنّب العدوانية التي تدين الذات الفاشلة من خلال تورية هذه العدوانية إلى الخارج، كلما تجاوزت الإحتمال الشخصي. أنّ العنف هو الوجه الآخر للإرهاب والقهر اللذان يفرضان على الإنسان في المجتمع المختلف.

«في أساس العدوان والعنف يتحدّث «فرويد» عن وجود نزوتين توجّهان الفرد وتمدّانه بالطاقة الحيوية: نزوة الحياة (إيروس) ونزوة الموت (تاناتوس).

نزوة الحياة هي منبع الطاقة الجنسية المسؤولة عن كل رباط إيجابي مع الآخرين.

نزوة الموت هي التي تهدف إلى التدمير، حيث تتركّز في الفرد وترتدّ إليه وتؤدّي إلى تدميره وإفنائه؛ أمّا إذا توجّهت إلى الخارج فإنّها تأخذ كل أشكال العدوان والعنف والحقد، عندما تتوجّه إلى الذات تأخذ شكل مشاعر الإثم وإدانة الذات والقسوة عليها.

إنّ العدوانية الناجمة عن الإحباط بإمكانها أن تتراكم وتهدّد الشخص من الداخل، فيلجأ إلى إسقاطها على الموضوعات الخارجية التي تصبح رمز الشر والعدوان، عندها، يصبح الآخرون هم المخطئون.

ويجوز توجيه العدوانية ضدّهم؛ فتزداد الغرائز قوّة وعنفاً، فالرغبات الجنسية المحبطة تولد العدوانية وتؤجّجها، هذه العدوانية التي إذا لم تصرف بالأشكال الإيجابية فإنّها لا بد من أن ترتد على الآخر في شكل عنف أو إرهاب.

ـ 1 ـ العنف ضدّ الذات:

هو ميل الفرد إلى العقاب الذاتي الذي يتّخذ أشكالاً متعدّدة:

ـ تبني الفشل الدراسي أو المهني.

ـ التشدّد على الذات وعلى الجسد من خلال الزهد والتقشّف والعدوان.

ـ عدم الرّضا على الذات والميل إلى التفكير عن ذنوب لم ترتكب، والنقد القاسي للذات.

ـ الأمراض والإضطرابات النفسية ـ الجسدية مثل بعض الحساسيّات وصداع الرأس، فهي تمثّل وجهاً من اوجه الكراهية غير المبرّرة، حيث يعتبر الألم الجسمي أخف وطأة من كره المرء لذاته بسبب عدوانيته الزائدة.

ـ توريط الذات بمشكلات تستدعي العقاب (تمرّد عصيان).

ـ تعريض الذات للأخطار: مثل التدخين، المخدّرات، المسكّرات، قيادة السيارة بسرعة جنونية، الإستهتار بقواعد الصّحة والسلامة، وتبنّي السلوك المتطرّف المضر.

ـ ولعلّ الإنتحار يمثّل قمّة العنف الممارس على الذات.

ـ 2 ـ العنف ضدّ الآخرين:

يتّخذ أشكالاً ظاهرة وأخرى غير مباشرة ومتنكّرة، صحيح أنّ التربية تمارس ضغوطاتها على الفرد لجهة كبح العدوانية لكنّها لا تفلح دائماً في مهمّتها تلك، خصوصاً إذا كانت من النوع الشديد القساوة التي لا تسعى إلى تمكين الفرد من التسامي بالعدوانية بالشكل الإيجابي (تنافس، رياضة، كفاح).

في هذه الحال تتراكم العدوانية عند الفرد وقد تنفجر لأتفه الأسباب.

ومن الأشكال الظاهرية لتصريف العدوانية نذكر:

ـ الضرب والعضّ وأنواعاً أخرى للتهجّم المباشر مثل تخريب الممتلكات العامة.

ـ الصراخ والتحدّث بصخب.

ـ العدوان عن طريق الكلام (التهجّم الشفهي مثل الشتائم والحط من قدر الغير وعبارات التهكّم، نشر الإشاعات والقذف والإفتراء وتشويه السمعة والمضايقة، والنميمة، وتصرّفات الخداع والتضليل والإحتيال والشطارة).

أمّا العنف الذي تمثّله قمّة العدوانية ضدّ الغير فيتّخذ بشكل الجنوح، وقد يصل الأمر بالفرد إلى حد الإجرام (تكتّل الأفراد في عصابات تعتدي على الآخرين وتمارس السرقة وإيقاع الأذى والحط من الكرامة، السرقة، الغش، ألعاب الخداع).

أما بالنسبة للعدوانية غير المباشرة فتظهر من خلال الأشكال التالية:

- الكراهية التعويضيّة: تحويل الغضب والعدوان من موضوعاتها الأساسية إلى الأشياء، مثل تحطيم أثاث المنزل أو إلى الحيوانات الأليفة.

- تبنّي الإتّجاهات السياسية المتطرّفة والمتعصّبة.

- التمرّد والعصيان.

- العداء الإسقاطي (إلقاء المسؤوليات الشخصية الخاصة بالفرد على الآخرين).

- الإحساس بالظلم والإجحاف.

- العدوانية المرتدّة إلى الذات (أعراض نفس - بدنيّة).

- التوتّر الوجودي العام.

ومن أحد أهداف هذه الدراسة، شقّها التوثيقي، لذا فنحن نختار تحقيقاً ورد في جريدة النهار (9/ 6/ 2005) عن الإغتصاب وفيه ثلاث قصص تختصر معاناة نساء ثلاث:

بين حقد زاهية ك. على الرجال، وخوف نورما س. من المجتمع، واضطرار مريم م. للمحافظة على عائلتها، ثلاث قصص إغتصاب تختصر معاناة ثلاث نساء... لمجرّد أنّهنّ نساء!

تقول زاهية ك. «لم يعد جنس الرجال يعني لي سوى الألم، والحيوانية التي تغطّيها ربطات أعناقهم في المجتمع وتكشفها شهوتهم الذكورية الرخيصة حين ينفردون بأنثى».

هي فتاة في السادسة والعشرين من عمرها، إغتصبها جار لها منذ 15

سنة، لم تفصح عن الحادثة لأحد من أهلها، جيرانها، أو أي جهة أمنية، وهي ترى الرجل «المغتصب» يومياً، تتحاشاه وتتجنّب إلقاء التحية عليه، لكنّها تفعل إذا اضطرّت وتعترف لنا أنّها لا تزال إلى اليوم، حين تراه، تشعر بالخوف نفسه الذي شعرت به عندما تسلّل تلك الليلة إلى سريرها، منعها من الكلام، إفتعل بها، وتركها كأنّ شيئاً لم يكن! تعترف زاهية ك. أنّها لا تشعر بأي رغبة جنسية تجاه أي رجل، لا بل أنّها تتحاشى الرجال حتى في حياتها اليومية، وهي في المقابل أقامت علاقات جنسية مع فتيات، وتصرّح أنّها أحبّت الأمر رافضة الكلام على هذا الموضوع أو الإجابة عن أي من أسئلتنا في هذا الإطار.

نورما س. عمرها إحدى وعشرون سنة. منذ ستة أشهر استطاع صديق أخيها إستدراجها بالحيلة إلى شقّته. تذكر أنّها شربت مشروباً غازيّاً نتيجة إصرار الصّديق على أصول حسن الضّيافة، واستفاقت عارية في سريره بعد فترة من الزمن علمت بعدها إنّها تجاوزت الساعتين. إكتشفت بسرعة أنّها فقدت عذريّتها، وبالتالي فقدت أعصابها وهرعت مسرعة إلى أهلها تخبرهم بما حصل. رفض والدها التقدّم بشكوى إلى أي جهة رسمية، لكنّه استدعى الشاب وخيّره بين الزواج بإبنته و«السترة» أو السجن والفضيحة، فاختار الزواج بالفتاة مستدركاً خطأه وهي قبلت مرغمة! تقول نورما س.: «اعتدت العيش مع شخص أكرهه، مشاركته فراشه وجسدي! أنا اليوم أتحمّل هذا الوضع على مضض، لكن لا أعرف إلى متى؟

أما مريم م. فقصّتها مختلفة، فهي في العقد الخامس من عمرها، متزوّجة منذ عشرين سنة، ولها ولدان من رجل كانت تحبّه! يمارس زوجها عليها كل أنواع العنف الجسدي والنفسي، ولم يعد بنظرها أكثر من إنسان مريض تجد نفسها مضطرة لتحمّله للمحافظة على عائلتها. تقول مريم م. «لم أشعر بالرغبة الجنسية تجاه زوجي منذ خمس عشرة سنة!» وتتابع: «أجد نفسي في كل مرة مضطرّة لإرضائه لتجنّب فضيحة، وأمارس معه الجنس مرغمة، من دون الشعور بأي لذّة، وأقول في نفسي: إنشالله الله يخلّصني بسرعة من هالعذاب!». تضيف مريم: «أكثر ما يؤلمني أنّني أغتصب بالحلال وليس في إمكاني الشكوى لأحد أو فعل أي شيء في هذا الخصوص!».

أضرار الإغتصاب جسدية ونفسية أيضاً، والإغتصاب فعل يعاقب عليه القانون في قانون العقوبات اللبناني.

من هنا ضرورة الإطلاع على رأي علم النفس ورأي القانون في هذا الخصوص...

والإغتصاب هو أخذ شيء من الآخر بالقوة أو الخداع أو التهديد يعني بدون رضاه وبدون أي شعور باللذّة...

ومفاعيل الإغتصاب لدى الضّحية يمكن أن يدوم طوال العمر ما لم يخضع للعلاج المناسب ويتزايد الأذى في سفاح القربى..

فهو يعيد تحريك الإنفعالات النفسية الدفينة... ويصبح الهدف في حال العلاج ـ علاج الضحية ـ إدراج هذه الواقعة في سياق الحياة اليومية وردّ القيمة لجسدها... أمّا الفاعل فاللذة تختلط عنده بالعنف وهي أسباب غالباً ما ترجع لطفولته...

ويعاقب القانون المغتصب ويشدّد العقوبة عليه في حال تمّ الإعتداء على قاصر... إلا أنّ اغتصاب الزوج لزوجته لا يعاقب عليه... وفي العنف المجتمعي العام، فإنّ تغيير أو تعديل المادّتين 503 و504 من قانون العقوبات لتشملا معاقبة اغتصاب الزوجة... فهو شبه مستحيل...

يضاف إلى هذا الواقع، صعوبة التكلّم والإفصاح عن هذه الواقعة من قبل الضّحية فتغيب الشكوى ويضيع معها خوفاً من التشهير وكأنّها هي الفاعل...

لذا فإنّه وعلى الصّعيد القانوني، ينصح في حال التعرّض للإغتصاب التوجّه إلى أي مخفر لقوى الأمن والتقدّم بشكوى رسمية مرفقة بتقرير من الطبيب الشرعي أو التقدّم بصفة الإدّعاء الشخصي بشكوى رسمية للنيابة العامة أو أيضاً بدعوى مباشرة أمام قاضي التحقيق!!!

إنّه ـ أي الإغتصاب ـ يطرح إشكالية المجتمعي وأثره على الشخصي فهو يفرض فوقية ذكورية بفعل دوني...

3 ـ التحرّش الجنسي بالولد

ورد في اتّفاقية الأمم المتّحدة حول حقوق الطفل ضمن المادة 19: «تتّخذ الدول الأطراف جميع التدابير التشريعية والإدارية والإجتماعية والتعليمية الملائمة لحماية الطفل من كافة أشكال العنف أو الضّرر أو إساءة المعاملة أو الإستغلال، بما في ذلك الإساءة الجنسية، وهو في رعاية الوالد (الوالدين) أو الوصي القانوني عليه. أو أي شخص آخر يتعهّد الطفل برعايته».

وقد أكّدت إحدى الدراسات التي قامت بها اللجنة القومية لمنع إيذاء الأطفال كما ذكرت جريدة الوطن السعودية أنّ هناك عشرات الآلاف من الأطفال الضحايا الذين يعانون من الصدمات النفسية الشديدة مدى الحياة نتيجة إيذائهم. وقد تبيّن أنّ هناك 77% من هؤلاء المعتدين (آباء) للأطفال الضحايا، و11% من أقاربهم.

وإنّ أكثر من 75% من المعتدين معروفين للضّحية تربطهم بالطفل علاقة قربى أو معرفة.

ونشر في كتاب (الطفل العربي والمستقبل) للدكتور «عماد زكي» أنّ «مائة مليون طفل عربي يشكّلون 45% من مجموع العرب وأعلى نسب الأطفال في العالم وتقول الإحصاءات أنّ أطفالنا هؤلاء يشكّلون أعلى نسبة من نسب الأطفال مقارنة بأي شعب آخر» ومع ذلك فنحن نعاني من افتقاد الأسر للوعي بحماية الطفل داخلها قبل أن تحميه من الخطر في الخارج.

(عن ناهد باشطح ـ جريدة الجزيرة ـ السعودية)

من هنا، من النقطة التي تؤكّد أنّ تعنيف الطفل ظاهرة عالمية وأنّه يكثر داخل الأسرة وأنّ مصدر الأمان بالنسبة إلى الطفل هو سبب إيذائه.

إنّنا حين نفتح ملفّاً بهذه الدّرجة من الحساسية فنحن نستنهض الوعي لدى الأسر المهملة عن جهل أو انحراف في الفطرة ونحيي الأسر التي استطاعت أن تتبع أساليب التنشئة الإسلامية لحماية الأطفال خارجها وداخلها بوعي ومسئولية تجاه الأطفال الذين هم أمانة في أعناقنا.

تعريف الإستغلال الجنسي لجسد الطفل:

«هو اتّصال جنسي بين طفل لبالغ من أجل إرضاء رغبات جنسية عند الأخير مستخدماً القوّة والسيطرة عليه» (لوجسي، 1991، ميكلوبتش، لفشيش، 1995). هذا الإستغلال يعرف على أنّه دخول بالغين بأولاد غير ناضجين وغير واعين لطبيعة العلاقة الخاصة جدّاً وماهيّتها، كما أنّهم لا يستطيعون إعطاء موافقتهم لتلك العلاقة والهدف هو إشباع المتطلّبات والرّغبات لدى المعتدي، وإذا ما حدث داخل إطار العائلة من خلال أشخاص محرمين على الطفل فيعتبر خرق ونقد للتابو المجتمعي حول وظائف العائلة ويسمّى سفاح القربى أو (قتل الروح) حسب المفاهيم النفسية وذلك لأنّ المعتدي يفترض عادة أن يكون حامي للطفل، ويعرف سفاح القربى حسب القانون على أنّه «ملامسة جنسية مع قاصر أو قاصرة على يد أحد أفراد العائلة» (لوجسي، 1991).

ويقصد بهذا النوع من الإستغلال:

- كشف الأعضاء التناسلية.
- إزالة الملابس والثياب عن الطفل.
- ملامسة أو ملاطفة جسدية خاصة.
- التلصّص على طفل.
- تعريضه لصور فاضحة، أو أفلام.
- أعمال مشينة، غير أخلاقية كإجباره على التلفّظ بألفاظ فاضحة.
- إغتصاب. (مكلوبتس، لفشيتس، 1995)

كيفية الإنتهاك:

المعتدي حسب تعريف العلماء هو شخص يكبر الضحية بخمس سنوات على الأقل وله علاقة ثقة وقرب للضحيّة وقد دلّت الدراسات أنّ أكثر من 75% من المعتدين هم ممّن لهم علاقة قربى مثل أب، أخ، عم، خال، جد أو معروفين للضّحية.

ويتمّ الإعتداء عن طريق التودّد أو الترغيب، وهو استخدام الرشوة، والملاطفة، تقديم الهدايا... إلخ.

أو الترهيب أو التهديد: وهو التخويف من إفشاء السر أو الكشف عن الإعتداء، وذلك عن طريق الضّرب، التهديد بالتوقّف عن حب الطفل أو عدم أخذ الطفل إلى أماكن يحبّها، التخلّي عن الطفل بأنّه السبب لأنّه هو يريد ذلك.

هذا الإعتداء يتمّ بسرّية كاملة حيث يلجأ المعتدي بإقناع أو ترهيب الطفل بضرورة إخفاء الموضوع وعدم الكشف عنه.

ونادراً ما يستخدم المعتدي القوة مع الضحية خوفاً من ترك آثار على جسمها الأمر الذي يثير شكوكاً حول ذلك.

لماذا تستغلّ البراءة؟:

يتّفق الباحثون على عدم وجود سبب واحد يبرّر حدوث العنف نحو الطفل، وإنّما هي عدّة عوامل متشابكة تتفاعل في سياق إجتماعي وثقافي محدّد. ويمكن إجمال هذه الأسباب ضمن تصنفين للأستاذة لمسي ناصر:

قصور التعامل لدى الجهّات الأمنية مع مشكلات العنف / عدم وضوح بعضّ المفاهيم قانونياً «الإساءة الجنسية... وغيرها» / وسائل الإعلام التي تكرّس مظاهر العنف في البرامج التلفزيونية، والكومبيوتر، والألعاب الإلكترونية ممّا يؤدّي إلى انتشار حالات العنف في المجتمع عن طريق التقليد أو النمذجة، فالجرعات الإعلامية الزائدة من العنف تبطل الحساسية، تجاهه.

ب ـ عوامل الخطورة: وتتّضح في الآتي:

عوامل الخطورة المرتبطة بالمسيء: ويكون المسيء في الغالب قد أُسيء إليه جسدياً، عاطفياً، أو جنسياً، أو يكون قد عانى من الإهمال وهو طفل.

عوامل الخطورة المرتبطة بالمُساء إليه / إليها: بعض صفات الأطفال الجسدية والعاطفية قد تقلّل من حصانتهم للإساءة، اعتماداً على تفاعل هذه الصفات مع عوامل الخطورة لدى الوالدين (الإعاقة، المرض المزمن، الإنعزالي إلخ...).

عوامل الخطورة المرتبطة بالعائلة: بعض العائلات لها صفات محدّدة تزيد من احتمالية الإساءة فيها (النزاعات الزوجية، الضغوطات المالية والوظيفية، الإنعزال).

عوامل الخطورة المرتبطة بالمحيط: تنتشر الإساءة في بعض المجتمعات أكثر من غيرها، وما يعتبر في مجتمع ما إساءة ليس كذلك في مجتمع آخر. (مفهوم العقاب الجسدي، القيم).

ولا بد أن نذكّر أنّ وجود عوامل الخطورة المذكورة آنفاً لا يعني بالضرورة أن تؤدّي إلى العنف والإساءة، وذلك بسبب تعدّد العوامل وتفاعلها مع بعضها البعض.

الآثار الجسدية والسلوكية والنفسية لانتهاك جسد الطفل:

أورد هنا بعضاً ممّا استطعت تجميعه عبر مواقع الإنترنت من معلومات حول بعض المؤشّرات التي يمكن أن تلفت نظر الأسرة إلى وجود طفل يعاني من مشكلة أو أزمة أيّاً كان نوعها:

ـ أ ـ الدلائل الجسدية (تختلف حسب اختلاف الفئة العمرية).

صعوبة في المشي أو الجلوس. أمراض وأوجاع في الأعضاء التناسلية.

إفرازات أو نزيف أو تلوّثات متكرّرة في مجرى البول. أوجاع بالرأس أو الحوض.

ـ ب ـ الدلائل السلوكية:

الإنطواء والإنعزال. الإنشغال الدّائم بأحلام اليقظة وعدم النوم وكثرة الكوابيس والأحلام المزعجة. تدنّي المستوى الأكاديمي، وعدم المشاركة في النشاطات المدرسية والرياضيّة. التسرّب أو الهروب من المدرسة.

تورّط الطفل في مسالك انحرافية ضدّ أبناء صفّه. عدم الثقة بالنفس والآخرين والعدوانية. تشويه الأعضاء التناسلية وتعذيب النفس. الرّعب والقلق الدّائم.

وقد تقوم الفتاة في سن المراهقة بتصرّفات إغرائية، استفزازية للآخرين.

ـ ج ـ الدلائل النفسية:

تذكر د. نادية عوض أنّ هناك عوامل أخرى قد تؤثّر أثناء نمو الطفل، بحيث ينجذب الطفل شيئاً فشيئاً إلى الشّذوذ الجنسي ـ كما يقول العلماء ـ من ضمنها تعرّض الطفل لاعتداء جنسي،

ففي بحث للعالم الأمريكي «جريجوري ديكسون» عام 1996 ظهر أن 49% من الشّواذ جنسيّاً الذين تناولهم البحث قد حدث لهم نوع من الإعتداء الجنسي أثناء مرحلة الطفولة.

4 ـ الشباب اللبناني والجنس

لا يزال الحديث عن الجنس في مجتمعاتنا من الأمور المعيبة ممّا ينتج ثقافة جنسية خاطئة من شأنها أن تؤدّي إلى مشاكل صحيّة خطيرة.

وهو لا يزال من المحرّمات وتختلف درجة الكلام عنه وتأييده قبل الزواج بين الشباب؛ فالكلام عنه يعكس الصراع الداخلي ما بين التمسّك بالضوابط الشرقية ومحاولات مجاراة القيم الغربية وهذا ما يظهر من خلال إجاباتهم حول الموافقة على الإرتباط بفتاة لها تجارب جنسية، وحول تأييد العلاقة الجنسية قبل الزواج «أرفض الجنس قبل الزواج رفضاً قاطعاً بسبب اقتناعاتي الدينية المسيحية. لا يمنع ذلك أن أمرّ في تجارب ونزوات لكن أحاول قدر المستطاع أن أسيطر على ذاتي» (1) «لا أؤيّد العلاقة الجنسية قبل الزواج لأنّ المجتمع اللبناني ذكوري». (2) فهو (أي المجتمع) يحلّل «للشباب ممارسة الجنس فيما يحرّمها على الفتاة»(3). أمّا بالنسبة لموقفهم من الإرتباط بفتاة غير عذراء فالبعض يتصنّع الموافقة بينما في أعماقه يرفضها «ولو وافق الشاب على هذه العلاقات فهو يتظاهر بذلك، وعندما سيقدم على الإرتباط، سيفتّش عن عذراء إذ أنّ التقاليد ستتغلّب على تفكيره مهما تظاهر بالإقتناع» (4) والبعض الآخر لا مانع لديه من الزواج بفتاة لديها ارتباطات ولكنّه يشترط «أن تصارحني وتكون

صادقة معي في حياتنا المستقبلية» (5)، ولكن المشكلة هناهي «إنّ الجنس يبدو معيباً لممارسيه لذا يعانون شعور الذّنب أو الفتور، فلا يرونه مكمّلاً للعاطفة وجزءً لا يتجزّأ من الحياة المشتركة» (6) والمشكلة الثانية هي غياب حملات التوعية إن كان في المدارس أو في الجامعات أو حتى في التلفزة: «انفتاح فكري يشوبه حذر شرقي وضوابط مجتمعية»... (النهار ـ 21 تموز 2004 ـ تجارب شخصية: الشباب اللبناني والجنس).

حول المعلومات الصّحية الجنسية وكيفية الوقاية من الأعراض التي قد تنتج عن علاقات متسرّعة، فأكثريّة الشباب حصلوا على ثقافة جنسية من خلال أحاديث الأصدقاء والأفلام والكتب والسفر «اطّلعت على طرائق ممارسة الجنس في الأفلام التي كان يشتريها صديقي وكذلك من الأحاديث التي كانت تدور مع الأصدقاء الأكثر خبرة» (1)؛ «بالنسبة إلي اكثر معلوماتي كانت في السفر» (2) «أما حول معرفتي بالوقاية التي يجب اتباعها وبالأمراض التي تنتج عن إهمال سبل الوقاية فالكل اعتبر أنّ أهم طريقة هي الواقي الذكري، من خلال الإعلانات المتلفزة وعلى الطرق ومن خلال حملات التوعية في المجلات والجرائد والمحاضرات في المدارس والأندية» (3) «من طرق الوقاية التي أعرفها الواقي الذكري وأنواع الكريمات والحبوب» (4) أمّا بالنسبة لمعرفتهم بالأمراض التي تنتج عن علاقات متسرّعة فالكل أجمع على معرفته بنتائجها: الإيدز والإلتهابات وغيرها من الفيروسات؛ إنّ مواقع الإنترنت وما تعرضه من مشاهد ورسائل من شأنه أن يدفع الشباب لإقامة علاقات متهوّرة غير محمودة النتائج بالأخص أنّ هذه المواقع «تبرز صورة أو رسالة لنقلنا إلى مواقع جنسية ناهيك بالدردشات التي سمحت باللقاءات بين الشباب اللبناني والعربي وأدّت إلى علاقات جنسية وأزمات عاطفية» (5) بالإضافة إلى الإعلانات الإباحية التي تحوّلت إلى أداة لإشباع الرّغبات ووسيلة لتحقيق الرّبح والخبطة الإعلامية في غياب الرقابة الكاملة على مثل هكذا مواقع وإعلانات وصولاً إلى الفيديو كليبات وما تتضّمنه من رموز جنسية «توحي الجنس بالكلمات والمكان (الموضوع) والملابس وحركات المغني والمغنية» (6)؛ بالإضافة إلى الموضة الأنثوية التي تجعل الشاب يعاني من عقدة النقص أمامها «(فالبطن ظاهر يرافقه الوشم والحلقة في الصرّة، والخلخال في الرجل وعمليات التجميل، ... إلخ)

وهي عوامل إثارة للشاب تتسبّب بالمنافسة التي تترجم من خلال شريحات شعره وحليه وزينته وملابسه» (7) وبالتالي تنحرف العملية الجنسية عن معناها السامي وتصبح محاولة لإرضاء «أنا» الفتاة عبر لفتها للأنظار إليها، وإشباع هذه الحاجة لدى الشباب. (تجارب شخصية: النهار 21 تموز 2004).

إنّ طرح مثل هكذا موضوع في مجتمعنا مرفوض لأنه يعتبر من Tabou وأي انتهاك له سيلفظ بالفرد خارج الجماعة، ممّا يولد عند الشباب ثقافة جنسية خاطئة عن طريق الإنترنت والأصحاب وغيرها من الطرق غير الصحية، التي تنتج عنها ارتفاع معدّلات الإيدز بين الشباب؛ فالشباب بحاجة إلى نقاش وحوار هادئ مع الأهل حول هذا الموضوع وإعطاء الإستفسارات الصحيحة. كما هنالك حاجة إلى مراقبة الإعلام والإنترنت ومزيد من حملات التوعية في المدارس والجامعات.

تتفشّى في الآونة الأخيرة ظاهرة «التاتو» ووضع الحلق في أماكن حميمة لدى الجنسين. وتشهد هذه الظاهرة حالة رفض من المجتمع الذي يعتبرها بدعة أو «فتلة».

تأخذ هذه الظاهرة حيّزاً هامّاً من اهتمامات الشباب فتلبّي الحاجة إلى لفت الأنظار وإثارة الشريك.

تنتشر في لبنان منذ فترة ظاهرة الوشم ووضع الحلق في أماكن مختلفة من الجسم لدى الشباب، ويعود تاريخ التاتو والوشم إلى «العالم القديم والحضارات العريقة وليس ما يدل على زمان البدء به» ويعتقد البعض أنّ التاتو سيزيده جمالاً يجعله محط الأنظار؛ «ويعتبر صاحب الوشم أنّه يتحرّر من التقاليد ويخرج من دائرة الرّقابة؛ والإنسان الذي يترعرع ضمن عائلة ثرية جدّاً يعيش دون أي طموح مهني أو أكاديمي، وتقل لديه الهموم، فيحتار في أمره ويلجأ إلى ابتداع أشكال وأشياء جديدة، يرتبط الوشم بمجموعة من الأوهام والشائعات، حيث ترى بعض النساء أنّ في وضع الوشم إثارة للشريك ليلحظ التغيير (النهار 18 آب 2004).

5 ـ البغاء

يمكن القول إنّه عنف عالمي يبيع المرأة ويشتريها ويتطوّر في العبور عبر القارات، فهو يدرّ المال والأرباح مقابل أسر للمرأة أكبر... ولا تتمكّن من الحرب عليه إلا عبر تثقيف النساء وتمكينهنّ مهنياً..

أطلقت «الشبكة النسائية اللبنانية»، من ضمن حملتها لتعديل القوانين والمفاهيم الجائرة والتمييزية بحق المرأة، النقاش حول مسألة البغاء بمقاربة قانونية إجتماعية وثقافية، فأبدت طموحها إلى أن يصل يوم يمكن فيه التوصّل إلى إلغاء البغاء على غرار ما هو حاصل في السويد، التي تشدّد العقوبات على الرجل والمرأة في حال ممارساتهما البغاء لكنّها بنظرة واقعية اقترحت العمل على معالجة الأسباب التي تدفع إلى ممارسة البغاء، عبر مكافحة التميز والعنف ضدّ المرأة وتثقيفها وتمكينها مهنيّاً. والنقاش داخل الحركة النسائية اللبنانية يرافقه نقاش دائر حالياً في مؤسّسات دولية عن تحويل الدعارة. «مهنة» ووضع تشريعات لحماية هذه المهنة ممّا يكشف عمق المشكلة المتعلّقة بالبغاء. وتبقى القضيّة مفتوحة على التساؤل الأساسي: هل البغاء جزء لا يتجزّأ من حياة المجتمعات رغم الموقف السلبي منه؟ لماذا يخيّم الصمت عند الكلام على البغاء؟ ما دور الثقافة السائدة في عملية الصمت؟ كيف يجب التعاطي مع مشكلة البغاء؟ أسئلة كثيرة تتبادر إلى الذهن كلّها تتمحور حول فكرة واحدة: هل البغاء قدر المجتمعات؟

قصص الحاجة والظروف العائلية الصعبة التي تدفع الفتيات والنساء إلى اللجوء إلى البغاء كوسيلة لكسب المال. فتيات من لبنان ومن خارجه يحترفنّ المهنة في الخفاء تحت ستار أعمال أخرى...

تخبرنا دارين قصّتها (في النهار 22/ 8/ 2005 ـ تحقيق رلى مخايل): عمري الآن 23 سنة، عندما كنت في التاسعة عشرة، كنت لا أزال طالبة في السنة الأولى وكانت أولى خطواتي من المدرسة إلى الجامعة حيث الأفق أوسع للعلاقات. تغيّر الجو واتّسعت العلاقات. وأصبحت أختلط وألاحظ الفروق وطريقة المصروف والبذخ الذي يعيشه غيري. في البدء كنت أتقبّل هذه

الفروق، وكنت أعتقد أنّه عبر العمل سأتوصّل إلى تغيير نمط حياتي. ولكن مع الوقت تضاءل الأمل لدي. فكل ليلة سبت كانت محطة وغصة لي. أصحابي «يضهرون» ويسهرون وهم قادرون على اكتشاف أمور أخرى. وهي الغصّة نفسها التي كنت أشعر بها أثناء مراقبتهم في الجامعة «يصرفون من دون وعي».
إلى أن شاهدت مرة صديقة الطفولة التي تعيش في الحي نفسه تقود سيارة فخمة فاستغربت الأمر، وسألتها عن مصدر السيارة، وكنت الوحيدة التي طرحت عليها هذا السؤال. الجميع باركوا لها، من دون أن يسألوها عن المصدر. وهي التي كانت تثق بي، أخبرتني سرّها، لقد بدأت تتعامل مع امرأة تدبّر لها رجالاً كي تمارس الجنس معهم مقابل المال، مبرّرة الأمر تحت ستار عملها كخبيرة تجميل في أحد الفنادق المعروفة الذي غالباً ما يقيم فيه زبائنها. صدمت كثيراً لمعرفة أنّ رفيقة الطفولة انجرفت في السوء، فالأمر يتنافى مع المبادئ التي ربيت عليها ودفعتني إلى دخول الجامعة والتخطيط لمستقبل باهر. فقطعت علاقتي بها كليّاً. لكن درجة الإرباك كانت بلغت ذروتها عند حلول العيد في تلك السنة.
لم أشعر بطعم العيد بل بمرارة الفقر. لم أستطع شراء أي هدية وإن بسيطة. ولا فرح في داخلي بل مجرّد مرارة. شعرت بضرورة التحرّك ورفض الفقر الذي يشعرني بالدونيّة. لم يتبادر إلى ذهني إلا تلك الصديقة، فذهبت إليها باكية وأخبرتها عن مرارة حالتي. فاقترحت أن تعرّفني إلى تلك المرأة التي تعرّفها إلى الرجال فلم أتردّد كثيراً وقبلت. في بادئ الأمر، بدت لي المرأة لطيفة وراقية وأشعرتني بالحنان. قالت أنّها ستسهّل حياتي وتنشلني من الفقر إلى عالم البحبوحة. وأكملت: كلّما عرفت كيف تهتمّين بعملك، كلّما خطوت خطوة إلى الثّراء. ووعدتني أنّها ستدبّر لي زبوناً في أسرع ما يمكن. وكنت أنتظر لأنّني سئمت الفقر، رنّ الهاتف وأتى الفرج، وأرشدني صوت تلك السيدة إلى عنوان فندق واسم شخص وقالت: عرّفي عن نفسك أنّك من قبلي» وأعطتني نصائحها حول اللباس. وأنا في طريقي إلى الموعد كنت أرتعش وفكّرت مرّات كثيرة في العدول والعودة إلى المنزل. ولكن أمام باب الفندق اتّخذت خياري وقلت في نفسي: «أنا تعيسة فلما لا أكون تعيسة وأملك المال؟» دخلت الفندق ولا أزال أتذكّر أنّ أوّل مبلغ قبضته صرفته على شراء الثياب. ومنذ البداية تحوّلت تلك السيّدة اللطيفة امرأة قاسية تأخذ نسباً على الأرباح. حياتي اليوم أفضل ماديّاً

ولكنّني فقدت شيئاً من إنسانيّتي كأنّ الـ 19 عام من حياتي كانت مختلفة. أشعر بانقطاع عن الماضي. صرت جريئة أكثر ووقحة أكثر «ما حدا بياكللي حقي» أصبحت وحشاً يضاهي وحش الفقر. إذا تكلّم الناس عليّ فليس أمامي، لأنّ للمال هيبته «وبيسكّت أكبر تم».

وقصة دارين تتكرّر إنّما بظروف مختلفة. فمنتهى كان عمرها 16 عاماً عندما أدخلتها أمّها إلى معهد للرّقص الشرقي. لم تكن تحب هذا النوع من الرّقص إلا أنّ أمّها أصرّت عليها. بعدها تطوّر الأمر، إذ دبّرت لها أمّها، ذات الشخصية القوية، عملاً في الرقص في المطاعم. بعد فترة عرّفتها أمّها إلى رجل أعمال عربي ادّعت أنّه معجب برقصها وأحبّ أن يدعوها إلى العشاء. وقبل الذهاب إلى «العزيمة» أوصتها أمّها أن تكون لطيفة معه وأن تعطيه ما يريد. وافقت الفتاة على الموضوع، بعد العشاء بدأت تفهم الفتاة قصد أمّها، إذ اصطحبها الرّجل إلى شقّته وجعلها تفقد السيطرة على نفسها وأقامت معه علاقة. «كنت خائفة، أبكي من دون توقّف، فبقي معي واصطحبني إلى المنزل. أمّي بدت مسرورة وأخذت تخفّف عنّي. وفي اليوم التالي وصلني مبلغ من المال من الرجل الذي كنت معه، فشكرتني أمي. وسرعان ما اكتشفت أنّ هذا النمط من الحياة هو الذي تريده لي أمي. وهي كانت قد اختبرته سابقاً. تكرّرت الحادثة مرّات عدّة فصرت أتلقّى العروض وأمي تهتمّ بالموضوع. إلى أن وصلت إلى حدّ شعرت فيه إنّني ضقت ذرعاً بسيطرة أمي عليّ، ففكّرت في قلب الأدوار وخصوصاً أنّني صاحبة الدّخل المادي. وهكذا تحوّلت من فتاة خجولة إلى أخرى مسيطرة، وأفهمت الأمر إلى أمي، وقرّرت أن أتّخذ القرارت بنفسي. مع الوقت شعرت بانجذاب جنسي إلى النساء وليس إلى الرجال، فتعرّفت إلى صديقة أتيت بها إلى المنزل. عرفت أمي بالموضوع ولكنّها سكتت. وما زلت أعيش هذا النمط من الحياة حتى اليوم. لكن ما أعاني منه هو عدم ثبات دخلي فأحياناً يكون لدي الكثير من المال وفي أوقات أخرى «ما بيكون معي ولا فرنك، أنتظر رجلاً جديداً أو عرض رقص شرقي».

هكذا هي معادلة البغاء: امرأة ورجل يحكم علاقتهما مبدأ العرض والطلب واللذة مقابل المال. هنّ في حاجة إلى المال، وهم في حاجة إلى تلك

المرأة المجهولة لتطمئنهم إلى أمور كثيرة: إلى رجولتهم بعد أن تكون قد تقهقرت أمام روتين الحياة الزوجية، أو إلى رجولة «شرقية» لا تجد المتنفّس الكامل عن تخلّيها أمام المرأة، فلا تتفلّت إلا أمام رمز جنسي قادر على استثارتهم خارج البيت، فالزوجة هي «أم الأولاد» واختبار العلاقة الجنسية بكل أبعادها معها «عيب» وتقليل من احترامها». هنّ وسيلة لتجديد في الحياة، للمتعة وللتنويع، هنّ أيضاً ملجأ الرجال الوحيدين والغرباء. معهنّ يشعر الرجل بالحرية بأبعادها المختلفة: الحرية في إشباع الرغبات وتعزيز صورة «الرجل الشرقي» الذي يغزو المرأة بعيداً من التزام أي أمر».

فالعلاقة مع المومس عابرة، تبقى من دون ذكريات ومن دون وجوه، لأنّ الوجه لا يقابل الوجه الآخر. وكل المومسات يتشابهنّ عند الرجال لأنّهم لا يرون فيهنّ جانب المرأة الإنسان. فالعلاقة مع المومس لا تبادل إنسانياً فيها، لذا كثيراً ما تتمّ هذه العلاقات من دون تبادل القبلات، لأنّ القبلة هي علاقة «الوجه بالوجه» بكل ما تعنيه من بُعد إنساني. تقول إحدى المومسات: أنا لا اتذكّر أي وجه أثناء عملي، أشعر كانّني موظّفة أؤدّي عملي ثمّ أغتسل لأبدأ من جديد».

أمّا الرجال عموماً فهم بحاجة إلى هؤلاء النساء: إنّها مشكلة مجتمع بأسره يعاني التمييز والكبت الجنسيّين. فالمومس أيضاً هي وسيلة للإكتشاف الأول للرجولة في مجتمعات عدّة إذ وبطريقة طقوسية، عندما يكبر الولد يغمز الأقارب الأهل «كبر إبنكم وصار لازم يتدرّب وتدبّروا له وحدة». . . فهل يمكن أن نتخيّل أنّ هذا الأمر قد يحدث لفتيات عندما يكبرنّ ليكتشفنّ أنوثتهنّ؟ طبعاً إنّه ضرب من الجنون في مجتمعات لا تعير أهمّية لكيان المرأة وروحها فكيف عندما يتعلّق الأمر في ضرب من المحرّمات؟

عندما تسأل الرجال عن تجاربهم مع هؤلاء النسوة ورأيهم فيهنّ تتفاوت الإيجابات بين «حرام وأنا أحترمن لأنو طلعلن هذا الدور في الحياة»، «وهي التي تطمئنني إلى رجولتي وأنّني لا زلت إنساناً»، لولاهن كان في كارثة، لأنهنّ «تنفيسة» «لا بدّ منها»، «وأهم شيء أنّها تشعرني أنّني مهم، فهي لعبتها أن تشعر الرجل برجولته». وجودهنّ يعزّز فكرة أنّ هناك خللاً أحياناً في انتظام

العلاقات الشرعية لا يمكن إصلاحه، فهنّ حاجة، «وشر لا بد منه» إذا اعتبرنا أنّ المسألة أخلاقية. صحيح أنّه منذ تاريخ الإنسانية كان قدر المجتمعات البغاء، لكن هذا المفهوم تبدّل عبر العصور. (النهار 22/ 8/ 2005).

والبغاء، كنوع من العنف الجنسي، يربط سيرورة العنف الفردي بالكوني وأيضاً بالمجتمعي، فهو يرتبط بشكل مباشر بالمستويات الإقتصادية والسياسية والقيمية للمجتمعات. . . إذاً إنّ الموقف الأخلاقي هو نفسه من المومس إلا أنّ الظروف الإجتماعية التي ذكرناها سابقاً يمكن أن تؤثّر في كيفية النظر إليها كمشكلة إجتماعية متفاقمة أو تطمس معالمها. . . وما نستشعره حالياً أنّ المرأة المستضعفة إقتصادياً فإنّنا يمكن أن نستغلّها أن نشغّل جسدها في عالم الإستهلاك ونعبر فيها القارات. . . ويمكن القول أنّ التحوّل في واقع البغاء كان أسرع منه إلى الظهور إلى العلن والحديث عنه وكأنّه واقع أكثر ممّا يفهم عن الإغتصاب. . . لقد أصبح من لائحة الدخل القومي للدول النامية. . . حيث أنّ المرأة هي موضوع المتعة دائماً.

إلا أنّ الخروج الجزئي للعلن لم يغيّر وضعيّة المرأة فيها ولا كيفية التعاطي معها. . . ما زال الزحف نحو البغاء هو عدم أمان للمرأة وهو عنصر بديل للبطالة في عصر تنفلت منه الضّوابط المؤسّساتية. . . لصالح العنف وعدم تأهيل الفرد. . . أوليست جزء من قضايا الدفاع عن حقوق الإنسان؟

6 ـ جرائم الشرف

هو التناقض: تحريم. . . الشرف: هي تموت ويسامح الجاني لأنّه يدافع عن شرف العائلة!! ويمكن تبرير التصرّف حتى بمجرّد الشك أو بالإدّعاء والحكم على أي تصرّف بأنّه تصرّف لا أخلاقي والعقوبة في كل الأحوال تصل إلى الرجل أقل بكثير ممّا هي بحق المرأة بالحالة نفسها.

ويعاني المجتمع الأردني أكثر من غيره من تشدّد في العادات والتقاليد المحافظة.

ـ لكن وكما يقال بطريقة همجية ـ على الشرف وعلى حياة الفتاة المستقبلية؛ ونسرد ما ذكر أخيراً من على صفحات الجرائد حول وقوف الأب ضدّ مستقبل ابنته الجامعي ومنعه لها من السفر. . . (النهار 16 حزيران 2004).

هذا وقد أجرت الشرطة الأردنية سنة 2003 تحقيقاً مع شقيقين يشتبه في أنهما أقدما على قتل شقيقتهما المتزوّجة في جريمة شرف وهشما رأس أختهما بعقب بندقية في وضح النهار في أحد شوارع ضواحي عمان فيما وقف المارّة يشاهدون دون أن يتمكّنوا من القيام بشيء. وثبّتاها على الأرض وما برحا يقتلاها على رأسها حتى فارقت الحياة، بعد مزاعم أوردت علاقة غرامية خارج نطاق الزوجية «للحفاظ على شرف العائلة».

وقد صدر بيان في هذه السنة أنّه ارتفع عدد ضحايا جرائم الشرف إلى سبع نساء. . . وكلّما اخترقت المرأة مجالها المحدود كلّما أصبحت مهدّدة وعرضة للعنف. . . ولا يأخذ التحقيق مساره الجدّي، إلا أنّنا نلاحظ ملاحظتين اثنتين:

1) يتحوّل السجن إلى ملاذ ومكان آمن لحماية النساء من أهلهنّ.

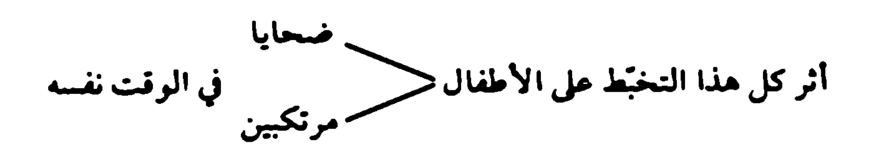
2) إجبار النساء المهدّدات للخضوع إلى فحص طبي مهين لإثبات عذريّتهنّ وبناء على طلب أسرهنّ للتأكّد من سلامة بكارتهنّ. . .

وفي باكستان ترتفع أيضاً جرائم الشرف (ويقال تبعاً للإحصاءات التي تصدر في يوم المرأة العالمي إلى 4101) نتيجة العادات القبلية والعصبية التي تتحكّم في حياة الفتاة والتي عليها ألا تقف ضدّها وإلا تعرّضت للقتل ممّا دفع الحكومة ـ متأخرة ـ إلى محاولة إصدار قانون للمنع من معاقبة الفتيات البريئات للحدّ من هذه الجرائم. . .

ـ الصمت: ردود فعل. . .

ما يصيب المرأة يصيب المجتمع. الصمت عوضاً عن الفضيحة، أذى نفسي يشلّ قدرتها على الدفاع عن نفسها ضدّ من يعتدي عليها.

إحباط ـ عنف عدائي نحو الداخل: تدمير الذات عوض تدمير الآخر ـ تعاطي الكحول ـ ميل للإنتحار.



إنّ أكثرية النساء المعنّفات لا يعلم بهنّ أحد، فهنّ لا يتكلّمن عمّا يتعرّضن له خوفاً من التهديد من قبل أزواجهنّ... هنّ لا يمزّقن الستار...

لذلك فإنّ الهدف هو التعبير وكيفية الوصول إلى إخراج المعنّف عن صمته. إن نقاش التعنيف فيه الكثير من انتقاص الذات والدونية والفشل، لذا فإنّ عدم التعبير (برأي أصحابه / صاحباته) هو نوع من حفظ ما تبقى من ماء وجه / هو الكرامة التي بقيت أو تمّ استبقاؤها... الحديث هو مهم لأنّه إفراغ المكبوت، لكنّه إفراغ غير محمود العواقب دائماً لأنّه يعرّينا أمام الآخر... لكنّه في الوقت نفسه صورة الذات، صورتنا عن ذاتنا / هويتنا وبالتالي تصوّرنا لواقعنا ولموقعنا داخل الأسرة وهو ليس بالضّرورة إيجابي إلا بالحدود التي رسمها الشريك أو التي يرسمها لنا المجتمع...

إنّها قطيعة إدراكية، تشكّلية للذات ما بين الخاص ـ الأنا ـ والأنا العام... وهو أمر أقل تواجداً في جيل الشباب الحالي والنساء اللواتي يجمعن بين عدة مستويات إجتماعية ينتمين إليها... وكلما كان الإنتماء الطبقي أكثر تديّناً كلما زاد التناقض ما بين الإفصاح والصمت... نصمت فنختنق، نفصح فنخاف... وكلّه لا يخفي نتائجه البيولوجية...

ويقرّ العلامة السيد «محمد حسين فضل الله» في الكثير من أقواله بالعنف الموجّه ضدّ المرأة، وهو عنف خاص يربطه بوضوح بالعنف العام خاصة السياسي منه. إذ يؤكّد على أنّ التخلّف قد فرض نفسه علينا ولا تجد فيه المرأة أن تحمي نفسها من عنف الرجل تبعاً لأنّه ينظر إلى المرأة بدونيّتها، لذلك فإنّ هذه المسألة تتّصل برأيه: بمبدأ الإنسانية والتساوي بين الناس وعدم إلحاق الأذى الجسدي وغيره بالآخر.

وبمسألة العدالة وعدم الظلم والتعدّي والتسلّط (تسليط إنسان على آخر) وطرح مثال حرية المرأة في الإنتخاب أي في الرأي السياسي الحر وإلا يطلّقها (النهار 12 آذار 2003).

7 ـ أحداث ومواقف عنفية تكرّرت من على صفحات الجرائد

ـ في أواخر عام 2004 قتل مصري (بائع خضار 35 عاماً) في صعيد مصر زوجته خنقاً (58 عاماً) بسبب رفضها لطلبه ارتداء قميص نوم أحمر اللون وإصرارها على الإحتفاظ بآخر أسود وذلك مساء السبت.

ـ أوقفت محكمة إسبانية في شهر كانون الأول 2004 إمام مسجد كان ينصح الرجال بكيفية ضرب زوجاتهم واشترطت عليه أن يتلقى دورة تدريبية بشأن مضمون الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والدستور الإسباني لإعادة تسهيل دمجه إجتماعياً. ومن نصائحه كيفية ضرب الزوجات بدون ترك آثار مثل ضربهنّ على الأيدي والأقدام. وفي كتاب له قال إنّ الضرب لا يجب أن يكون مبرحاً لأنّ الهدف هو إحداث معاناة نفسية وليس الإهانة.

ـ يعتبر نهار 25 كانون الثاني من كل عام يوماً عالمياً للقضاء على التمييز ضدّ النساء بهدف تعزيز الوعي الإجتماعي إزاء هذه الظاهرة.

ـ ظاهرة حاضرة ـ غائبة وهي ظاهرة خطف الأطفال خاصة في الأحياء الشعبية، ففي حي «بعل الدقور» في باب التبانة بطرابلس شهد عملية خطف لطفل لم تعرف بعد الجهة الخاطفة مقابل استقصاءات قضائية بطيئة ممّا حدا بالأهل الشكوى من أعماقهم: «لو كان إبناً لوزير أو لنائب أو حتى لمواطن من الطبقة المخملية أو الميسورة في البلد، لقامت الدنيا ولم تقعد... حتى العثور عليه وإنزال أشد العقوبات بحق الخاطفين. وفي حي السلم ـ وهو حي شعبي أيضاً معرّض كغيره من الأحياء الشعبية لمثل هذه الجرائم ـ خُطف طفل لفترة ثم أعيد لأهله دون التعرّف إلى هوية أو غاية الخاطف إلا أنّها من الأكيد تدخل في إطار «مافيا» تجارة الأطفال لأسباب متنوعة منها الحاجة إلى أعضائهم وهي تجارة نشطت خلال الحرب الأهلية وعادت إلى الأضواء في السنوات الأخيرة... وهي من المشاكل التي تعبر من العام إلى الخاص.

ـ ظاهرة عمالة الأطفال والتي تحقّر الذات ـ النفس وتؤثّر على العلاقة

مع الأسرة وتحديداً مع الأب، وهي تنتشر في ظل الأزمة الإقتصادية الراهنة التي تعصف بلبنان التي تؤكّد التقارير على أنّ ثلث سكان لبنان تقريباً هم تحت عتبة الفقر..». ودفعت ببعض الأهالي إلى رمي فلذات أكبادهم في ساحات العمل دون اعتبار لطفولتهم البريئة ولأعمارهم الفتية وأجسادهم الطرية في أعمال لا ضمان فيها لحقوقهم (كالحق بالتعلّم مثلاً)... أمّا ربّ العمل فإنّه بالطبع يدفع أقل للأطفال وهم أقل شكوى أيضاً. وترتفع هذه النسبة في وقت يحظّر فيه العمل على من هم دون ال16 عاماً... ومن يعمل في هذه النسبة يبدأ بعمر الست سنوات:

* عمال ميكانيك 48,9 %
* مزارعون وصيّادون 52,7 %
* عمّال للمبيعات 22,7 %

(النهار 11 حزيران 2004)

- في نيسان 2003 أدين زوج مذيعة سعودية بعد أن ضربها وتسبّب بكسور في وجهها ممّا أثار موجة سخط في السعودية وحاول خنقها إلا أنّها نجت بصعوبة ووافقت على نشر صورها أثناء إصابتها بالكسور في حملة لنشر الوعي حول مشكلة واسعة الإنتشار في المملكة.

- ما حدث في اليابان حدث أو يمكن حدوثه في لبنان، إلاّ أنّ تحليل نتائجه يمكن أن تختلف في تفسيرها مدارس علم النفس:

فنتيجة مشاهد العنف التي تعرضها التلفزيونات، أقدمت فتاة يابانية على قصّ عنق وذراع رفيقتها بآلة حادّة مستوحية هذه الطريقة من مسلسل بوليسي كانت قد شاهدته على التلفزيون، إضافة إلى سبب آخر أثار غضبها وهو رسالة تلقّتها من رفيقتها عبر الإنترنت. وبسبب ارتفاع نسبة الجرائم لدى القاصرين لجأ المسؤولون اليابانيون إلى عدة إجراءات من شأنها الحد من هذه الظاهرة، ولجأوا إلى خفض سن المسؤولية الإجرامية من 16 إلى 14 عاماً؛ ومع محاولة وزارة التربية اليابانية مراقبة الإنترنت المستخدم من قبل 26% من الأطفال الذين يلجأون إلى استخدام لغة عنفية عبره. (السفير 5 حزيران 2004).

هذا ونذكر أنّ التربية اليابانية مبنية على قيم مستمدّة من قدسية نظمهم كنظام العائلة المالكة الذي لا يمسّ ولم يطوّر مع الزمن وهي مبنية على عقلية ذكورية سائدة... فزوجة ولي العهد تعاني انهياراً عصبياً زاده عدم القدرة على استقبال أصدقائها بينما يحق لأصدقاء الأمير زيارته، وهي آتية من بيئة عادية أكثر انفتاحاً... والمرأة تستبعد أيضاً في رياضة السومو (حيث المصارع هو نصف إله) وهي رياضة ذكورية لا يحق للمرأة دخولها.

ـ ما بين جريمة حناويه (الجنوب) والأشرفية والبوار وذوق مصبح وما فيه من تصفية حسابات... ماذا يحدث في لبنان في الفترة الأخيرة رغم كل ما يشاع عن وضع اليد على الأمن في لبنان؟ وكلّها لا يمكن السكوت عنها، إلا أنّ ما حدث مع إبنة العشرون عاماً (س.و.ن.) التي وُجِدَتْ في بشامون مقتولة من قبل (م.أ.) الناطور وهو من جنسية سورية وله من العمر 16 عاماً وحاول إغتصابها، إلا إنّها قاومته فما كان منه إلا أن ضربها على رأسها وصدرها واغتصبها بعد أن فقدت الحياة ولمرّات عديدة قبل أن يمحي آثار جريمته ويلقي الجثة في مرآب البناية... (2005).

ـ قصص مخيفة حول إجبار الأطفال على العمالة: كطفل عمره 12 عاماً أقدم والده على صلبه على قسطل الصوبيا حتى شوى لحم ظهره لأنّه رفض التسوّل، والأطفال في الرابعة من العمر أوقفتهم البلدية عن التسوّل فما كان من الوالدين إلا أن عادا وأخذوهما إلى الشارع لإعادة التسوّل، حصل ذلك في العام 2004.

أمّا الإعتداءات الجنسية على الأطفال فهي جرائم يومية فاضحة مغلّفة بالصمت... تحرّش/ تعدّ جنسي في إطار جدار صمت مطبق... من أصل 177 حالة اعتداء في منطقة صغيرة تم التبليغ عن 11 حالة لا غير...
(النهار 21 كانون الثاني 2004)

ـ يمثّل سفّاح القربى النسبة الأعلى بين حالات الإغتصاب التي عرفها التجمّع الديموقراطي في لبنان (البلد 5 كانون الثاني 2005)، وعبّرت أم فتاة مغتصبة: ليت إبنتي كانت مطلّقة على أن تكون قد فقدت عذريّتها.

الفصل الرابع

العنف: ما بين السياسة والدين

1 ـ العنف السياسي

2 ـ الشباب والحرب...

3 ـ تصنيفات في المسلم والإسلام

4 ـ السلوك السياسي

5 ـ العنف في التفسير الديني

6 ـ نظرة على القانون

1 ـ العنف السياسي

يطرح Rodrigo de Zayas في كتاباته عن العنف (Le croquant n° 40, 2003) إشكالية الحرب والعنف، فهكذا وعبر التاريخ كان كل من يمسك السلطة بإمكانه أن يتعدّى ويتجاوز القانون. وعرض لقوة الولايات المتّحدة الأميريكية بعد 11 أيلول 2001، التي تبنّت لنفسها قانوناً يجيز لها تحديد الحقوق الأساسية للعراق ولأفغانستان خوفاً من هجمات إرهابية أخرى وجابهت الحرب بحرب أخرى وهذا ما يؤدّي إلى مجابهة تضارب الحضارات حيث أنّ كل حضارة لها قيمتها السياسية والأخلاقية التي تخصّها.

ويتجاوز حب السلطة كل حاجز مذهبي أو عقائدي. ومبدأ الحرب والسلطة مقابل مبدأ الحرية للتعويض عما فقدناه. من هنا فإنّ التفسير السيكولوجي للعنف السياسي (أو الذي يتحوّل جزء لا يتجزّأ) مدخل مهم لفهم ظاهرة الحرب والسلام والسلطة التي توازيها. ولفهم ما يدور يجب فهم وضعية الرجل نحو أبناء جنسه وطبيعته ووضعيته الإنسانية. أفلا يعني أنّنا نقترب من المواقف الغرائزية؟؟ هذه المواقف التي يفترض فينا أن نضبط النفس لتحاشي الجريمة والعنف. وبهذا المعنى أيضاً يرتبط العنف بالمعنى القانوني.

في العنف السياسي يسيطر الأقوى على القدرات الأساسية للقوّتين الإقتصادية والعسكرية معتدياً على القانون وعلى البنية ومانحاً لنفسه حق الوصاية والإدارة. . . ولا خروج من هذه الواقعة بدون إيجاد فلسفة هادفة ترفع حقوق الإنسان واحترامه واحترام الإختلاف بين إنسان وآخر.

وحتى في ظل عملية اقتراعية «ديمقراطية» فإنّ الأقوى هو الذي يطلب من الأضعف أن ينتخب دون معرفة بالضرورة من ننتخب. . . إنّه قرار لرجال العائلة ولا يد للنساء فيه إلا الإلتزام باللائحة العائلية.

وكما في آلية العنف عامة التي تنتج «Habitus» تمنع وتحدّ من التطوّر؛ فإننا في العنف السياسي وتبعاً لآلية التقسيم الجنسي - الثقافي يستذكر D. Harison المؤسسة العسكرية والمبادرات التي تسارع إليها نساء العسكر فتصبح وجهة نظرها خاضعة أيضاً للمؤسسة نفسها التي ينتمي إليها زوجها. «فالزوج - العسكري هو فخور بنفسه مع ما اكتسبه من عادات جديدة وانتماءات جديدة تخط نمط الحياة التي يعيشونها والتي يدمجون فيها ما بين العمل والمسكن خاصة عندما يسكنون في المساكن الخاصة بهم (مساكن الضباط). وطالما إنّ المؤسسة العسكرية هي مؤسسة عنصرية تقوم على احتضان النظام الأبوي «واسعاً» وتستبعد الوجود النسوي في ثنائية الرجل والمرأة والفوارق بينهما.

تلحق المرأة إذاً بالوحدة التي يتبع إليها زوجها فتكون الحصيلة الإجتماعية المرآة العاكسة لبنية الزوج ولانتمائه في صفوف المؤسسة ووظيفتها في الربط والضبط وكل عنف يلاقيه من زوجها تفسّره في إطار «الهوس النظامي» الذي تسهر عليه وتبثّه بامتياز هذه المؤسسة والتي تعتبر أنّ حفظ ماء وجه أفرادها يكمن في «ضبط الزوجة». . . إلا أنّ هذا لا يعني أن كافة هؤلاء النساء هنّ ضحايا العنف لكن جهود الجيش (أو العائلة العسكرية) تنصبّ في إدخال النساء في نسق أمني واهم تبعاً / أي Harison (Criminologie Vol xxx nº 2-PUM) ففي اعتقادهنّ أنّ الجيش الذي ينتمون إليه سيحيطهنّ بالرعاية مقابل أنهنّ ممنوعات من كسب عيشهنّ تبعاً لما يتناسب مع إمكانياتهنّ.

وماذا عن «خدمة العلم»، لقد أصبح هذا الموضوع في لبنان موضوع صعب وشائك للبعض وبسيط وهادف بالنسبة للبعض الآخر، إنّها تفتح آفاق الشباب - من حيث المبدأ - بعضهم على البعض الآخر - وتزرع فيهم حب التعاون ومبدأ الخدمة الإجتماعية وتنمية شعورهم بالإنضباط وبالنظام وبالتزام القوانين وربما لنقل الدمج الإجتماعي، لكنه هل هو حاصل بحق؟ أثبتت

الدراسات في علم النفس الجماعي والبيئي أن الجماعات من أصحاب الفئة الواحدة والإنتماء الواحد ينغلقون على ذاتهم ولا يتفاعلون بالضرورة مع الغير (الفئات المهاجرة على سبيل المثال) وهذا ما يجسّده الواقع فيكتسبون الروح الطائفية أكثر من ذي قبل؟؟؟ وأحياناً يلجأون لتصرّفات يعاقبون عليها لتفضيلهم النوم في السرية بدل التواجد مع هذه الجماعات العديدة الحجم. اما من حيث التأثير على نفسية هؤلاء الشبيبة فإنّ أغلب اللقاءات معهم نمّت عن إحباط كبير (استطلاع أوّلي ـ مذكّرة بحث لنيل شهادة الجدارة ـ ميرنا الضاروب ـ 1996) وتعب نفسي وقمع على يد القيّمين ـ تبعاً لما جاء على لسان أحد النواب ـ وتعب جسدي عبّروا عنه بنقمة ورفض للسنة التي تضيع من عمرهم وتحرمهم من فرص عمل والتي كان يمكن أن تتحوّل نحو خدمة إدارية أو أكادمية أو ثقافية في إطار مدني تراعي ظروف التخصّص والتوجّه الجامعي بدل الهرب منها والإضطرار إلى السفر وخلق الأعذار (النهار 4 آب 2004)...

إلا أنّهم لا يعتبرون أنّ لبنان قادم على حرب أخرى لضرورة تدريبهم أو لتدريبهم على حمل السلاح واستعماله، فهل بهذه الطريقة ينتقل العنف من الحرب إلى خدمة العلم؟؟ في كل الأحوال هو المرور من العام للخاص. وفي كل حال فإنّ طرح التعديل جارٍ حالياً.

وعن العنف السياسي في لبنان (وهو عنف عام ـ أنظر الإشكالية) والذي عانى من حالة تصاعد خلال حرب 1975 ـ 1990 لم تمنع الرؤية المتناقضة له من قبل الشباب ما بين الحلم وعدم قابلتيه للعيش! كتب سمير خلف (لبنان في مدار العنف ـ دار النهار ـ بيروت 2003) يستكشف الطابع المتغيّر لجدلية العوامل الداخلية والخارجية للنزاع اللبناني التي أدّت إلى العنف وذلك يتمثّل عبر:

1. التضامن الفئوي حتى درجة التطرّف لكل نسيج إجتماعي.

2. الفوارق الإقتصادية ـ الإجتماعية بنوعيها العمودي والأفقي في لبنان وارتباطها بالإنماء والتطور غير المتوازين واللذين نتجا من العلاقات بالغرب.

3. كل التسويات الخارجية انتهت إلى تكريس وترسيخ الأسس الطائفية التي يقوم عليها النظام السياسي، ولقد أقرّ بعضها (كميثاق العام 1943) بالحقائق الطائفية القائمة مع سعي إلى علمنة المنحى الطائفي بطريقة تشجّع الإنسجام والعيش المشترك.

4. إنّه مع تمادي النزاع في الزمن وتطوّره باستقطاب تدخّلات خارجية، تغيب المسائل التي كانت في أساسه أصلاً غياباً شبه تام. هكذا وفي كثير من الأحيان يتلاشى السبب الأصلي للنزاع ليحل محلّه تخاصم الطوائف على أساس الإنتماء العمودي «فيتحوّل النزاع من صراع «على مغانم قابلة للإقتسام» (وهي مادية) إلى صراع على «مبادئ لا تنقسم» (كمسائل الهوية والتراث والوطن)، ويحصل هذا التحوّل إذا ما تمادت الفوارق الإجتماعية الإقتصادية ولم تعالج الأعمال العدائية الناتجة عنها خصوصاً إذا ما رافقها الولاء الطائفي (عندها يحدث الإنزلاق إلى الحرب الأهلية ـ وتبدأ دورة العنف ـ التمادي ـ القبلي الطائفي).

5. تطوير كل فئة لإستراتيجيات تكيف مضافة إلى ظواهر التعبئة الأيديولوجية التي رسّخت في الأذهان فكرة الآخر بمثابة «شيطان».

هذا التكيّف مع ظروف الحرب أدّت إلى شرعنه الأعمال الوحشية وتبريرها للتواجد، والإنتهاء إلى شعار «لا غالب ولا مغلوب»...

6. في العنف ـ والتحليل دائماً لسمير خلف ـ ساحة لعب، ملعب، فسحة مفتوحة متّسعة لمن يشاء الدخول والمرحّبة بمن يدخل فتصبح «بيئة صالحة للخلق والإبتكار والإختبار ولكنّها الآن عيّنة معرّضة لكل التقلّبات العاطفية المتطرّفة والنرجسية والانانية والإكتفاء الذاتي لا يعبأ بالآخرين ولا يأخذهم بالإعتبار... ونحن اليوم نرى الجامعات ومؤسّسات الأبحاث والجمعيات والمحطّات الإذاعية التلفزيونية تنشأ تحت راية طائفية معلنة وواضحة في العنف السياسي، إذاً يتّقد الفكر الفئوي وتتلاشى الذاكرة الجماعية المشتركة...

وهو في تحليلنا له يعتمد نفس آلية الفردي أو لنقل العكس، وإذا ما كان العنف الزوجي على سبيل المثال بحاجة إلى تدخّل إجتماعي في إطار الخدمة

الإجتماعية، فيبدو لنا العنف السياسي هو بحاجة إلى تكنولوجيا تهدئة إجتماعية استناداً إلى تعابير سمير خلف والإثنان بحاجة لمفهوم التدخل الذي لا يخلو من آلية الإستحضار (إدوارد سعيد). . .

والعنف السياسي في لبنان غير مفصول عن الشعور الراسخ في النفس العربية المعاصرة عامة «بأن إيقاع الظلم على العرب يجعل الحق هوية لنا بصرف النظر عن أفعالنا وردود أفعالنا. هذا الشعور تصعيد لعجزنا المتكرّر عن التحرر من الضعف، يلي حاجتنا إلى احترام الذات رغم الضعف، لكنه يشكو من خللين في المنطق. الأول: إنّه يضع استحقاقنا للحق بيد من يفترض أنّه المعتدي. . . دون أن نحتاج نحن إلى فعل شيء، أو حتى لوفعلنا أي شيء، فنحن على حق لمجرّد أنّه معتد علينا أو ظالم لنا. وهذا تنصّل من المسؤولية السياسية والأخلاقية وقبول ضمني بالقصور. ويتمثّل الخلل الثاني في الإنتقال غير المشروع من إدانة الطرف الذي تصدر عنه هذه الأفعال، ثم إسناد الإدانة إلى ثقافة الطرف أو بلده. . . هي علاقة تناف وإقصاء. . . وقد تضيف خللاً ثالثاً يتمثّل في تشوّه النظرة إلى العالم بحيث نرى في كل ما لا يلائمنا فعل اعتداء يصدر عن عدوّ متربّص، أو فعل تآمر يقوم به فاعل واع مريد مغرض. . .». (ياسين الحاج صالح ـ نقد ثقافة الضحية ـ السفير ـ 16 كانون الأول 2004).

إن العنف السياسي هو الذي يؤمّن دائماً العبور إلى الخاص، ونحن في هذا الفصل ولجنا مباشرة إلى الخاص لكن المجتمعي هو جزء من العالمي. . . فمفهوم العروبة لا يندرج فقط في إطار إقليمي بل هو صلة الوصل حالياً ما بين الخاص والعام، ما بين المجتمعي ـ الخاص والمجتمعي العالمي. . . وهو مفهوم يطول شرحه والحديث عنه، إلا أنّه يظهر الكثير من المعاناة الداخلية غير المنفصلة عن المعاناة العامة التي تعيشها العروبة، وعاشتها منذ زمن بائد. وهي تعيش حالياً أحرج الأوقات وأصعبها نتيجة تفكّك عواملها الداخلية أولاً ونتيجة هجمات السياسات الإستعمارية التي تمارس عليها بحجة القضاء على الإرهاب المتمثّل بالتيار الأصولي الموجود في المنطقة. نحن وفي الوقت نفسه نتغنّى بالعروبة، عروبة عبد الناصر و. . . . . و. . . . . ونتنظر الوعد «بديموقراطية وهمية تستمد قوّتها من مناخ الإستبداد السائد في معظم بقاع

الأرض... وتظهر جماعات أثنية مندمجة منذ قرون في العالم العربي مطالبة بالإنفصال عنه ومدّعية لنفسها بعض ثرواته ومواقعه الإستراتيجية وأراضيه ورموزه، إلى تسرّب القسمة إلى الجماعة العربية نفسها... فهنا تشجيع لفرق مذهبية وهناك تدبير لقسمة بين القحطانية والعدنانية، وهنالك حض على تشطير المذاهب الأربعة..». نسبة لما كتبه فيصل جلول» في مقالته «معنى أن تكون عربياً اليوم: سعر العروبة هابط... لا تبع أسهمك الآن». (النهار 28 تموز 2004).

مشاكل لا بد من تتأطّر على صعيد الأمن النفسي بمسألة الهوية والإنتماء والتي يمكن أن يبرّرها بشكل أو بآخر التهافت للحصول على جنسيات أخرى تؤمّن على الأقل وقفة ضدّ «غدر الزمان» لكنّها لا يمكن أن تكون بأي شكل «غذاء للذاكرة» التي إذا تمّ القضاء عليها عبر محاولات سياسية حثيثة إلا أنّه لم يتمّ الوصول بعد إلى القضاء على رموزها... يعني استمراريتها على الصعيد النفسي - إجتماعي...

إنّه القهر والظلم والإستبداد الذي لا ينفّس عن نفسه إلا عبر أفعال عنفية متنوّعة تتوجّه من الذات إلى الذات أو من الذات إلى الآخر... وطالما أنّ التقنيّات الفتاكة لقهر الشعوب هي الأكثر انتشاراً فهي تفتّك أول ما تفتك بالإنسانية... فأين نحن من ثقافة سلام موعودة ونحن نعيش في خضمّ مختبر بشري غني بالصراعات الثنائية (الخير والشر / التشاؤم والتفاؤل... إلخ) أو ليست هي مبنية على ثنائية الحياة والموت، الرغبة والكبت؟؟

2 ـ الشباب وذكرى الحرب، 13 نيسان 1975

(من جريدة النهار، الأربعاء 14 نيسان 2004)

2 ـ 1. الشباب اللبناني:

14 عاماً مضت على إنهاء الحرب الأهلية اللبنانية التي خلفت وراءها ذكريات من الصعب أن تمحى من عقول الذين عايشوها واشتركوا فيها.

عانى اللبنانيون كافة من الحرب ومن بينهم متطوّعين في الصليب الأحمر اللبناني الذين تعرّضوا لمغامرات ومجازفات بحياتهم لا تحصى من أجل إنقاذ حياة الآخرين. حيث سقط منهم 18 شهيداً و180 جريحاً «مرة أطلقوا النار على سيارة الصليب الأحمر وأصبت في رأسي وأصيب ثلاثة مسعفين معي»[1] وحادثة أخرى حصلت عند محاولة «إيصال مسعف زميل إلى منزله في المنطقة الأخرى وفي أثناء العودة تمّ إيقافنا على أحد المعابر واستجوبونا ووضع أحدهم سلاحه على خدي، ولم يكن في مقدوري فعل شيء وخلت أنّي سأموت»؛ «على الرغم من كل هذا كانوا على اتصال دائم مع كافة الأطراف بحيث يمنع عليهم رفض تقديم مساعدة لأحد الأحزاب وإلا تعرضوا للقتل من قبلهم، وقد قدّم المتطوّعون مساعدات لجميع اللبنانيين على اختلاف طوائفهم ومناطقهم وانتشلوا العديد من الجثث، وأنقذوا الكثير من الجرحى، فالإنسان في تلك الفترة الدامية كان بالنسبة للأطراف المتصارعة «رخيصاً» والذي يشعر بهذا الشيء هو عنصر الصليب الأحمر الذي غالباً ما يحتجز في منطقة وسطى بين المتصارعين وبين الجثث التي لا قيمة لها وسط الركام، وتصبح المفاوضة على فتح طريق لإنقاذ حياة إنسان أو الحكم عليه بالموت بسبب إجراء مسؤول ميليشيوي على عدم إزاحة حاجز»، صور مأساوية رسخت في أذهانهم وفي أذهان المقاتلين المشاركين في الحرب التي سرقت طفولتهم «عندما بدأت الحرب كان عمري 13 سنة ولم أكن أعرف الأحزاب لكني اضطررت لأن أحمل السلاح لأدافع عن منطقتي»... ومن ثم بدأت الحرب تتّسع دائرتها وخطورتها وازداد انتماء الشباب للأحزاب ليدافع كل منهم عن قضيّته وعن وجوده:... «في البداية قاتلت ضدّ الفلسطينيين وضد بعض الجماعات الإسلامية التي وقفت مع الفلسطينيين، وقد حاربنا للمحافظة على وجودنا» إلا أنّه في تلك الفترة لم يكن يفكّر لا في مستقبله ولا في حياته بل كل ما كان يفكّر به «كيفية اقتحام منطقة أخرى لتأمين مساحة أوسع لتحقيق الأهداف والمشاريع التي نعمل لأجلها» وهذه حالة عانى منها أكثرية الشباب المنتمين

(1، 2، 3) متطوّعون في الصليب الأحمر اللبناني زمن الحرب: «استشهد بعضنا وحملنا الجثث المقطّعة والصور المأساوية حافز للشباب لعدم تكرار التجربة».

لمختلف الأحزاب والحركات فلم «تكن تراودهم أحلام كبيرة بتأسيس أسرة وقد بثّت فيهم العناوين والشعارات السياسية ومناخ المنطقة وظروف المرحلة نوعاً من الحماسة والإندفاع اللذان يجعلان الإنسان يتجاوز الإهتمامات المباشرة» وكان ينظر للآخر على أنّه عدوّ، أمّا حالياً فالنظرة اختلفت جزئياً، ولكن كل طرف لا يزال يرمي بأوزار الحرب على الآخر «نناقش الموضوع لكن من الصعب إقناع أي شخص بطريقة تفكيرنا والعكس صحيح» وهناك من يدعو الشبيبة إلى عدم الإنخراط في الأحزاب لأنّها لم تعد كما كانت من قبل. . . وألا ينساقوا إلى دعوات التحريض وأن يجروا قراءة هادئة وبأعصاب باردة للمعطيات السياسية وللمرحلة التي يمر بها البلد وللظروف الإقليمية». . .
أما حول مشاركة الحركة في الحرب الأهلية فالدافع الأساسي لمثل هكذا مشاركة هو التصدّي «حكماً لمن حاول أن يربط لبنان بعجلة السياسة الأميركية والإسرائيلية».

ويفسّر ملحم شاوول عبر قراءة مختلفة لثقافة العنف «فتركيبة المجتمع اللبناني تجعله مجتمعاً متنافساً وشديد النزاعات بسبب كثرة العائلات والطوائف. . . وقد ظهرت تدريجيّاً ثقافة العنف، التي لا ترى حلاً للنزاعات بطريقة سلمية» فهي قائمة على إلغاء الآخر، فشباب اليوم تربوا على القيم الطائفية في ظل «أبطال قياديين»، وحالياً «بسبب غياب مشروع الدولة» يعيش الشباب اضطراباً في القيم السياسية والإجتماعية «بدءاً من العائلة التي أصبحت منكمشة على نفسها وربما متضامنة للمحافظة على أعضائها»، إنّ انتهاء الحرب بشكل عسكري قد انتهى ولكن هناك حرب أخرى بالنسبة للباحثين بطرق مختلفة «على الملاعب الرياضية وفي التسابق على المناصب في الدولة وفي تقاسم أحوال المهجرين. . . أي هناك استمرار الصراع بأشكال غير عسكرية» نتيجة الإدارة السيئة لدولة فهي «تبين لأحد الأطراف أنّ الدولة تعامله كمهزوم وتشعر الآخر بأنّه منتصر. وتمّت إعادة ترتيب الدولة لمصلحة فئة دون أخرى مما زاد التوتّر الطائفي». . . وزاد من حدة التعصب المناطقي والمذهبي والطائفي الناتج «عن الإيمان بالعنف عند فئات معيّنة تخاف على نفسها وتعتبر أنّها مهدّدة بالزوال، وأنّ العنف وسيلة لاستمرارها» وبالتالي أثّرت على العلاقة مع الآخر المعتنق ديانة مختلفة وجعلتها علاقة صعبة ومعقّدة «لأنّ البنى الذهنية

عند اللبنانيين ما زالت تحوي حالة صدّام ونزاع ومواجهة بين المسلمين والمسيحيين، بما يعني وجود إشكالية دائمة في العلاقة مع الآخر».

ولتجنّب الشباب العودة للحرب عبر زجّهم في مشروع قد يكونوا وقوداً له؛ على الدولة أن تلجأ إلى «تأمين حرية التعبير والحرية السياسية والإقتصادية. فالسياسة الذكية هي التي توفّر متنفّساً ضرورياً لكي يمحو آثار العنف ويفتح المجالات أمام الشباب ويعطيهم حريتهم»، لأنّ السياسة الحالية المسيطرة على لبنان تجعل أكثرية الشباب يخافون على حرّيتهم أي حرية الرأي والإنتماء والتعبير، لذا على الدولة اتباع سياسة وطنية بعيدة عن المصالح الفئوية الخاصة والتي من شأنها أن تحدّ من الهجرة وتفتح المجال للحوار والنقاش بين كافة الأطراف.

وماذا عن المعاناة النفسية والإجتماعية لجيل الحرب والآثار التي تركتها على الرغم من مرور عدة سنوات على إنتهائها؟؟ مزّقت الحرب الأهلية اللبنانية النسيج الإجتماعي وما زالت آثارها حاضرة حتى اليوم لدى الأطفال الذين عايشوها وغدوا حالياً رجالاً ونساءً لديهم أسرهم الخاصة؛ فهؤلاء شاركوا في الحرب وقتلوا من كان بالأمس صديقاً أو جاراً لهم، هذه القدرة على القتل تمّ اكتسابها من خلال التربية المنزلية أو المدرسية القائمة على زرع أفكار هدّامة من الآخرين في عقول الأطفال، فضلاً عن التحريض والتعبئة النفسية ومشاهد العنف التي بدأت تغزو التلفزيونات في تلك الفترة ولا تزال، وبالتالي حرموهم من عيش طفولتهم البريئة، وهجروهم قسرياً وأجبروهم على رؤية القتل بالعين المجرّدة... لا سيما أنّ حوالي خمس إجمالي عدد السكان تعرّض للتهجير القسري لأنّ الحرب كانت متحرّكة في كافة المناطق. على الرغم من مرور 15 عاماً على انتهاء الحرب الأهلية اللبنانية، إلا أنّ المشكلة هي عدم قدرة الأجيال التي شبّت وترعرعت في تلك الفترة الدامية على تخطّي القلق والتوتر وكراهية الآخر، هذا فضلاً عن المشاهد الراسخة في أذهانهم من قتل وتدمير، كل هذا جعلهم يعيشون نقص في الأنسنة وبالتالي عدم القدرة على احترام القوانين والأنظمة لأنّهم لم يتمرّنوا على ذلك، فحاولت الدولة عبر اتفاقية حقوق الطفل في 2/ 9/ 1990 إلى جانب جمعيات

ومؤسّسات أهلية ورسمية مثل «المجلس الأعلى للطفولة» من إعادة تأهيل أطفال الحرب ورعاية المعوقين والأيتام والمرضى النفسيين لكن ظلّت في إطار محدود، لأنّ إعادة تأهيل جيل الحرب تواجه صعوبة تتمثّل بقيم المجتمع اللبناني على أساس طائفي ومذهبي بالإضافة إلى الضائقة الإقتصادية والصعوبات المعيشية التي يعيشونها. إلى جانب هذه الأزمات التي نزف منها لبنان كان هناك الإعتداءات الإسرائيلية التي ساهمت في حد كبير بمعاناة الأطفال منذ الإجتياح الأول 1978 وصولاً إلى الوقت الحالي، فقد استخدم الإسرائيليون قذائف ممنوعة دولياً أدّت إلى قتل عدد كبير من الأطفال؛ فمجازر قانا والمنصوري وحرب الأيام السبعة واجتياح 1982 لبيروت والجنوب شاهدة على ما فعلوه ولا تزال راسخة في ذاكرة كل الناس، بالإضافة إلى اعتقال عدد كبير من الأطفال ورميهم في السجون الإسرائيلية؛ فقد ذكرت آخر إحصائية أنّ هناك 23 أسيراً كانوا أطفال جيل تمّ اعتقالهم في معتقل الخيام ومعتقلات أخرى شهدت على ممارستهم الوحشية تجاه الأطفال من تعذيب بالكهرباء والجلد أمام أعين أمهاتهم للإعتراف بحقائق تفيدهم...

2 ـ 2. الشباب الفلسطيني

وماذا عن المعاناة النفسية والجسدية التي يتعرّض لها الفلسطينيين بسبب الإحتلال الإسرائيلي وهي في تزايد دائم ولها تأثير سلبي على القدرة على التركيز والتصرّف؟

أدّت الحروب في كافة أنحاء العالم ولا تزال إلى «قتل مليون ونصف من الأطفال والإعاقة البدنية لأكثر من أربعة ملايين آخرين حيث بترت أطرافهم أو أتلفت أدمغتهم»، هذا على الصعيد العالمي؛ أمّا على الصعيد العربي فالتجربة الفلسطينية هي أكبر دليل على ما يعانيه الأطفال من قتل وتشريد واعتقال وتهديد جسدي أو لفظي وللمطاردة وللتوقيف، فالمشكلة أنّ أكثرية سكان المخيمات هم من صغار السن إذ «تشير الإحصائيات أنّ أكثر من 60% من سكان الضفة الغربية وقطاع غزّة ما دون 19 عاماً فيهم 47% ما دون 15 عاماً»، بالإضافة إلى مشاهد العنف اليومية التي يرونها بالعين المجرّدة لأنّ أكثرية عمليات الإعتقال والقتل تتمّ في الشوارع: أمام الجميع، كل هذه الأشكال

المتنوّعة والعديدة للعنف لها انعكاس سلبي على نمو الشخصية السليمة، فيذكر «عبد القادر حماد» «إن الشباب الفلسطيني هم ضحايا عنف حيث تأثّروا بالأحداث من حولهم بطرق مباشرة أو غير مباشرة فمنهم من قُتل والده أو أحد من أخوانه أو أصدقائه أو أقربائه أو تمّ اعتقاله أو إصابته أو ضربه». كذلك يفتقد هؤلاء إلى الرعاية الإجتماعية والتربوية والتعليمية ممّا يزيد من حدّة الأمور تعقيداً، ويترك آثاراً نفسية من الصعب تطبيبها وتتجلّى بحالات الإكتئاب التي يعاني منها الطلبة الفلسطينيين والتي أدّت إلى تراجع في تحصيلهم العلمي وفي التركيز وضعف الذاكرة تماماً كما حصل عند انتفاضة الأقصى فقد تجلّت بآثار العنف عندهم عبر «اضطرابات هضمية وعزوف عن الأكل... الأرق والنوم الزائد، البقاء قريباً من الكبار ورفض الإبتعاد لعدم الشعور بالأمان، التوتّر والتعامل مع الآخر بعصبية، التمرّد وعدم الطاعة»، وغيرها من الأمور التي أدّت إلى ارتفاع معدّلات العدوانية لديهم. هذه الأزمات دفعت العديد من المؤسّسات الفلسطينية لاتّخاذ إجراءات للتحقيق من آثارها عبر عقد مؤتمرات وندوات لتوعية الأهل والمسؤولين عن المؤسّسات التربوية والإجتماعية حول كيفية التعامل مع الأطفال الذين يعانون من هذه الحالة، بالإضافة إلى السعي لتجنّبه مشاهدة العنف وإشراكه في نشاطات ترفيهية بما أنّ هذه الظاهرة تلف العالم العربي كلّه وضع الكاتب عدة توصيات واقتراحات للحدّ من هذه الأزمة عبر «توزيع الإرشادات على الآباء والأمّهات وعقد الندوات والورشات لكيفية التعامل مع الأطفال في هذه الحالة». وتأهيل الكادر التعليمي لمواجهة هذه الظاهرة، تقوية العلاقات التربوية والإجتماعية بين المعلّمين والأطفال، ضرورة الوعي الإعلامي من خلال منع نشر أي مشهد عنفي، والسعي إلى تنشئة الطفل على التسامح والإحترام. إنّ «ارتفاع ظاهرة العنف مؤشّر خطير يستوجب التوقّف والتفكير الجدّي». حيث «بلغ عدد الشهداء من الأطفال دون الثامنة عشر 105 أطفال... (عن مؤتمر العنف في المجتمعات الإسلامية / دراسات غير منشورة).

2 ـ 3. عنف الحصار وأثره على تعليم الأطفال: العراق

عنف الحصار مصطلح جديد يهدف من ورائه إلى الإطّلاع على أحوال

الأسر العراقية على أثر الحصار الأميركي عليها وما خلّفه من مشاكل أسرية ومجتمعية وتربوية. . .

يقول «شفيق مهدي» أنّ العراقيين عاشوا فترة الحصار أشد العذاب الإقتصادي والتربوي والأسري والمجتمعي ممّا أدّى إلى تقليص حجم الفئة العمرية الفتية التي كان يتمتّع بها المجتمع العراقي، بالإضافة إلى انخفاض نسبة التعليم بسبب الأزمة الإقتصادية التي ولّدها الحصار وإلى الأذى في ميادين العمل لتأمين ولو جزء بسيط من حاجات الأسرة، فنتج عن هذا ظهور حالات جنوح وانحراف وازدادت نسبة الأطفال المودعين في الإصلاحيات. وتعرّضت المدارس والمؤسّسات التربوية إلى أضرار مادية ضخمة أدّت إلى تناقص عدد الطلاب والمدرسين فضلاً عن الأزمات الصحية كفقر الدم والأمراض المعدية، والتي نتج عنها عدم القدرة على التركيز على الدروس فضلاً عن الأثار النفسية السلبية كحالات القلق والتوتّر والكآبة وانتشرت مشكلة الشرب والرسوب المدرسي والشرب وصلت نسبته إلى 6,1%؛ أما الرسوب في المرحلة المتوسّطة فوصل إلى 36% وفي المرحلة الإبتدائية إلى 31%؛ ثم ما لبث أن شمل طلاب المراحل الثانوية والجامعية؛ فأكثرية الطلاب تركوا المقعد الدراسي لمساعدة عائلاتهم خاصة أنّ الأسعار ارتفعت في تلك الفترة بشكل جنوني، حيث بدأ الطلاب العمل في أعمال هامشية كالبيع على الأرصفة والتسوّل امام مخازن بيع المشروبات الروحية، أي في بيئات غير سليمة تربوياً وإجتماعياً، ممّا أدّى إلى ازدياد جرائم الأحداث وارتفاع عدد المودعين في المدارس الإصلاحية؛ كل هذا يحصل بعيداً عن أعين القوانين الدولية المتعلّقة بحماية حقوق الأطفال، على الرغم من محاولات بعض الجهات المسؤولة مواجهة هذه الأزمات عن طريق إعادة بناء ما دمّره الحصار من ترميم المناهج وتطويرها وإجراء دراسات وإقامة دورات للتوعية للتخلّص منها. إنّها النتائج السلبية الخطيرة التي برزت في نسيج الأسرة العراقية بعد فرض الحصار كتغيّر مصطلح الأسرة التي أصبحت تعيش في حالة طوارئ بسبب الظروف المعيشية والإقتصادية الصعبة ونتج عن هذا الوضع تقليص القيم والمشاعر وتفكيك الإستقرار الأسري، وازدياد حالات العصبية وسرعة الغضب والطلاق وهذه الأخيرة أثّرت على الأطفال من ناحية التفكّك والتشرّد والمعاناة.

أخيراً أنّ الأطفال العراقيين بحاجة إلى «العاطفة الأسرية، علاقاتها الحميمية، وهو ما يجب الإهتمام به، والتوعية بأبعاده، من أجل طفولة أسرية إجتماعية طبيعية».

3 ـ تصنيفات في المسلم والإسلام

يعرض حلمي شعراوي لكتاب محمود حمداني أحد المثقفين الأوغنديين والذي يملك مساهمات علمية، وسلبية هامة منها «المسلم الطيب والمسلم الشرير». محور هذه المقالة حيث قامت الولايات المتّحدة الأميريكية بتصنيف وتقسيم العالم العربي والإسلامي على وجه الخصوص تبعاً لعنوان الكتاب.

تحت شعار القضاء على الإرهاب يضع محمود حمداني قراءة حول موجة جديدة سيتعرّض لها العربي والإسلامي على وجه الخصوص، تتعلّق بتصنيف «نقلاً عن تحليلات الإدارة الأميركية، بأن هناك «المسلم الطيب» الذي يكون معنا (أي الأميركيين) و«المسلم الشرير» الذي يكون «معهم» أي مع الإرهابيين الأشرار، وهذا في ظل تبلور النزوع الأميركي إلى تقسيم العالم كلّ من هم «معنا» ومن هم «ضدّنا». فالأنا هو الأميركي و«الآخر» هو ما دون الإطار الأميركي سواء إطار العولمة المعسكرة، أو إطار «النظام الدولي» المطيع ذي الآلية المعاونة»؛ فالولايات المتّحدة الأميركية تستخدم العنف السياسي «أو الإرهاب ببعده الثقافي فقط، حيث ثقافة «الحداثة هي الأنا، وثقافة الإرهاب أو العنف كافة في غياب الحداثة في مجتمعات ما قبل التحديث، وهي هنا المجتمعات الإسلامية ومجتمعات «الإسلام السياسي» على وجه التحديد». والقضاء على المجتمعات ما قبل التحديث هي سمة الدولة الحديثة وهذا ما حصل عندما اكتشف كولومبوس العالم الجديد وقرّر إبادة سكّانه الأصليّين وغيرها من الأحداث؛ وهذا المبدأ أي استخدام فكرة الدولة الحديثة أو الدولة الحضارية للقضاء على الثقافات الأدنى وما قبل التحديث هو الذي سيطر على الولايات المتحدة الأميركية وبالأخص عند سقوطها أما فيتنام، وهي ما تحاول إبرازه أمام العالم؛ فهي حريصة على إبعاد التفسير السياسي لهجومها على العراق

«متوقفة عند الثقافي والديني والعرقي والقبلي» لعل هذا ما يساعدها في التصنيف القائم بأن «المسلمين الأشرار هم الذين يقفون مع الإرهاب وأن المسلمين الطيبين واعون بضرورة تطهير أنفسهم وأسمائهم من هذه الجريمة، ولذلك «سيؤيّدوننا» في الحرب ضدّهم أي الأشرار». خاصةً وأن أميركا تنظر إلى الإسلام على أنه عالم ما قبل حداثي لذا تلجأ إلى استقدام أساليب وسياسات تحقّق التقدّم بالقوة والعنف.

إنّ الكتاب الذي تمّ عرضه من قبل صاحب المقالة يركّز على التفسير الثقافي وليس السياسي لئلا يقع في المحظور ويجعل من كل المسلمين أشراراً؛ إنّ الولايات المتّحدة الأميركية بدأت حالياً وبشكل فعلي تقسيم المسلمين إلى من هو طيب (في جانبها) ومن هو شرير (ضدّها) في محاولة منها لتحديث العالم الإسلامي ودمقرطته.

ونعرض مباشرة مقالة للدكتور عدنان حب الله عن النتائج النفسية للعمل الإرهابي بحرفيّتها كما جاءت في النهار بتاريخ 20 آب 2005.

«المشاهد التي نراها على الفضائيات عن الحوادث الإرهابية وغيرها من الفظائع المرتكبة في العراق وفلسطين المحتلة، لا تعبر سوى عن الجزء الظاهر من المأساة: الدماء، الأجسام المشوهة، بكاء الأخ لأخيه، بكاء الأب لابنه، الأمهات الثكالى. . . إلخ، تبين لنا أنّه في كل حدث فاجع هنالك المرئي وغير المرئي وهو ما يسمى الصدمة النفسية والدمار الذي خلفته على الصعيد الذاتي. وأصبح من الضروري كما هي الحال في الدول الراقية أن يرافق فريق من الإختصاصيين النفسيين الفريق الطبي كي يعالج الآثار النفسية الناجمة عن الحدث، لأنّ آثاره إن تركت على حالها يمكن أن يكون ضررها أكبر بكثير من العطل الجسدي.

فما هو هذا العذاب النفسي الذي يلحق الحدث؟ وما هو مصير الصدمة في نفسية كل من بقي على قيد الحياة؟

يفيدنا الإعلام يومياً بعدد الضحايا التي وقعت نتيجة عمل إرهابي في البلد الفلاني. قد يكون عددهم 10 أو 20 أو 50 قتيلاً (لندن) أو حتى 3000

(نيويورك) أو نتيجة كوارث طبيعية: 250000 (تسونامي)، كلّها أرقام لا تعني لنا أكثر من ذلك. فهل يمكن تصوّر أنّ كل ضحية تحمل في طياتها قصة إنسانية دراماتيكية: الأطفال أصبحوا يتامى مدى الحياة، الزوجة أرملة، أم فقدت ابنها الذي كان مشروع حياتها وأملها في المستقبل...؟ كلّها مآس لا يمكن اختزالها بالعدد لأنّها تاريخ سيكتب وليس باستطاعة أي أنسان إعطاء تصوّر له إلا من طريق التماهي. فمن دون هذا التماهي لا يمكن أن يبزغ الشعور بالإنسانية ومعنى حقوق الإنسان وتحسّس مصائب الآخر.

السؤال الموجّه إلى كل وسائل الإعلام، نظراً إلى تكاثر الأعمال الإرهابية في العالم حتى أضحت ظاهرة العصر هو: ما هي الصدمة النفسية وكيف تتكوّن ما بعد الحدث؟ إذا ما تعرّض الإنسان لحادث معيّن؛ انفجار عبوة إرهابية أو حادث سير، فقدان عزيز، كوارث طبيعية كالزلزال، تعطّل قطار أو سقوط طائرة... إلخ، يكون الحدث شديداً بقدر ما يكون عامل المفاجأة أسرع. مثال: الإنفجار لا يأخذ أكثر من جزء من الثانية ثم ينتهي بعدها كل شيء. هنا يكون القدر قد قال كلمته ومشى دون رجعة، فعامل السير الزمني يسير في اتجاه واحد خلافاً للتنقّل في الفضاء حيث نستطيع السير في كل الإتجاهات.

بعد هذه اللحظة القدرية يتغيّر كل شيء، إذ ظهرت هوة كسرت سياق التاريخ، وأصبح الحدث نقطة بين تاريخ مضى وتاريخ بدأ، الماضي يحمل في طياته كل المواضيع سواء مادياً أو ترجسياً، وأصبح مطلوب منه ابتداء من هذه النقطة أن يباشر عمل الحداد وهو عمل مضن مؤلم يسير ببطء ولا يمكن أن يحقق هذه المهمة إلا إذا تمكّن من إيجاد بدائل من العمل الترميزي (Symbolisation).

عندما تواجه الأنا من دون إنذار أو تصوّر مسبق الحدث فإنّ الأخير يصدمها بواقعيته لأنّها لا تستطيع تجنّبه فيخترق جهازها المنطقي ويحدث فيها فجوة تفكّك كل أنسجتها المكوّنة من سلسلة الدوالي التي كانت تحميها من الإثارات الخارجية.

عندما تعود الضحية إلى وعيها بعد الوهلة الأولى، تصاب بالتبلد في

المشاعر والإختلاط الذهني فلا تميّز بين الواقع والمتخيل وبين الحلم واليقظة. هنا تبدو الأنا في حيرة من أمرها، فقدت ارتباطها بالواقع فاختلط عليها التناسق الرمزي المتواصل بين الحاضر والماضي والمستقبل. يحدث هذا لها نتيجة لكسر في علاقتها مع الخارج الذي انقسم إلى شطرين: شطر الماضي وشطر المستقبل، أما الحاضر فلا تستطيع الخروج منه إذ فرض عليها واقعاً جديداً لم تكن مهيّأة لاستقباله.

يتوقّف الزمن للحظة امام واقع يصدمه وتفشل كل محاولة خيالية لإنكاره. فرغم الرفض الظاهر والمستمر لما حصل يظل الواقع ملحّاً، يغيب أحياناً ثم يعود ليفرض نفسه دون أي تغيير. مثال: عندما تردّد الأم الثكلى أمام الحاضرين عبارة «قولوا أنه ما مات» تصطدم بصمت الآخرين، وكأنّ الموت يعود بإصرار كواقع يتحكّم بغياب الحبيب دون رحمة أو شفقة.

الصدمة تأتي من عامل المفاجأة والسرعة اللذان لا يتركان فرصة للمصاب كي يتّخذ وسائله الدفاعية التي تؤمّن له الحماية النفسية أو تحاول على الأقل تخفيف وطأة الحدث.

فالألم النفسي ينتج عن فقدان مفاجئ لموضوع مستثمر نرجسياً على درجات متفاوتة. وتبعاً لهذا الإستثمار تتحدّد شدة هذا الوجع، فإذا كان الحدث «فقدان الحبيب»، ذلك الحبيب الذي كان بمثابة قطعة من جسد المصاب (فلذة كبد، ذراع أيمن، قلب) عندها سيصاحب هذا الحدث تشويه في الصورة الجسدية للمصاب إلى حد إحداث اضطراب في الوظائف الفيزيولوجية أو أمراض عضوية. وأهم ما يصدم المشاهدين على الفضائيات: هو أنّ الشاشة تعمل كنافذة مفتوحة على الداخل والخارج أي مرآة في اتجاهين، فمشهد الأجساد المتقطّعة وأشلاء اللحم والدم تنفذ إلى الداخل لكي تحطم الرؤية الوحدوية المكونة للجسد والنفس وتفكّك الأخيرة على أثر المشهد يصحبه شعور بالتبدّد والغرابة نتيجة التجزّؤ الداخلي الذي يعود بالمشاهد إلى مرحلة ما قبل المرآة.

لذلك نرى المظلوم يستعمل كل الوسائل الدفاعية ومن أهمّها: «الخوف»: أي الإنذار الذي ينبّه ويثير القوى النفسية التي تواجه الخطر

الداهم. لذلك كلّما كان الحدث مفاجئاً، كلّما كانت الصدمة كبيرة، لأنّ السرعة التي تقع بها الواقعة تكون أسرع من الفترة الزمنية التي تطلق فيها الأنا صفارة الإنذار بواسطة الخوف المفتعل. إذن دون هذا الخوف يخترق الواقع الحدثي الأنا دون رقيب محطّماً البنية النفسية. فتتضعضع البنية النفسية وتتغير وفقاً لاحتمالين:

الإحتمال الأول: «حالة الضحية الذي كان سوياً قبل الحدث». تقوّم الصدمة هنا بحجمها وكبرها بتحطيم القيم التي كان يؤمن بها المصاب فيختل معتقده الأيديولوجي وتتزعزع قيمه وثقته بنفسه وبالآخرين. عندها يتعرّض لعزلة نفسية وعصبية ويصبح بعدها قليل الصبر لفقدانه الوساطة الرمزية بينه وبين الآخرين، تلك الوساطة التي فقدها هي التي كانت تؤمن له الإعتراف بالآخر والتسامح.

نستطيع بالعين المجردة رؤية كيف أنّ المصدومين يتميّزون بعصبية المزاج وسرعة الغضب ورهافة الإحساس. أما الإكتئاب الناجم فهو ملازم لفقدان الموضوع الذي يرافق كل صدمة.

فالضحية تفقد شيئاً ما بعد الحدث: إما مادياً (قطعة من الجسد، عزيز، أملاك) أو معنوياً، وفي هذه الحالة تختلف درجة أهمية الشيء المفقود من شخص إلى آخر، فتبدأ من الإهانة، الإذلال، حجز الحرية، التعرّض للقيم التي كان يؤمن بها المصاب سابقاً وصولاً إلى الارتهان لحد العبودية بالأشخاص الذين كانوا يسهرون على تعذيبه فيصاب بتعلّق غير طبيعي بهم (عادة ما يحصل ذلك لرجال الصحافة المحتجزين ـ أنظر فيلم خارج الحياة) وهو ما يسمّى «سندروم دي أستوكهولم».

الإحتمال الثاني: «حالة الضحية الذي كان يعاني من اضطرابات نفسية قبل الحدث وكان قد استطاع بعد جهد كبير تحقيق توازن هش بين متطلّبات الواقع ومتطلّبات العصاب».

الصدمة هنا تفقد المصاب توازنه السابق وتكشف عن البنية العصابية التي كان يحاول دائماً إخفائها وتتبلور أعراض العصاب المميزة، كما قد تظهر

أعراض لم تكن موجودة سابقاً: عوارض هاجسية (النظافة، الخوف من التلوّث، تردّد في أخذ القرارات، إجترار الأفكار أي التوقّف عند فكرة وتكرارها باستمرار، الخوف من المرض والعدوى الميكروبية) هذا إضافة إلى الإكتئاب والأرق في الليل وفقدان القدرة على التركيز. مع الإشارة إلى أنّ كل هذه الأعراض كانت موجودة سابقاً لكن على نحو مخفيّ أو في حدود معقولة. كذلك الأمر بالنسبة للبنى النفسية والمرضية: الهستيريا والفوبيا والذهان.

السؤال الذي يطرح نفسه، «كيف يمكن التخلّص من الإثارة النفسية للصدمة؟».

أولاً: الجهاز النفسي على غرار الجهاز الجسدي يتمتّع بقدرة على استيعاب الأحداث وتحويلها ثم تفتيتها وأخيراً دمجها في العمل الفكري (métabolisation du trauma) أي كما هو متعارف عليه الإنسان بعد المرور بأحداث مؤلمة يكتسب خبرة، ويستنتج عبرة جديدة لم تكن بحسبانه سابقاً.

الفكر لا يتوقّف، فهو يعمل جاهداً على إعادة النظر في الحدث وكيفية التعامل معه في ضوء ما استنتجه، فنظرة الإنسان المتكوّنة لديه سواء عن وجوده أو عن مكانته في المجتمع والعائلة أو عن نظرته إلى الكون كانت راسخة في فكره كمعتقد في التعامل مع الحياة. لكن تبيّن لنا من التجربة أن هذا الإنسان إذا تعرّض لحدث كبير وخرج منه نراه عندئذ يعيد النظر في كل معتقداته الثابتة. فنظرته إلى الكون والحياة تتغيّر والشك قد يحل محل اليقين - والمتخيّل محل الواقع والوهم محل الثقة.

وقد يصاب بنزف نرجسي لا سيما إذا تعرّض للإهانة والإذلال أو تعرّض لخطر الموت الحقيقي وتبيّن له فجأة أنّه ميت لا محالة. إن هذا الموقف قد يشكّل صدمة كبيرة للأشخاص النرجسيين الذين كانوا يعيشون في معتقد يقين لا يقبل الشك، معتقد بأن لا أحد يستطيع إذلالهم وإهانتهم، أو الاسوأ كانوا ضحية معتقد نرجسي بأنّ الموت لا يطاولهم أو أساساً لا وجود للموت إلا بالنسبة للآخر. فكل هذا الصرح النرجسي الذي بنيت عليه نظرتهم إلى الحياة وإلى

ذاتهم، ينهار دفعة واحدة أمام حدث ضخم فيبدو لهم دون تحضير مسبق وهماً ما كانوا يعتقدون به. فعندما ينجو الإنسان من خطر موت حقيقي يخرج غير ما كان سابقاً، ويطرأ تغيير على طباعه وسلوكه وأسلوب تعامله مع الحياة. وكما يقال «كتب له عمر جديد»، أي أنّه ولد من جديد وأصبح غير ما كان عليه في السابق أي التاريخ الذي انتهى في اللحظة القدرية لكي يبدأ تاريخاً جديداً.

وهكذا يصبح ما قبل الحدث وبعد الحدث مفصل تاريخي يؤخذ في الإعتبار. ويمكن أن نعمّم هذا النمط على تاريخ الشعوب مثال: نكسة 1967 وهي في الواقع كارثة على صعيد الأيديولوجيا العربية، كان فاصلاً تاريخياً ما قبل الـ 67 وما بعد الـ 67. كذلك حدث 11 أيلول 2001 بالنسبة للشعب الأميركي. ومن نتائج هذا الحدث أنّ تاريخ النضال بإسم القومية العربية انتهى ليبدأ تاريخ جديد باسم الأمة الإسلامية حيث لا نزال نرى آثاره على صعيد العمليات الإنتحارية.

من ناحية أخرى نلاحظ على الصعيد الذاتي أنّ استذكار الحدث يولّد ألماً نفسيّاً واضطرابات قد لا تستطيع الضحية احتوائها فتحصل نوبات عصبية وتصرّفات سلوكية بعيدة عن المنطق. وهذا ما نسمعه من محيط الضحية إذ تشهد عائلته إنّه تغيّر تماماً منذ تعرّض للحدث. وقد يكون ذلك حادث سيارة أو انفجاراً أو فقدان عزيز أو إصابته بمرض خطير، أو إذ كانت الضحية إمرأة تعرّضت لحالة اغتصاب. . . كل هذه الأحداث وغيرها لها مفعول صدمي لأنّ الواقع المميّز لها يحدث شرخاً كبيراً في استمرارية سياق الزمن، وهذا الواقع لا يمكن إزاحته أو تغييره إذ كلّما طردناه من ذاكرتنا يعود بعنف إلى المكان نفسه.

ونرى المصدومين يأخذون كل وسائل الحيطة والحذر، التي قد تبعد عن تفكيرهم هذا الواقع، وتحصل عندهم تصرّفات إحترازية وتجنّبية لكل ما يعود إلى ذاكرتهم الحدث. ونلاحظ تأثير ذلك في الساحة الفكرية ممّا يعطّل جزءاً من حريّة عملهم، كما نراهم يحاولون تجنّب الأمكنة التي تعيد ذكرى الحدث فيصابون بالفوبيا من المترو أو الباص أو الأمكنة المغلقة. . . ويصابون إذ

وجدوا بما يسمّى بحالة stress أو نوبات accès panique تسمّم حياتهم وتحدّ من استمتاعهم بما يملكون. وقد يؤدّي ذلك حتماً إلى الإكتئاب المزمن، وفي بعض الأحيان إلى الإنتحار.

بعد الصدمة يعاني الشخص مباشرة من فقدان النوم المريح، فيتعرّض لكوابيس تقتحم مضجعه وكلّها تصبّ في قلب الحدث سواء من قريب أو من بعيد. وهنا يجب أن نأخذ في الإعتبار وظيفة الحلم. فالحلم له وظيفة فيزيولوجية محدودة، حماية النوم. فهو يحمي النائم من كل الإثارات سواء أتت من الداخل أو من الخارج وذلك من طريق تركيب سيناريو يتكفّل باحتواء الإثارة وتحويلها في إخراج لتحقيق رغبة.

والحلم يمتصّ كل الإثارات التي حصلت في النهار والتي قد تكون أحدثت إحباطاً ويبني منها نص الحلم الذي يعرضه لكي يستمرّ النائم في نومه. فإن فشل الحلم في أداء هذه الوظيفة الفيزيولوجية، انقطع النوم عندئذٍ لأنّ إثارات النهار كانت أكبر من الإخراج المنتج.

ففي الصدمة يدخل الحلم كعامل إصلاحي يحاول دمج معطيات الحدث في الواقع النفسي للمريض. أول عمل يقوم به هو إعادة النظام الدفاعي للذات. وكما ذكرنا سابقاً أنّ ما غاب عن وسائل الدفاع هذه هو عامل المفاجأة الذي عطّل إشارة الإنذار المتماثلة بالخوف، لذلك يتبيّن لنا خلافاً للسائد في المفهوم العام، أنّه يوجب محاربة الخوف من طريق المسكّنات. أما في الواقع فظهور الخوف خلال الكابوس هو عامل فيزيولوجي حاول الحلم إدخاله عندما حدثت الصدمة وكان الخوف غائباً عنه. وهكذا مع التكرار ورغم فشل المحاولات يحاول الحلم تفكيك الحدث وإدخاله تدريجياً في الواقع النفسي للمصاب.

أما الجزء الثاني في تطوّر آثار الصدمة للشفاء، فإنّه يكمن في قدرة المصاب على إجراء عملية الحداد وإنهاؤها. ففي كل صدمة مهما كان نوعها هنالك دائماً فقدان لموضوع جزئي له أهمّيّته إما من الناحية النرجسية أو من الناحية الإقتصادية (ثروة، مال، أملاك... إلخ) وفقدان الموضوع يتطلّب حداداً ثمّ بعدها عزاء. والأصل في استمرار العوارض الجانبية ما بعد الحدث،

إنّ هذا الإنسان المصاب لم يستطيع بعد إجراء عملية الحداد والإنصياع لمشيئة القدر بفقدان ما كان عزيزاً عليه. وتعطّل هذه العملية يؤدّي إلى تشبّث في موضوع متخايل لم يعادله وجود على أرض الواقع. أذكر أنّني التقيت العديد من حالات مرضى الإكتئاب، تبيّن لي بعد المعاينات المتكرّرة بأنّ حدادهم لم ينتهِ حتى الآن على أحبّاء فقدوهم منذ سنوات عدّة. أي أنّ هنالك حداداً منتهياً وحداداً لا منتهياً يؤدّي حتماً إلى حالة اكتئاب مزمنة.

الإعلام وخاصة الفضائيّات التي تطلعنا كل صباح على أخبار العنف في العالم، قامت أخيراً بالتغلغل داخل نفوسنا إلى درجة إنّنا أصبحنا لا نرى العالم إلا من خلالها. وأصبح مسلك الدول أشبه بالمصدوم الذي بقي سجين بين الفعل وردّ الفعل - فكل وسائل الوقاية التي تتّخذ، والحذر والخوف، والسلوك التجنّبي الشبيه بالسلوك الفردي تدخل في إطار «سندروم» ما بعد الصدمة، وهي إن استمرّت ستؤدّي حتماً إلى تقييد الحريّة الشخصية وحصر الناس ضمن حواجز تحت دفاع الوقاية الأمنية.

هذا إضافة إلى الإتهام العام الذي لا يميّز ما بين الحادث الفردي والجماعي. فالإحتمال الأول سوف يؤدّي إلى جريمة فردية والإحتمال الثاني سوف يؤدّي إلى الحرب. وهنا لم يعد المواطن الغربي تحت التأثير الإعلامي قادراً على التميز الإنفعالي ما بين المسلم الإرهابي والمسلمين عامة. وإذ استمرّ الوضع على هذا المنوال، سيتحوّل المسلمون في الغرب إلى حالة الفيتو وسيفقد الغربيون كل ما ناضلوا في سبيله منذ الثورة الفرنسية من مكتسبات حرية وديموقراطية وحقوق للإنسان، وسيتحوّلون عنصريّين تتحكّم بهم متعاتهم الآنية ورفاهيتهم الهشة.

وإذ نظرنا باختصار إلى نتيجة الأحداث الإرهابية التي تطاول الغربيين أينما وجدوا، وإذ ما استمرّت على شكل أوسع فإنّها ستفرز حتماً فيتو إسلامياً اضطهادياً في أوروبا، وبزوغ أنظمة فاشية كان الزمن قد طواها... وهذا يتطلّب بحثاً آخر».

4 ـ السلوك السياسي

السلوك السياسي قديم قدم الحياة الإجتماعية. وبالرغم من ذلك، فإنّ الدراسات السياسية كانت إلى عهد قريب تدور أساساً حول المؤسّسات السياسية أكثر ممّا تدور حول السلوك السياسي. ومن وجهة نظر علم النفس الإجتماعي عامة، وديناميات الجماعة بخاصة، فإنّ العلوم السياسية هي في المقام الأول علوم سياسية. ويمكن القول بأن المفاهيم الأساسية في الديناميات السياسية هي نفس المفاهيم الأساسية في ديناميات الجماعة، ومن أمثلتها: الحل الجماعي للمشكلة واتّخاذ القرار، وهي مفاهيم تتضمّن التفاعل والحركة والتغيير والصراع والتخفيف من التوتّر والتوازن. ويمكن أن نحلّل النظام السياسي بوصفه جماعة، والسلوك السياسي بوصفه عملية جماعية.

إنها فرقة مصطنعة بين العلوم النفسية والعلوم السياسية، إلا أنّه من المحقّق أن دراسة موضوع من الموضوعات الرئيسية في علم النفس الإجتماعي وهو موضوع الطابع القومي، يمكن أن تساهم في صورة إيجابية ـ بوصفها مدخلاً من مداخل التحليل السياسي ـ في فهم الكثير من الظواهر التي تشكّل اهتمامات العلوم السياسية. كما أنّ الدعاية السياسية تكاد تكون حجر الزاوية في علم النفس الإجتماعي.

والسياسة في المجتمع الديموقراطي ليست حكراً على فرد أو أفراد معدودين وليست سلطة تتوارثها الدولة أو الحكومة أو يتوارثها التنظيم السياسي، بل إنّها تستند إلى مبالاة الملايين التي يتعيّن أن تملك إرادة التغيير وإمكاناته. ومن ثم فإنّ دراسة اتجاهات المواطنين نحو العمل الجماعي هي دراسة في جوهر السلوك السياسي[1].

إنّ السلوك السياسي لا يمكن فصله في الحقيقة عن الأنظمة الإستبدادية

---

(1) لويس مليكه ـ قراءات في علم النفس الإجتماعي في البلاد العربية. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة .1970

التي تكلّل المؤسّسات بقوانين جائرة تغيّب الديموقراطية وتضعف مشاركة المجتمع المدني المعتبرة كعنصر دخيل. . .

إنّ السلوك السياسي لا يرتبط فقط بالممارسة السياسية وبنوعية هذه المشاركة بل هو يرتبط إلى حد بعيد بالمفاهيم التالية:

1 ـ الإنفعالات والدوافع:

تحتشد وراء بعض الحاجات الأساسية المنبعثة عن الغرائز وعن العمليات الفيزيولوجية التي تقوم بها أجهزة الجسم المختلفة. فالجوع مثلاً يدفع الفرد إلى البحث عن الطعام وهذا الدافع فطري يولد معنا فإن ظلّ دون إشباع فإنّ الحاجة إليه تشتد وتلح طلباً للإشباع. وتحتشد الطاقة النفسية وراء هذه الحاجة لتوجيه سلوك الفرد نحو الحصول على الطعام الذي هو هدفها حتى تحصل عليه، فإذا وقف عائق في سبيل ذلك فإنّ هذه الطاقة أو الحشد العاطفي تؤدّي إلى حالة من التوتّر والألم ولذلك يسعى الإنسان إلى التخلّص منها بشكل من الأشكال يكفي لإشباع الحاجة والتخلّص من التوتّر والألم والشعور بالراحة واللذة[1].

والدافع الجنسي من أهم الدوافع الفطرية الفيزيولوجية التي تؤثّر في سلوك الإنسان من وجهة نظر التوافق، والصحة العقلية. وقد ينشأ عن الحرمان الطويل من إشباع هذا الدافع كثير من الإضطرابات النفسية ـ وقد أرجع فرويد ـ مؤسّس مدرسة التحليل النفسي ـ كثيراً من تلك الإضطرابات إلى اضطراب الدافع الجنسي بسبب ما يلاقيه من كبت وحرمان. غير أنّه لا يجب أن يفهم من ذلك أن الدافع الجنسي هو أقوى الدوافع الفطرية كما تعتبره مدرسة فرويد. فقد أثبتت التجارب التي أجريت على الحيوان أنّ دوافع الجوع والعطش والأمومة أقوى من الدافع الجنسي ويمكن أن تعتبر نتائج هذه التجارب صحيحة أيضاً بالنسبة للإنسان.

2 ـ الإنتماء للجماعة:

. . . وقد تتعرّض الجماعة إلى الزوال بعد بلوغ أهدافها وذلك بتبعثر الأفراد ولا بد لها أن تعمل على ذاتها لشد لحمتها وتقوية وحدتها (كالمجموعة

---

(1) ع. فزاج ـ الشخصية والصحة النفسية ـ مكتبة العرفان ـ بيروت 1970.

السياسية والإدارية مثلاً)، فتكمن الوسيلة الوحيدة للإبقاء على وجود الجماعة العمل على إعادة تنظيمها وذلك عبر تمتين وضمان انتماء الأعضاء.

ويسمح إنتماء الأفراد بأن تجري الجماعة ترتيباً في بيتها ولحمتها مستحدثة المواقع ومحدّدة الصلاحيات. وتبدو الصلاحيات في الجماعة المنظمة بمثابة بنية دائمة من الوزائع والضغوط التي تمارس على الأفراد ليظلّوا مستقيمين ومنتجين.

. . . وتميل الجماعة في ظل البنية هذه إلى التحوّل إلى مؤسسة، منشأة، بنية جماعية بحيث تناط السلطة بطرف ثالث له الصلاحية في أن يفرض أحكامها ليؤمّن لحمة الوحدات المتميّزة.

وبقدر ما تتميّز مهامها وتحكم أنظمتها تتحوّل بنية الجماعة من بنية جماعية إلى بنية جمعية مؤسّسية structure collective، وهكذا تتحوّل الجماعة ولو بعد حين إلى مجموعة collectif.

ويبرز فهمنا للجماعة في مرتبة الظاهرة الأواليات النفسية الواعية مثل الإدراك والذاكرة والتفكّر وكافة الإنفعالات العاطفية المشتركة، أما على مستوى الباطن فنفهم آلية الجماعة بتبيين التخيّلات والموهمات والهواجس، وتصوّراتها المشتركة هي تصوّرات لا واعية:

تبدو الجماعة في مقام الباطن في مثابة ترويج للصور أو التصوّرات اللاواعية التي تحرّك رابطة الأفراد فيما بينهم وارتباطهم في نصاب القيادة،

وتعتبر ظاهراً بمثابة متكثّر من العلاقات الشخصية المتبادلة تتكوّن انطلاقاً من هدف مشترك يسمح جزئيّاً بإشباع الحاجات الفردية.

أما الجماعات الصغيرة فقد أصبحت وحدات هيكلية ذات أهمية كبيرة في كل الإتجاهات والأساليب الحديثة للمخطّطات التنظيمية.

واعتبرت كلمة مجموعة مصدر إزعاج بالنسبة للمديرين في المؤسّسات التي تتميّز بالهيمنة والرقابة الدقيقة لأنّ ذلك يعني التدخّل في العمل (كالنقابات) ومن الصعب القضاء عليها (كمجموعات وقت الغذاء ومجموعات بعد العمل) والخوف منها هو خوف من التحريض ضد الثبات والشكوى وزرع بذور الإستياء والمقاومة.

لذا فإنّ التوجّه الحالي في الإدارة يتركّز في التعامل مع هذه المجموعات الصغيرة والعمل على تقدير قوّتها الإنتاجية خاصة وإنها تتميّز عكس علاقات أعضاء الإدارة بالدفء والحميمية مقابل عدم ثقة وخشية وشكوك.

ويمكن أن يكون المنطق الذي يحكم العلاقات بين الجماعات الكبيرة والصغيرة هو منطق التجاذب ما بين منطق السلطة وعواطف الجماهير[1].

3 ـ الأدوار والمراكز:

هما مفهومان جوهريان لفهم تصرّفات الفرد خاصة في البنية التنظيمية للمؤسسة من خلال موقع الفرد ودوره في التنظيم المؤسّسي (أعضاء وقياديين). أن الموقع هو مرتبة في بنية الجماعة وفي أحوالها. ويمكن بواسطة التدريب أو بقدرة الشخص نفسه أن يتغيّر موقعه.

ولكل موقع دور، والدور هو الوجه الدينامي من البنية الإجتماعية، إنّه النشاط الذي يقوم به الشخص وفق الموقع الذي تحيله في الجماعة أو في مخطّط المؤسّسة التنظيمي.

ويمكن لصاحب نفس الموقع أن يتّخذ أدواراً عدة أخرى إلى جانب دوره الرئيسي.

على هذه الأدوار ألا تكن متناحرة أو متنازعة استناداً إلى قول Hogue الذي صاغ نموذجاً يفيد في فهم كيفية تعلّم الفرد للإطلاع بالأدوار التي تتفرّع من الموقع الذي تحيله في جماعة أو مؤسّسة معنية. إنّ العلاقة متبادلة بين الفرد والمؤسّسة وهي ليست خارجة عن مكوّنات نشاطها الإجتماعي.

نظرية الدور الإجتماعي: يخضع الأفراد الذين يكوّنون أي مجتمع إلى تنظيمات معيّنة تحدّد مكانتهم أو مراكزهم في هذه التنظيمات. وكل فرد راشد يحتل أكثر من مركز بالنسبة للتنظيمات الإجتماعية التي يمثّلها والأدوار التي يقوم بها حسب مركزه في كل منها. فالرجل العادي يشغل أكثر من مركز في مجتمعه، فهو أب وزوج وهو قريب لأفراد عديدين وهو يشغل وظيفة معيّنة

(1) من الجماعة، السلطة والإتصال لهوغ، مجد ـ بيروت 1991.

وهو صديق لأشخاص معيّنين وهو عضو في ناد أو في منظّمة ما وهكذا. وكذلك المرأة فإنّها تشغل أكثر من مركز إجتماعي فقد تكون زوجة وأم وقد تكون موظّفة في عمل ما وصديقة لأفراد مختلفين وقريبة لآخرين وعضوة في إحدى المؤسّسات الإجتماعية وهكذا.

إنّ الأوضاع التي يتّخذها الأشخاص في المجتمع كلّ إزاء الآخر، والنسق الإجتماعي من هذه الزاوية يمكن أن نعتبره مجموعة متسلسلة من الأوضاع المحدّدة التي تربط جميع أعضاء المجتمع.

وللمركز ناحية خاصة وناحية عامة أيضاً، فيظهر العنصر الخاص للمركز في العلاقات المباشرة التي تكون تقوم بين الأشخاص مثل علاقة الابن بالأب أو الرئيس بمرؤوسيه وهكذا... أمّا المراكز العامة فإنّها تشير إلى الفكرة التي تقع وراء العلاقات في النسق الإجتماعي ككل.

من كل ما تقدّم يتّضح أنّ السلوك الإجتماعي عند الفرد يتكوّن نتيجة عوامل كثيرة متداخلة ممّا يستحيل معها إرجاع سلوك معيّن أو اتجاه أو قيمة معيّنة إلى عامل واحد أو إلى عدد بسيط من العوامل وإن يكن عامل واحد أو بضع عوامل أكثر اثراً في بعض الأحيان من غيرها من العوامل. فلا نستطيع مثلاً إرجاع اتجاه فرد معيّن إلى طبقة إجتماعية معيّنة ونقف عند هذا الحدث لأنّنا عندئذ لا نستطيع أن نفسّر اختلاف أفراد الطبقة الواحدة في القيم وبنفس الطريقة لا يمكننا إرجاع اتجاه الفرد إلى المهنة فقط أو الوراثة فقط...

4 ـ المحيط

وكما يراها ليفيت leavitt تتفاعل وتتأثر بعضها ببعض لتصبح الالماسة الحقيقية المعبّرة عن أهمية ترابط عناصرها ليعطوها كامل قيمتها لأنّ أي تفكّك بينها يختزل القيمة الحقيقية لها. فالمؤسّسة إذاً كالماسة تحتاج إلى تكامل العناصر لتصبح ذات قيمة حقيقية وليسهل بعد ذلك تصنيفها. والمقصود بما قلناه سابقاً أنّنا عندما نصنّف المؤسّسات يجب الا نغفل ركائز المؤسسات الأربعة في أي عملية تصنيفية. ولكي يأتي التصنيف واقعياً نريد أن نحدّد المتغيّر Variable أو المتغيّرات Variables التي يمكن على أساسها أن تتمّ عملية التصنيف:

- مؤسسات كبيرة الحجم

- مؤسسات صغيرة الحجم

5 ـ القيادة:

وتتعلّق بتحفيز الآخرين للعمل على تحقيق الأهداف، وأيضاً بالرقابة، وضبط النشاطات وتقريبها باتجاه الأهداف. وهما أمران لا يمكننا أن يحصلا إلا عبر عملين التنظيم والتخطيط.

5 ـ 1. الرواد والقادة داخل المؤسّسات والمناخ الملائم:

يبدو أنّ التكيّف والإمتثال يعدّان من المتطلّبات الأساسية الملازمة للحياة التنظيمية، فعندما نرجع للوراء، الخمسينات نجد الكثيرين من المراقبين للإدارة الأميركيةكانوا قلقين من الضغوط التنظيمية تجاه التكيف والخضوع وما صاحب ذلك من فقدان لروح المبادرة الفردية التي هدّدتها الضغوط حتى أصبح تعبير «رجل التنظيم» Organization Man في تلك الأيام صنعة ولقباً. والآن نجد الشدة والتوتر بين الفردية والضغوط التنظيمية نحو الإمتثال والتكيّف تحيلان مركز الصدارة مرة أخرى.

ونتناول بالبحث هنا، كيف يمكن للأفراد ليبتكروا داخل جدران تنظيمية عالية سميكة وفي إطار مفهوم التعامل مع الأعلى منزلة والأرفع مكاناً؟ ما هي حدود العلاقة بين القيادة والإبداع، بين المشاركة والديموقراطية وبين الديموقراطية والإستبداد؟

1 ـ تتطلب المؤسّسات السياسية من أعضائها ليس فقط التكيف بل الإمتثال أيضاً. فطرح الأفكار على الرؤساء بحاجة إلى كسر للقيود والحصول على موعد معهم هو من أصعب الإنجازات فيكون مقابل ذلك الهم الأساسي الوصول إليهم ومعرفة كيفية إيصال الأفكار إليهم ولا يكون ذلك دائماً عبر سلوك إيجابي بل ربما سلك مسلك التكتّل المواجه والتحالفات أو الشائعات لمحاربة ما سبق وسمي «مواجهة التعامل مع الطغاة»[1].

---

(1) عثمان فراج: الشخصية والصحة النفسية ـ مصدر سبق ذكره.

وفي كل هذه الأحوال فإنّ الكل يسعى على الأقل على المستوى الظاهري وعبر آلية الجماعة وديناميتها المحافظة على علاقة إيجابية مع السلطة حتى في الأوقات العصبية حفاظاً على استمرارية موقع ومن ثم دور ما وعدم فقدانه. وهذا ما يتطلّب من القائد (السياسي) قدرة على إدارة الصراعات. . .

5 ـ 2. إدارة الصراعات

للحصول على إدارة بارعة للصراع اليومي في المؤسّسات، لا يكفي التقاط الشعارات بكيفية ضبط الأزمة ومقاسمتها، بل وجب التعرّف بداية للوصول إلى ذاك الهدف على:

1 ـ أهمية علم النفس والحاجة إليه

2 ـ الدوافع كموجهات للسلوك

3 ـ مفهوم الريادة

في كل حالات الإنجاز الإداري تكون النواحي العاطفية الإنسانية هي الجوهر الذي ينطلق منه التغيّر، كما أنّ هؤلاء المنتمين لحرف ولمهن في إطار الإنجاز المؤسّساتي إنّما هم أفراد يفكّر كل واحد منهم على أساس فردي بداية وليس جماعياً. إنهم حقيقة ملموسة: لهم أسماء وأشكال وشخصيات وخصوصات فردية: إنهم ليسوا بأرقام أو بمجاميع أو مجرد عاملين، وهم أيضاً ليسوا أداة لحل المشاكل وهناك مجموعة من المهن التي تحاول تغيير أسلوب الناس أو استخدام التأثيرات العاطفية وسيلة لإنجاز ما يريدونه وهي إذا طرق وأساليب عاطفية بالدرجة الأولى، لا تجد طريقاً لدراستها أو للوصول إليها أو حتى لدراستها أهم من طريق علم النفس الذي يعمل جاهداً على درس الفرد وسلوك الفرد في وضعية معينة وفي تأثير مجتمعي معيّن. ويستلهم حالياً منظرو الإدارة نظرياتهم وأفكارهم من ميدان علم النفس الإجتماعي.

وإذا ما احتاجت العملية المؤسّساتية / السياسية إلى علم النفس فإنّ العملية ذاتها تفترض ألا تقتصر وضمن هذا الإطار الشمولي على مستوى الإنجاز فقط بل يجب أن تتضمّن معالجة المشكلات وحلّها. . . والمديرون يجب أن ينظّموا ويخطّطوا ويتّخذوا القرارات (من منظور حاجة فعلية لا تهمل

الجانب النفسي لها إطلاقاً: ومن جديد يظهر المتغيّر النفسي نظراً لأهمّيته). القيادة الواعية تحتاج إلى سعة المدارك والقدرة على إنجاز الأعمال من خلال الأفراد. . .

ويعني التعرّض للمشكلات المعقدة غير المرتبة ولنقل في كثير من الأحيان المستجدة وغير والمحددة بوضوح، الإدارة حيث تقع مسؤولية تحويلها لنماذج مرتبة ومنظمة وذلك عبر:

1 ـ فهم الواقع المحيط ودراسته

2 ـ فهم الأفراد

3 ـ اتّخاذ القرارات المنطقية

4 ـ الوعي في تقسيم الموارد والوضعيات

5 ـ تحويل الأشياء المشوشة إلى نظام مرتب قابل للتطبيق

نستنتج أن على القائد أن يكون مفكّراً ملمّاً بالعلوم النفسية وأيضاً مرشداً يحل المشاكل على أنواعها كما ينتظر منه الجميع تبعاً للمركز الذي تحيله أنّه ليس بمدير فحسب بل هو رائد يتقدم الجماعة ويملك صفات ومميّزات فارقة.

ففي عالمنا التكنولوجي السريع والمتغيّر لا يستطيع القائد استخدام منطق العزل أو العزلة الذي يحول دون حيوية وقدرة الحياة والتطوّر،

نستنتج أهمية مفاهيم المشاركة والتجديد والإبتكار مع الجميع، مع الكثرة وليس مع القلة.

إن أسلوب العزلة يعد أسلوباً غير كفؤ في استخدام المهارات الإنسانية البارزة التي تجد صعوبة جمة في العثور عليها وتعينها، وهو أسلوب يقتل النزعة الطبيعية للتطوّر وللوصول، وهي نزعة غالباً ما لا تظهر بوضوح لدى جميع الأفراد بل وجب التفتيش عنها عبر مؤشّرات واستخدامها، إذ وجب التعامل مع الأفراد كالمقولة التربوية التي تتعامل مع الأطفال إنهم كلهم دون استثناء حالات خاصة وجب التعاطي مع كل منها لاستخراجها، وهناك مؤسّسات

تتّجه إلى اعتبار كل «واحد زائد». . . وهو قول رغم صحته قابل للنقاش بالطبع وربما كانت صفات الصبر والتؤده صفات ريادية أكثر منها عامة أي لا يمكن أن تنطبق على الأفراد، أفراد المؤسّسة مثلما يمكن أن تنطبق على القائد، ممّا يطرح مسائل الوضوح والصراحة قيد التساؤل فهل يعبّر بوضوح عن مكوناتنا؟ الجواب يجب أن يخضع لدراسة منطقة للوضعية التي تحكم.

5 ـ 3. البراعة في حل المشكلات:

يتطلّب حل المشكلات التحليل يعني الإستنتاج والحجة والمنطق لينظم معلوماته وليتعرف على ماهية المشكلات يعني أن هذه البراعة تدور حول التخطيط والتنسيق وليس فقط الإكتفاء ببراعة الأرقام والحساب والبيانات المكتوبة. ويمكن القول أن كل المهن الإدارية تحتاج مستويات عالية من المهارات التحليلية وتستلزم استخدام المنطق والثبات والنظام والترتيب.

ويبتعد مفهوم حل المشكلات عن التوجه العاطفي الإنفعالي بل يمكن القول أنّه من جهة أخرى يستوعبه، يدخله في الإدارة دون أن يتملك منه ويسيطر عليه إذ نضيف مفاهيم: الخبرة ـ الحكمة ـ الحنكة ـ الإدراك ـ الفهم السليم.

عليه تصبح النقطة الرئيسة التي تدور حولها الريادة هي المهمة والرسالة، أي يعني أنّه يجب على عملية الإتصال أن تتركّز على رسالة من قائد مثالي، مبدع ومؤثّر. فالريادة ومع مفهوم حقوق الإنسان والمساواة بين البشر وتكافؤ الفرص تأخذ طابعاً آخراً ربما كان تنافساً لإظهار القدرات وليس لخلق التفاوت وليس إصلاحياً كاقتصار الريادة على أشخاص معنيّين فقط كالمصلحين أو الأنبياء أو غيرهم.

5 ـ 4. بعض النماذج لقادة سياسيين:

تظهر من آن لآخر شخصيات نادرة وفذة تترك بصماتها في التاريخ يتميّز أصحابها إلى حد كبير كروّاد أو حلّالي مشكلات أو منقذين. . . ونجدهم بارزين ومعروفين بمهاراتهم القيادية.

لذلك فمن المستحسن أن نتعرّف على بعض هؤلاء الأشخاص البارزين

المعروفين للأميريكيين حتى نتمكّن من رسم صورة أوضح للإختلافات داخل مجتمعاتنا، وهو شق سنستدل عليه من نصوص وفقرات لاحقة. . .

فمن، على سبيل المثال، الشخص المعروف للأميريكيين من بين الشخصيات العامة الذي اشتهر كمنجز متميّز؟ ومن هو الشخص البارز من بين حلال المشكلات؟ ومن الشخص الذي اشتهر بريادته؟ (هارولد ليفت ـ الإدارة الرائدة ـ شركة المكتبات الكويتية المحدودة ـ 1978 ـ الكويت).

من المؤكّد أنّ المرشّح المثالي للمنجز هو ليندن جونسون. . . فالإنجاز يمكن أن يتمّ بطرق متعدّدة ولكنّ جونسون كانت له طريقته الخاصة. . . وقد برع فيها وأصبح المحور الرئيسي لأسلوبه الإداري الذي يمكن استخدامه كمثال ممتاز للإنجاز. . .

وإذا نظر إلى جونسون بوصفه رئيساً للدولة فإنّ معظم المراقبين لا يعتقدون بأنّ جونسون كان متوقّد الذكاء حلال المشكلات من رقم (2) وليس بارزاً كمخطّط. . . كما أنّهم لا يعدّونه من رقم (1) رائداً عظيماً ذا تخيّل ورؤيا بدليل فشله في تحقيق رسالته التي نادى بها بخلق المجتمع العظيم Great Society.

وربما يعود فشله إلى أنّ معظم الأميركيين لم يكونوا متأكّدين من أنّه حقاً يؤمن بما يقول أو يعنيه.

ولكنّهم سوف يذكرون جونسون دائماً بوصفه من الطراز الأول. . . فمهاراته في ليّ الذراع أو الضرب على وتر الذات والغرور مع أعضاء الكونغرس كانت أسطورية. . . كما كانت له مقدرة في خلع الجشع مع الحب والخوف والكلام العاطفي حتى يحصل على ما يريد. . . وكان قادراً على استخدام الحلول الوسطى والمفاوضة على الحلول القابلة للتنفيذ. . . ومن ناحية أخرى فإنّه كان مخطّطاً ممتازاً أيضاً فقد كان يعدّ نفسه إعداداً كاملاً قبل أن يتحدّث إلى الأشخاص الذين يريد أن يؤثّر فيهم. . . فيحاول أن يعرف كل شيء عن حياتهم. . . وأطفالهم. . . وحبيباتهم وهواياتهم. . . ومشكلاتهم ثم يستخدم أي (تكتيك) يحتاج إليه ليحصل على ما يريد. وبالتالي ينجز الأشياء من خلال الناس.

والقصص الكثيرة التي تحكي عن أيام رئاسته تعكس هذه الخواص. . . فالفقرات المقتبسة عن جونسون كانت لها واقعية وأحياناً فظة. . . وإحدى الفقرات المشهورة عنه يقول فيها:

«لا تبصق في طبق الحساء (الشوربة) لأنّنا كلّنا لا بد أن نأكل منه».

«Don't spit in the sup, we all have to cat».

وفي مناسبة أخرى يحكي أن أحد مساعديه سأله «سيّدي الرئيس. . . لماذا توطّد علاقتك جدّاً مع السيد جو سميس الذي كان دائماً من أعدائك؟ وقد حاول لسنين طويلة أن يحطّمك. . . والآن يبدو أنك تكون متحالفاً معه؟ وقد ردّ عليه الرئيس جونسون (كما تقول الرواية) بقوله: «إنه من الأفضل أن أجعله داخل الخيمة ملقياً بقاذوراته إلى الخارج بدلاً من تركه خارجها ملقياً بقاذوراته داخلها.

وليس هناك رجل دولة يعجب باستخدام مثل هذه اللغة أو يفضّلها. . . كما أنّ مثل هذه الفقرة المنسوبة إلى جونسون لن تعتبر من الفقرات العظيمة. . . ولكن هذه الفقرات تعكس طريقة جونسون الواقعية في عمل ما يجب عمله لإنجاز ما يريده. . . كما أنّها بالتوكيد توضّح إدراكه لوثوق صلة العواطف البشرية بعملية الإنجاز. . . وإجمالاً فإنّ مثل هذه الفقرات تبرز خاصّتين أساسيّتين للطريقة النموذجية للمنجز الممتاز وهما: الإنتباه لدور النواحي العاطفية، والإهتمام بالفرد.

وبعد بعض من التردّد يمكن أن نضيف مقولة أخرى نسبت (حقاً أو باطلاً) إلى الرئيس جونسون إذ أنّها تستحق الذكر، لأنها تعكس بوضوح إيمان جونسون بأنّ الإنجاز هو الشيء الحقيقي الذي يجب أن يعتدّ به. وهذا مضمون المقولة: «عندما تمسك بهم في مواقف حرجة (مذلّة) فإنّ قلوبهم وعقولهم ستصبح تابعة حالاً». ومن الممكن أن تقرأ هذه المقولة على النحو التالي: «إذا كان من الممكن أن تصطاد catch الناس أو تمسك بهم من موقع عواطفهم (رقم 3) فإنّ المنطق أو العقلانية (رقم 2) كذلك قيمهم (رقم 1) سوف تتكيّف لتطابق وتتلاءم معاً». وعلى أساس هذه الأيديولوجية الساخرة، فإنّ العاطفية تطغي على كل من المنطق والفضيلة (والإنسجام مع المثل

الأخلاقية العليا) ولأن ظهر تطبيق جونسون لهذه الأيديولوجية كأنّه تلاعب أو مناورة إلا أنّ الأيديولوجية في حد ذاتها تفسّر الأسلوب الذي يتبعه عدد كبير أخر من المنجزين. . .

ليس من الصعب أن تجد أمثلة أخرى للمنجزين الممتازين. . . فخلال الحرب العالمية الثانية كان الجنرال جورج باتون مثالاً صارخاً متوهّجاً فقد كان يعلّق على جانبيه مسدسيه ذوي المقبضين اللؤلؤتين وهو يقود قوّاته وجنوده للحرب. . . ومثال آخر الرئيس رونالد ريغان الذي يتمتّع بمهارة فائقة في التأثير الإجتماعي من خلال براعته في استخدام وسائل الإعلام والمواجهة المباشرة مع أعضاء الكونغرس. ولعل أكبر دليل على ذلك هو نجاحه ـ في أول فترة رئاسته الأولى ـ في الحصول على موافقة الكونغرس على صفقة الطائرات الأواكس للملكة العربية السعودية. . . بعد أن تنبأ كل المعلّقين السياسيّين بأنّه سوف يفشل في إقناع أعضاء الكونغرس بذلك، وقد عزّت الصحف هذا الناجح إلى جاذبيته الشخصية التي ساعدت في تغيير التصويت لصالحه. . . وبالمناسبة: هل كان هناك أية مهمة أو رسالة من (رقم 1) مرتبطة بهذه الصفقة؟ أو هل كان أي كم هذه الصفقة جزءاً من مخطّط عظيم (2)؟ من الواضح أن معظم المراقبين يشعرون في هذه الحالة بالذات أن رقم (3) أي عملية الإنجاز، هي التي حقّقت المطلوب. . .

ألا يجب أن يكون أياكوكا Iacocco على أي قائمة لكبار المنجزين الإداريين المعاصرين؟ فهو قد يكون كفوءاً في رقم (1) الريادة وأيضاً في رقم (2) ـ حل المشكلات ولكن أسلوبه الشخصي الدمث في الإنجاز واستغلاله الفعال للنواحي العاطفية في العملية الإدارية يُعدّ شيئاً رائعاً وفوق العادة. . .

من المحتمل أن يستطيع كل منّا إعداد قائمته الخاصة عن المنجزين الذين عرفناهم بداية من مدرس معين قدم لنا النصح والتوجيه. . . إلى التكتيكي الواعي في المؤسسة، الذي عرف دائماً متى يدفع ومتى يراجع. . . إلى مندوب المبيعات البارع الذي نجح بطريقة أو بأخرى في عقد بعض الصفقات البيعية المستحيلة. . . إلى هذا المفاوض الذي يبدو أنه قادر دوماً على الحصول على اتفاق أحسن مما يمكن أن يحقّقه أي شخص آخر.

وإذا كان جونسون يصلح كنموذج متطرّف للمنجز الماهر فمن يكون مشابهاً على نفس المستوى لنموذج حلال المشكلات البارز. . . مثال العقلانية والذكاء والتحليل؟ الشخص الذي يستطيع أن يتخلّص من المشكلات المعقّدة جداً بتحليلها إلى عناصرها الرئيسية ثم يعيد تجميع هذه العناصر في شكل نموذج واضح مرتب ومنظم يمكن تطبيقه والتحكّم فيه؟ أينطبق ذلك على نائب الرئيس للشؤون المالية في شركتك؟ أم ينطبق على رئيسك المهندس الصناعي؟ ألا ينطبق ذلك على دافيد ستوكمان الذي كان مديراً لمكتب «إدارة الميزانيات بالولايات المتحدة في عهد رئاسة ريغان الأولى»؟

ولعلّ إحدى الشخصيات العامة التي ينطبق عليها هذا الوصف تماماً كان روبرت ماكنمارا طوال مدة تقلّده وزير الدفاع في الولايات المتحدة الأميركية خلال الستينات. . . لأنّه عندما أصبح بعد ذلك مديراً للبنك الدولي فإن طريقته اختلفت إلى حد ما عما كانت عليه وهو وزير للدفاع. فقد صار ليّن العريكة بفضل السن والخبرة. . . ولقد حاز ماكنمارا إعجاب وتقدير الكثيرين من معاصريه في هذه الفترة الأولى. . . وبعكس القصص التي تحكى عن الرئيس جونسون(الذي كان ماكنمارا وزيراً تحت رئاسته). . . فإنّ القصص التي تحكى عن ماكنمارا تعكس تمام المنزلة الرفيعة والخصائص التي يتمتّع بها أصحاب رقم (2)، وهاك إحدى هذه القصص:

كان ماكنمارا يحضر شرحاً استخدم فيه المحاضر كثيراً من الشرائح الزجاجية في الفانوس السحري slides والخرائط والرسوم البيانية والأرقام. . . وعندما وصل إلى الشريحة رقم .105. استوقفه ماكنمارا قائلاً «إنّ الشريحة رقم 105 تناقض الشريحة رقم 6»، ومن المدهش انّه كان على صواب مما جعل جميع الحاضرين ينبهرون بقدرته الفائقة على تنظيم ومتابعة وفهم هذه الكمية الكبيرة من المعلومات. . . وما زال بعض الاشخاص المحنّكين في واشنطن يعدّون ماكنمارا أحسن من عمل في الحكومة في زمانه ودائماً ينوّهون ويشيدون بخصائصه العقلية التحليلية الحازمة كعالم أساسي. . .

ورغم ذلك، وعلى الأقل كما تحكي الروايات، فإن ماكنمارا خلال فترة عمله وزيراً للدفاع لم ينجح في تطبيق قراراته بالقدر الذي نجح فيه في وضع هذه

القرارات. . . ومن المنتظر أن لا تصوّره كتب التاريخ كإنسان بعيد الرؤيا والنظر. . .

وهناك أناس من القدامى في واشنطن يغضبون ويثورون عند ذكر اسمه وعندما يبدأون ليفسّروا سر غضبهم نسمع منهم دائماً الشكوى من انه حاول أن يسيطرعلى كل شيء وأن يقلّل من استقلالية الآخرين. . . ولذلك فإنّ أعضاء الكونغرس في واشنطن الذين حاربوا في فيتنام، وكذلك بعض أعضاء الكونغرس في واشنطن الذين يمكن وصفهم أنهم من رقم (3) منجزون جيّدون، ينظرون إلى ماكنمارا كالدخيل الذي تعدّى على اختصاصاتهم وأنه نجح في مقاومة القيود التي وضعها العسكريون بعناية في البنتاغون (وزارة الدفاع الأميركية).

وعلى الرغم من أنّ من الصعب التعرف على المديرين القدامى الذين يمثلون الصورة المتطرفة لرقم (2) في أواخر الثمانينات إلا أنّ أمثال هؤلاء المديرين كانوا أقل ندرة في الستينات والسبعينات. . . في تلك السنوات كان ينظر إلى أمثال روي أش Roy Ash في شركة ليتون، وهارولد جنين Harold Geneen في شركة ITT على أنّهم النموذج المثالي للمدخرين الذين يتصفون بالحزم والذكاء والترتيب والعقلانية الهادئة. . .

وقد اشتهرت هيئات الإستشارات التحليلية التي منها Rand Corporation في تلك السنوات أيضاً. . . كما أنّ مجموعات تخطيطية تحليلية صغيرة تمكّنت من أن تقوم بدور قوي في فرنسا على هذا الصعيد. . . وأيضاً خلال تلك الفترة ظهر التصور العقلي لخريجي برامج الماجستير في إدارة الأعمال على أنّهم يجب أن يكونوا محلّلين عقلانيين غير عاطفيين. . . وأصبح هذا التصور شائعاً، مما أدّى إلى ازدياد أعداد حملة الماجستير وتكاثر عدد كلّيات إدارة الأعمال التي تقدّم لهم البرامج وتخرّجهم. . . وتتميّز فترة الستينات والسبعينات بأنها السنوات التي تضخّم فيها عدد العاملين بالشركات تضخّماً كبيراً وجابت فيها الشركات الدولية الكبيرة Conglomerates جميع أنحاء العالم. . .

وعبر التاريخ الإنساني ظهرت أمثلة كثيرة لاصحاب رقم (1) ـ

الرواد. . . ويتضمّن ذلك شخصيات دينية عظيمة كالأنبياء: كعيسى وكمحمد. . . كما يتضمّن زعماء دول كالماهاتما غاندي، فلاديمير لينين، وشارل ديغول، ولي كوان يو، ورواد في العلوم والمهن مثل فلورنس نايتنجيل وسيجمند فرويد.

وهناك أيضاً شخصيات أقل جاذبية، ولكنها تظهر على قائمة الرواد مثل أدولف هيتلر، ونابوليون بونابارت. . . ولكن مرشّحي المفضّل ليكون على رأس قائمة الرواد المعاصرين هو دكتور مارتين لوثر كينغ الإبن وشعاره الشهير I have a dream إنّ لدي حلماً (سوف يتحقّق) هو شعار يعبّر تماماً عن معنى الريادة والتخيّل ويجب أن يعد دكتور كينغ من المنجزين المشهورين أيضاً لأنّه جذب إليه المريدين والانصار الذين أتوا إليه من كل صوب وحدب، ليحوّلوا حلمه إلى حقيقة وقد نجح في تغيير السلوك بالوسائل العاطفية مع أنّه استخدم أسلوباً مختلفاً عن أسلوب الرئيس جونسون.

لنطبّق ذلك عملياً بأن نتخيّل كيف يختلف روبرت ماكنمارا والرئيس جونسون في طريقتهما لمعالجة مشكلة التميز العنصري في امريكا مثلاً عن دكتور كينغ مع افتراضنا أنّ عندهما نفس نواياه أما ماكنمارا فسوف يعد استراتيجية عظمى. . . أليس كذلك ومن المؤكّد أنّه سوف يدرس كل شيء متعلّق بالموضوع ويجمع كل البيانات اللازمة ثم يحلّلها ويضع الخطط المساندة أو البديلة ويقوم بإداء العمل على أساس علمي ومهني ينال الإعجاب. . .

مهما يكن، فإنّ السلوك السياسي مهما ارتبط بسلوك الزعيم وبصورته ومهما كانت النماذج المعروضة تعبّر عن واقع غربي، ولا يتّسع المجال لعرض مثيلاته عن الواقع العربي وهو متنوّع، إلا أنه وعطفاً على ما جاء في مقدّمتنا، فإنّ ضعف القوة في السلوك السياسي يكمن في السلوك السياسي العام عبر تهميش دور المثقف وعدم احتوائه وعدم إشراكه في وضع حلول لمكامن الضعف المجتمعية، فالمثقّف هو ليس فقط أكاديمي البديهة بل هو سياسي البديهة وبإمكانه الإمساك بخيوط التجاذب ورصد النرجسية التي لا تؤدّي إلا إلى الضعف. . .

إنّ ذلك لا يتحقّق إلا بالمزاوجة بين المعالجة (المشاكل) وبين الإنجاز والتطبيق. . .

5 ـ العنف في التفسير الديني

ويمكن القول أن العالم قد مرّ ولا يزال يمر بتوجّه أصولي في الفكر والحياة عبر تكريس نزعة في العودة إلى الدين، والكثير يعتقد بأنّ موجات العولمة تدفع بالأصولية العرقية والمذهبية للظهور على الساحة العالمية نتيجة الفشل المتكرّر للتيارات النهضوية وفي تأمين حماية «الذات من التعدّيات الآتية من الخارج، والتي أصبحت تأخذ أشكالاً عسكرية خطيرة: من حملة نابوليون بونابارت عام 1798 إلى غزو كل من إنكلترا وفرنسا ديار العرب وفرض الإنتداب عليها، إلى قيام الكيان الصهيوني بالعنف وطرد إخواننا الفلسطينيين من اراضيهم»... وصولاً إلى ما هي الحال عليه في العراق. كل هذا أدّى إلى بروز الأصولية فهي تستند على التعصّب والتشنّج الديني الذي ترفضه الأديان بروحيّتها... والأصولية تشذ نفسياً وثقافياً عن الإعتدال فيعيش أفرادها تمزّق الهوية والصراع الداخلي الناجم عن الصراع الخارجي بين الشرق والغرب... وهي أصولية لا تسعى إلى تغيير الأوضاع المأسوية التي تمرّ بها مجتمعاتنا بل على العكس تزيد من حدّتها (النهار 28/ 4/ 2004، نقلاً عن أديب صعب في كتابه وحدة في التنوع والذي يناقشه جورج قرم باعتباره الأصولية كشذوذ نفسي) مما يدعونا إلى مناقشة ضرورة التعمّق في الفرق بين وجود الله وتوق الإنسان إلى بعد ما ورائي في حياته.

في العنف الديني، كجزء من التعصّب الجارف ينظر إلى الدين عبر صنف طائفي واحد على الرغم من الإدعاء بتناول جميع القضايا العالقة والتي تهمّ الكل... والنتيجة مسيرة احتكارية بصيغة طائفية ترصد الشعارات ضد الغرب بالمطلق دون أي حسّ نقدي...

إنّ أنماط التقوقع الديني تسبّبت بتكوين أفكار خاطئة تجاه الآخر ونظرة سطحية له نتيجة التربية المنحازة؛ ولبنان هو المثل الأسهل بهذا الصدد إذا التقى الفكر الديني بالفكر السياسي ممّا أثّر على الإتجاهات الفردية، إذ أنه لكل ديانة شعائر وعبادات وممارسات خاصة تدعو إلى عبادة الله الواحد... إلا أنّ

سوء التربية وتدخّل السياسة في كافة الشؤون وصولاً إلى الدين كان السبب في تكوين أفكار خاطئة عن الآخر.

إنّ القرآن الكريم قد فضّل الإنسان على سائر المخلوقات. إلا أن ما يحصل هو بعيد كل البعد عن التعاليم الدينية، ويترك الحجة لمحاربة العنف بالعنف. وفي كل الأحوال إنّ القتل باسم الدين هو مظهر من مظاهر العنف المضاد الذي تلجأ إليه جماعات ترى أن الدين هو ملجؤها الذي يمكن أن يتضمَن بعض الأدبيات القابلة للتأويل بغية تعبئة الجماعة وتماسكها وإضفاء الشرعية على مقاصدها وأهدافها... تبعاً لما جاء به السيد محمد حسن الامين في كتاباته...

مما لا شك فيه ضرورة رفع الغطاء الديني عن السلوك العنفي وبكشف وفضح الأسباب المؤدّية إليه والتي تتمثّل في العنف الأصلي الذي تمارسه الدول الكبرى لا سيما تجاه الدول الأضعف.

ويبقى الدين هو مصدر القيم الحية الدينامية التي يجب من حيث المبدأ أن تتعايش وأن تعبّر عن الواقع...

استناداً إلى مقابلات مع قضاة في المحاكم الشرعية، نورد النقاط التالية:

6 ـ 1. لا يوجد في الدين الإسلامي مرادف لعبارة «عنف»، بل يوجد ما يقابلها في دينامية الحياة الأسرية وهذا ما يرتبط عادةً بحالات النشوز من قبل أحد الزوجين، فيحدّد الدين نشوز كل فرد بحسب واجباته الزوجية المكلّف بها، إذ يختلف المعنى بحسب اختلاف الواجبات: فالحق ينتج عنه واجب. ومن واجبات المرأة تجاه زوجها: الطاعة خاصة لأنّه هو المسؤول المادي والمعنوي عنها وعن كافة أفراد الأسرة...

6 ـ 2. يشير القرآن الكريم إلى الحياة الزوجية فيصفها بالسكون «إنّا اخترنا لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها». وهو وصف لا يمكن أن يبيح لنا الإستهتار بهذه الحياة بل باحترام قواعدها وسلوكيّاتها.

6 ـ 3. طالما إنّ الطاعة واجبة على الزوجة لزوجها فإنّ حقوقها واضحة ضمن الحدود والشروط المقبولة: أن ينفق عليها

وأن يحسن معاشرتها ومعاملتها بالمعروف: حُسن المساكنة.

ويمنع الإسلام شتم المرأة، وضربها، وهو أمر لا يجب اللجوء إليه إلا في حال فقدان الوسائل الأخرى وعبر حالات محدّدة شرط عدم الإيذاء، وذلك بهدف التأديب (مثلاً تأديب الأطفال دون تسبب الأذى) أمّا في حال تعرّض المرأة للعنف المعنوي والجسدي والإقتصادي (وجوب الإنفاق المادي) فإنّها يمكن أن تلجأ للمحكمة بحجة سوء المعاشرة والمعاملة فينظر القاضي بأمرها ويصلح ذات البين إلا في حال الإستحالة المطلقة (طلاق الحاكم الشرعي). إلا أنّه وفي أغلب الأحوال فإنّ المرأة عموماً هي التي تقبل بالتسوية كطرف أضعف ومظلوم.

6 ـ 4. أهمية الفارق العمري لصالح الرجل الذي يجب أن يحيط زوجته بالرعاية وبالحنان، عكس الأمر عندما يقترب منها في العمر فيصبح ذلك عاملاً للإختلاف وللتباين.

6 ـ 5. يشكّل الوضع الإقتصادي عائقاً بين الرجل والمرأة وأيضاً الفارق في المستوى التعليمي والإجتماعي، حيث أنّ أكثر الخلافات الزوجية تتركّز في الأسر التي تنحدر بدورها من أسر عانت تفكّكاً عائلياً سابقاً. كما أنّ الزواج المختلط يمكن أن يكون عاملاً حاسماً في الطلاق.

6 ـ 6. للحصول على الطلاق، يجب أن تتأكّد المحكمة أولاً من الشكوى (من أحد الزوجين) وثانياً من الحدث العنفي وثالثاً بدرس حضانة الأولاد تبعاً للفقه، بحيث أنّ القاضي يمكنه التدخّل في حال عدم إكتمال الشروط عند أحد الوالدين فتكون الأولوية لمن تتوفّر عنده شروط الحضانة. . .

6 ـ 7. يمكن أن تتقدّم الزوجة في حالات تعنيفها بشكوى إلى القضاء الجزائي الذي يمكن أن يُصدر بحق الزوج قرار سجنه أوغيره، فالمحكمة الشرعية تبت بالطلاق وبأمور النفقة كما سبق.

6 ـ 8. أخيراً، وبحسب رأي القاضي فإنّ المرأة جوهرة ثمينة، يساندها الإسلام ويتابع تطوّر حياتها ويفرض عليها الحشمة بهدف صونها دون منعها من الإندماج المجتمعي (الدراسة والعمل وغيره. . .)

6 ـ نظرة على القانون

تثبت دراسة القانون اللبناني والعربي حتى الساعة تجاهل الحق العام لمسؤوليته من حيث التدخّل ومساندة الضحية أو حتى محاكمة المعتدي. حتى أنّ العنف وطالما يحدث داخل المنزل فإنّه يصنّف ((بالخاص)) (وهذا ما يتعارض كلّياً مع أشكالية بحثنا والبحث في العلوم الإجتماعية والإنسانية). وفي ظل مجتمع ما زال يتبنى التمييز الجنسي في كل أشكاله وإدراج المرأة في مراتب متدنّية. . . والتناقض هو تناقض ظاهر في نص الدستور على أنّ اللبنانيين سواء حيال القانون وهم جميعهم يتمتّعون بالحقوق المدنية والسياسية ويتحملون الفرائض والواجبات العامة من دون فرق بينهم، هذا ما تنص عليه المادة السابعة. لكنّه في المقابل لا توجد أية مادة أخرى تدين التمييز أو تقف حياله على صعيد الممارسة رغم توقيعه على اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة.

وتنص القوانين على وجوب اتباع المرأة للرجل، وتسلبها حقها بالولاية على نفسها (وهو ما يعتبر أيضاً عنفاً)، و«قيد النفوس»، على سبيل المثال، ما زالت المرأة لا تتمتع فيه بخانة مستقلة بل تنتقل من خانة أبيها إلى خانة زوجها.

ويلحظ في هذا الإطار ـ وتبعاً لملاحظات عينية ـ إنّ رجال جهاز قوى الأمن الداخلي ـ يستخفون بواقع شكوى تعنيف المرأة ويرفضون تدوينها.

فما ينقص بالفعل هو حق التمتّع بالأهلية القانونية والحرية الشخصية التي تخوّل المرأة اتّخاذ القرارات المتعلّقة بحياتها وبجسدها ـ فهي أينما كانت في أي موقع: أم ـ أخت ـ إبنة ـ زوجة ـ حفيدة ـ صديقة. . . إلخ تخضع للعنف الذي هو «مظهر لعلاقات قوى غير متكافئة بين الرجل والمرأة عبر التاريخ أدّت إلى هيمنة الرجل على المرأة وممارسته التمييز ضدّها (كما جاء في إعلان الأمم المتّحدة للقضاء على العنف ضدّ المرأة).

إذاً نحن ما زلنا نفتقر للترجمة وللتدابير الإحترازية (لتردع العنف).

وتنص المادة 503 بأنّ من أكره غير زوجه بالعنف والتهديد على الجماع عوقب بالأشغال الشاقة لمدة خمس سنوات على الأقل، مما يؤكّد عدم تسميته جرماً في قانون العقوبات اللبناني.

إنّ قانون الأحوال الشخصية الذي ينظم الزواج والطلاق والحضانة والنفقة والأرث والذي يعود حصراً إلى القضاء الروحي المختص، كما يعتبر من أكثر المقامات حساسية في سلطة الطوائف الدينية، ومن ما يميّز بين الجنسين ويبيح العنف الشائع الذي يعتبر أنّ الرجل رأس المرأة ـ عليها طاعته (بيت الطاعة) ـ إذنه للخروج ـ تلبية رغباته الجنسية لدى طلبه ـ حق تأديبها ـ عدم المساواة في فسخ الزواج وطلب الطلاق... إلخ.

وطالما أنّ العنف غير محصور في إطار العنف الجسدي، فإنّ جعل الطلاق بيد الزوج يعني ارتهان مصيرها بمزاجه، وترى «رجاء بن سلامة» أنّ النقاب أيضاً والذي يجعلها «كتلة جسدية لا تكاد ترى ولا تكاد تعرف أو تُرى». وتقول أنّ تشجيع بعض رجال الدين لدونية المرأة ولتعنيفها الجسدي يعدّ أكثر مهزلة ومهانة أنسانية وإجتماعية لها لأنّهم يأخذون المعنى السطحي للآيات القرآنية ويلفقونها حسب أهوائهم ومصالحهم الشخصية دون النظر إلى المعنى الحقيقي الذي ترمي إليه كما حصل في الآية الكريمة والتي فُهمت بطريقة خاطئة «واللاتي تخافون نشوزهنّ فعظوهنّ واهجروهنّ في المضاجع واضربوهنّ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلاً» (النهار 2/ 7/ 2004).

إنّها صيغ تحدّ من إمكانات التقاضي بالنسبة للمرأة...

إنّها قوانين مسيّسة في بلد مسيّس، فالقضاء أصبح يسير وفق أهواء ومصالح السياسيّين وأهل الحكم وهذا ما يظهر جليّاً في أكثرية الملفات التي تعلن إلغاء الحدود ما بين العام والخاص، ففي بلدان العالم الثالث مع ما ننتظر لتغييره عبر بنية السياسة والقضاء جزء منها... إنّ التشكيلات القضائية لا تزال خاضعة لمزاجية السلطة السياسية، بالإضافة إلى مشكلة تحريك الملفات القضائية التي تفتح وتقفل حسب أهواء الحاكمين، ما بين تسرّع في إصدار حكم وما بين تباطؤ في إعلان الأحكام على ملفات أخرى... هو لا يمكن أن ينفصل عن الخاص في مكافحة العنف الإنساني، والنظام القضائي قد وجد

لإحلال العدالة بين الجميع لذا يجب أن يكون سلطة تحمي كل اللبنانيين دون تمييز. فالمفروض رفع اليد السياسية وترك القضاة يحكمون وفق ما ينص القانون لاسترجاع الثقة وأيضاً الحق الخاص... وهو حق لا يكفي فيه عدم التسييس فقط بل هو كي يصبح حق عليه التغير والمواءمة...

نحن نعرض لهذه الآلية السياسية ـ الحكومية كي نعبر من السياسي إلى المجتمعي فالخاص والذي لا بد لنا أن نربط فيه الماضي بالحاضر... ففي أصل العنف هناك واقع الضعف لأنّ أفكار الإستبداد والتسلّط تقابلها أفكار الخنوع والطاعة... وهي تتأطر حالياً، في مجتمعاتنا، عبر فتاوى تبريرية تعزو الضعف إلى التاريخ الماضي... وهو نفسه الضعيف مهمّش، ملغى الدور، غير قادر على الوصول إلى زمام الحكم والمسؤولية. إنّ المنع من التعبير في بلد تمتلك الديموقراطية هو نوع من المصادرة وقطع الطريق أمام الحلول خاصة لدى فئة الشباب، وهي سياسة تدفع بهم إلى الهجرة القسريّة...

الحل يكون بالسفر لدى هذه الفئات حيث ستجده في أوروبا «حر سيّد مستقل» على حد قول بولين (البلد 22 تشرين الثاني 2004) لذلك ستخسر العائلة.

لماذا يحترم القانون ويطبّق في جميع البلدان بعدالة؟ على حد رأي أحمد...

يبيح القانون اللبناني اغتصاب الزوج لزوجته حين يورد العبارة الآتية:

«من أكره غير زوجه بالعنف والتهديد على الجماع يعاقب بالأشغال الشاقة لخمس سنوات» وهو موضوع سبق وتعرّضنا له.

وننهي هذا الفصل بخبر يعيدنا لكي نربط مع الفصل الأول وواقع التدخّل في كندا مع النساء المعنّفات، حيث أنّ Homa Arjomand وهي كندية من أصل إيراني تدافع ضدّ التحجّر في الأفكار لصالح النساء والأطفال... لقد شاءت وبالتحديد في Ontario حيث يتواجد 000، 600 مسلم، وحيث قامت بعض الجماعات المتطرّفة فيه ومنذ 2003 بتطبيق مبدأ التحكيم استناداً إلى الشريعة لحل الخلافات الزوجية. وقفت ضدّ تعدّد

الزوجات والزواج المدبّر الذي يتفاعل في هذا المجتمع الذي أغلق على نفسه وقبض على الدين، فهو على الصعيد الديموغرافي يتألّف من المهاجرين الأجانب، ولقد تمكّن من ذلك وسمح له في المجتمع الكندي بحجة قبول الآخر واحترام ثقافته... Homa.

لقد قُبل بالتحكّم الديني في بلد علماني... فأسّست حركة أساسية وفتحت صفحتها الإلكترونية الخاصة بها www.nosharai.com وحرّكت العديد من الناشطين في حقوق الإنسان الذين ضغطوا على الرسميين وقاموا بالتظاهرات منذ بدايات سنة 2004 حتى تطبيق القانون الموحّد لكل سكان أنتاريو...

وهي تتجوّل في أميركا وأوروبا لعرض تجربتها في فصل الدين عن الدولة في مجتمع بيني متعدّد الثقافة... إنّها معركة ما بين الثقافة الأصلية والثقافة العالمية... يرتبط «الأيديولوجي» بالسياسة إلى حد بعيد، ويربط أيضاً وفي بلدنا «بالديني» إلى حد يصبح الأيديولوجي هو الديني بحدّ نفسه وتختلط الأمور ما بين الدولة والديموقراطية.

وكلنا نعلم أنّ الديني يحمل في ثناياه «المقدّس» وهذا ما يطرح نفسه بحدّة... وربما إذا أرجعنا هذا التسلسل إلى مبدأ أهمية المرجعية عند المجموعات البشرية، وهذا الإنتماء المرجعي المرتجى يصبح بحد ذاته عنصر الإفتراق إذا ما قارناه بالأصل، فتتجذّر التوتاليتارية واستبعاد كل ما هو مختلف!! وما موضوع الخطف والرهائن إلا أكبر دليل على موضوع الإرهاب السياسي المترابط بالعناصر الرديفة ونحن سنعتمد في تحليلنا على ما جاء في دورية (correspondances freudiennes 37/38 otages 1992 Décembre).

وهي تدور في فلك «الصورة المسقطة»، المعلنة والحالمة من قبل الفرد عن ذاته وعن غيره، ويمكن في هذا السياق أن نذكر دور «الكرامة» في منظومة «الأخلاق» التي تحكم تصوّراتنا الذهنية وهي ليست بمعزل عن العلاقة التي تجمع الفرد بالموضوع وتطلّعاته في علاقته مع الآخر، وهي غالباً ما تكون قهرية في بلادنا ومليئة بالدلالات نلتقطها عبر مثلث «الحقوق ـ التاريخ والخصوصية»... أو عبر مثلث: «القانون ـ الكلام والجسد».

وعندما يصنّف علم النفس الإجتماعي السلوك السوي من غير السوي، فإنّنا حالياً نعاني من تزايد في السلوك المعياري القيمي la normalité لحد يمكن الإقرار بمرضية «القيمية» ممّا يؤثّر في المحيط ويخلق المعاناة السيكولوجية.

ونميّز بين منظومتين اثنتين في طور التطوّر:

المنظومة الأولى: الفرد / الدولة / القاعدة.

المنظومة الثانية: الفرد / القاعدة / العولمة

بهذا الشكل يكون العنف عبوري وإنتقالي transitionnelle

قاطعاً الظاهرة السياسية المعقّدة وهو فعل عدواني متطرّف.

القسم الثاني

عبور العنف
الوضعيات الميدانية

الفصل الأول

ملاحظات على الهامش

الملاحظة:

لقد أصبح العنف الأسري والزوجي على سبيل الخصوص آفة تعاني منها كافة المجتمعات إجمالاً وقبل الشروع بعملنا الميداني وبتقنياته المتعدّدة، بدأنا بادئ ذي بدء، وبعد الدراسة الإستطلاعية الأولى، بتطبيق تقنية «الملاحظة» لأسرٍ في وضعيات متعدّدة، فكان أن ساهمت هذه التقنية بتحديد أطر عملنا البحثي وبتثبيت دليل المقابلات وبتوزيع محاورها.

العنف الأسري ظاهرة نستدلّ عليها من خلال سجلات المحاكم؛ ذلك أنّ المرأة ـ الضحية تندفع إلى اللجوء مرغمة إلى القضاء المختص، أي المحاكم الروحية والشرعية، علّها تجد الحل لمشكلتها القائمة حتى الوصول في أحيان كثيرة إلى الطلاق... إلا أنّه ـ ومن المتعارف عليه ـ أنّ المحاكم تحاول الإصلاح بينها وبين شريكها واستبعاد حلّ الطلاق. (من أجل الأولاد وشعورهم بالأمان أو غيره)... وما زالت المرأة ـ الزوجة تعيش صراعاً بين حالتي الخضوع والتسامح: فها هي تلك المرأة تصدح من إحدى البرامج

الإذاعية التي اختارت يوماً لها لمعالجة العنف الزوجي وتدعو بنات جنسها للتحمّل قدر ما استطاعت، لأنّها ومن خلال تجربتها قد حصدت نتاج صبرها ونفذت عبر فلذات كبدها. . . وها هي امرأة أخرى متحمّسة أشدّ الحماس للرفض وللتعبيرعن ذاتها. . .وتدعو لعدم التسامح في ما تعرّضت له من ألم نفسي وجسدي. . .

1 ـ في تاريخ 21 ـ 5 ـ 2004، مطرب ضرب زوجته المذيعة السعودية وهي على قدر من الجمال والثقافة، تعمل في قناتي الأوائل والتلفزيون السعودي، نجت من الموت بأعجوبة، حيث أخذ يضرب وجهها على الجدران وأرضية المنزل فنقلت إلى العناية المركّزة، وهي في حالة غيبوبة دامت 10 أيام.

وقد أرجع التحقيق الحالة التي يمرّ الزوج إلى أزمة نفسية.

2 ـ بلغ ضحايا العنف الجسدي والنفسي في إسبانيا نحو مليونين إمرأة بين 43 مليون نسمة هم عدد سكان البلد.

3 ـ إمرأة تبلغ من العمر 28 سنة، ضربها زوجها محدثاً 13 كسراً في وجهها لأنّها لم توقظه في الصباح. . .

4 ـ 35% من نساء الولايات المتحدة قلن أنّهنّ ذهبن لأقسام الطوارئ بالمستشفيات نتيجة العنف بخلاف حوادث الإغتصاب التي لا يفصح عنها. 15% من هذه الحالات ذو مستوى ثقافي جيد.

آراء بعض رجال الدين ومواقفهم:

ـ قال أحد قضاة الشرع «نحن كقضاة شرعيين، واجبنا انّ نهتم بهذا النوع من المشاكل التي تحتل الدرجة الأولى بين الملفات التي تصلنا. . . نساء معنّفات حتى الثمالة. . . لكن العنف الجنسي فلم يُذكر في أية حالة من الحالات. . .

وها هي تلك المرأة الثلاثينية التي تزوّجت منذ 4 سنوات ولم تنجب بعد، حيث تعيش في المنزل على حد تعبيره مذلولة ومهانة ـ ويرفض زوجها تطليقها. . ».

وقال رجال دين مسيحيون:

- أسّسنا لجنة للإهتمام بشؤون الأسرة، فالمرأة المعنّفة هي امرأة مجهولة ولا تعترف ولا تفصح الا بقدر وخاصة عن العنف النفسي والجسدي... والجدير بالذكر أن رجالاً يأتونا للإعتراف بما وجهوه لزوجاتهم مبرّرين عنفهم «بالتعصيب والنرفزة..».

- «إنّ العنف المنزلي هو قضية يعاني منها مجتمعنا بأسره وليس حكراً على طائفة دون أخرى، والنساء اللواتي يعترفن بعنف مورس بحقّهنّ قليلات جدّاً.

إنّ التربية في المنزل هي الأساس وإنّ تعاليم المسيح ليست سرية وهي قطعاً تمنع هكذا ممارسات بشتى أنواعها. ونحن ننصح على قدر الإمكان أبناء الرعية باللجوء إلى الكنيسة عندما تصادفهم مشاكل..».

- «النساء اللواتي يلجأن إلى الكنيسة بخصوص عنف تعرّضن له قد زادت نسبتهنّ كثيراً في الـ 10 سنوات الأخيرة، وقد عزا القسيس بيار ذلك إلى الحرب التي دامت 20 سنة، والتي أفرزت مشاكل نفسية وإقتصادية وإجتماعية متنوّعة لم تكن سائدة من قبل: ذكر الأب بيار أنّ العنف ليس من طبيعة التربية في منازلنا ولكنّه موجود فينا منذ الخليقة، وضعيف الإيمان هو من يستسلم لميوله العنيفة..».

- «إنّها النظرة الدونية إلى المرأة التي تجعل الرجل يعنّفها... وهي نظرة مكتسبة إجتماعياً، أما قدرة المرأة على تحقيق ذاتها فهو أمر يرفضه معظم الرجال الشرقيين، فلن يرضى أي رجل بمنافس في منزله، بالإضافة إلى استغلال جسد المرأة في وسائل الإعلام والإعلانات فما يجعل الرجل يعتقد أنّه ربما عن طريق عنفه يحمي امرأته.

الملاحظة الأولى: هي عندما تتأخّر في تحضير الواجبات الغذائية بناء على اتصال من زوجها الذي يعلمها فيه أنّه لا يريد أن يأكل... تتعرّض لمزاجيته فيعنّفها امام ولديها الصغيرين ويتشاجر معها ويسمعها الكلام القاسي وترجع قساوته إلى قساوة ام مسيطرة، فرضت سلطتها على أبيه...

إذ أنّه غالباً ما يردّد: لن اكون مثل أبي... أنا الرجل وأنا مالك السلطة ولي حق السيطرة...

الملاحظة الثانية: رفعت دعوى ضدّ زوجها الذي ضرب حتى الموت ابنه البالغ من العمر أربعة عشر سنة لأنّه وجده يدخّن وأمّه خارج المنزل... وكانت هذه الدعوى سبب طلاقها منه!

الملاحظة الثالثة: تزوّجته رغماً عنها بعد أن رفضت الكثير ممن تقدّم لها قبله وكان مستواهم أفضل منه... تنظر إليه على أنّه أقل منها فتعانده دائماً، وهو لا ينفك يضربها... لا يحادثها، وتمرّ الشهور دون ان يوجّه لها كلمة رغم السقف الذي يجمعهما... ونشير إلى أنّها نشأت في بيت مع زوجة أبيها وليست أمها...

الملاحظة الرابعة: هي تتعرّض للضرب وللصراخ من زوجها منذ أكثر من خمس سنوات... هي شديدة النظافة والترتيب إلى حد الهوس... عبّرت عن نفسها بدون أي حرج كما عبّرت عن حبها لزوجها وإرادتها الإحتفاظ بحبه لها، وهو يغار عليها كثيراً ولا تودّ أن تعيد ما حصل مع زوجته الأولى... التي خانته مع شخص آخر يسكن في الجوار، فبرّرت ضرب زوجها لها بأنّه خوف عليها وليس ظلماً لها...

تقول أنّه عصبي المزاج، يصرخ بوجهها، يضربها بعنف شديد، لكنّها لا تواجهه كي لا تخسره والأولاد... هي حزينة، وبدت خائفة... فتعود وتقول إنّ أولادها هم سبب بقائها على قيد الحياة!!

الملاحظة الخامسة: سمعها الجيران عالياً، ثم شاهدوها وهي تخرج من بيتها والدموع تنهمر من عينيها، وصوتها الخائف المرتجف لا ينفك يردّد: «الحقوني دخيلكن الحقوني..». متّجهة بسرعة صاروخية إلى باب الجار المقابل الذي آواها وهي تقول له... «خبّئني كي لا يقتلني»... فأدخلها مع زوجته وبناته ووقف في وجه الزوج الذي أخذ يعد ويتوعّد والأرض لا تحمله من كثرة غيظه... بعد ساعات عادت إلى بيتها... ربما لأنّها لم تنسَ منظر ولديها المرتعبين الباكين.

الملاحظة السادسة: هو يوجّه لها الإهانات أمام الزوار... أمام الأهل... أمام الأولاد... ينتقي كل ما ينقص من قيمتها ويحطّ من كرامتها

وكرامة أهلها... يحمر وجهها، تنكمش في جلستها مرتبكة دون أن تردّ خوفاً من ردوده السلبية واحتراماً لوجود الآخر... شعاره «عجبك ـ عجبك ـ ماعجبك ـ الباب بفوّت جمل!»...

أما هي ففكرة الطلاق مرفوضة أصلاً من قبلها ومن قبل أهلها... رغم أنّه لا ينجب الأولاد.

الملاحظة السابعة: ضربها بخرطوم المياه ممّا أدّى إلى أذيّتها بشكل فظيع... عرضت المشكلة على أهلها إلا أنّهم لم يقدّموا لها المساعدة... محذّرينها من زواجه بأخرى... في الوقت نفسه الذين يشجّعونها على الإنجاب المتكرّر...

الملاحظة الثامنة: فقدت صوابها ولم يمض سنة على زواجها! أبلغوها أنّ زوجها يخونها وطرد من عمله عقاباً على تأخيره المستمرّ، ممّا جعله غير قادر على دفع أجرة مسكنه وتسديد مصاريفه. وكان الحل أن أخذ زوجته وطفلته إلى منزل أهله كي يسكن مع عائلته هناك... وتحوّل العنف من عنف ثنائي إلى عنف عائلي جامع: الكل يتدخّل بأمورها الخاصة، بتربيتها... فقدت صوابها، تشاجرت مع زوجها، شتمته، ضربها ضرباً مبرحاً تاركاً علاماته على جسدها؛ ردّت بان ضربته هي... ترك الزوج المنزل وطردت هي لاحقاً مع طفلتها...

الملاحظة التاسعة: أُجبرت بالزواج منه وهو يكبرها بأربع وعشرون سنة. الإنجاب كان هدفه الأساسي، لكنّها تجنّبت الإنجاب منه بشتّى الوسائل، أدمن الكحول، يدّعي الضغط النفسي المستمر... حياة مستحيلة بينهما دفعت بهما إلى الطلاق.

الملاحظة العاشرة: تتكلّم وكأنّها لا تريد إيقاظ شخص نائم... مرحة... كثيرة الترتيب... دائمة التألّق... لكن وجهها يحمل علامات الريبة... أحبّته واقترنت به دون أن تعرف جنونه نحو الذم والقبح والشتائم لأتفه الاسباب... ثم تحوّل عنفه إلى عنف جسدي، يصفعها، يشدّ بشعرها، يكسّر الصحون عليها... ثم تحوّل إلى عنف جنسي مستمر يمارسه عليها... ثم

يعتذر... باكياً... شاكياً حبه لها وألمه لوجعها وذلك لمدة 10 أيام فقط، يستعيد بعدها قوّته ويستعيد دائرة العنف... وهي بالإضافة إلى غزوة المشاكل المادية والإقتصادية على حياتها، لا تنفك تأمّل: «بكرا بيتغيّر».

الملاحظة الحادية عشر: «لم أجبرك على الزواج مني»، عبارة يسمعها كل المقرّبين والجيران... تريد أن تسمع قهرها للعالم كلّه! يقوم بكل ما «ينرفزها» يتلف أغراضها وهي لا تجد حيلة سوى الصوت العالي!

الملاحظة الثانية عشر: عمرها 56 سنة، بدايات زواجها كانت هادئة، ولم تكن متطلّبة فكانت تزرع الخضار وتهتم بمنزلها المتواضع وتهتم بتربية أولادها، «وبعد سنوات من الزواج أصبح طبعه لا يقتصر على البخل، بل زاد على ذلك الضرب المبرح. قد كان يضربني لأتفه الأمور كل يوم ضرب وشتائم وإهانات ورغم ذلك، تحمّلت منه الكثير حتى لا أبهدل أولادي الصغار وازداد تحمّلي حتى كبر أولادي وانطلقوا للعمل وتزوجوا، وبقيت ابنتي الوحيدة معي هنا. قلت أنّه ربما يخفّف من قساوة معاملته معي بعد أن تزوجوا أولادي، وأنّه سيخجل منهم. لكن على العكس، فالعنف الذي تعرّضت له على الصعيدين الجسدي والنفسي لم يشملني لوحدي فقط، بل شمل ابنتي، فعندها لم أعد أحتمل فطلبت الطلاق رغم تقدّمي في السن، ولم يطلّقني بسهولة حتى وجد أخيراً امرأة أخرى وتزوّجها؛ عندها طلّقني ولكن المشكلة لم تنته هنا، بل أمر أولادي الذين أسكن عندهم أن يعمدوا إلى طردي، وإلا سيحرمهم من الميراث!!»

الفصل الثاني

مواقف المراجع الدينية
من العنف الموجّه ضدّ المرأة:
ما بين «الشرعي» و«العنفي»

الكلمات المفاتيح: العنف الزوجي ـ الوساطة ـ المساواة ـ التبادل الثقافي ـ (الثقافة البينية) ـ الشريعة.

تهدف هذه الدراسة إلى رصد تعاطي رجال الدين في لبنان في موضوع العنف الزوجي والموجّه ضدّ المرأة، كما الوقوف على ماهية العنف في التفسير الديني ومواصفات الحالات التي تدّعي تدخّل رجل الدين وحدود هذا التدخّل ومواكبته للأفكار المطروحة حالياً والتي تدّعي تغيير وضعية المرأة. والعنف الزوجي كما يعرّفه Fc Alarie وL. Lebeouf (Quebec) بأنّه كافة أشكال الإستغلال الجسدي والنفسي والجنسي من قِبَل الرجل لشريكته في الحياة بهدف التحكّم بسلوكها عن طريق الخوف. . . إنّه استغلال تزداد وطأته من خلال التقاليد والقوانين وما ينتج عنهما من مواقف إجتماعية سائدة. إنّه ممارسة للتحكّم بإطار اختلال في السلطة لصالح المعتدي ضدّ المعتدى عليه، وإجباره على القيام بما لا «يستسيغه» ومنعه من تحقيق خياراته الحرة.

أسّست الأمم المتّحدة أُطُر العمل على إنهاء كل أنواع التعصّب ضدّ المرأة عام 1975 في مؤتمر مكسيكو. . . وهو همّ يزداد يوماً بعد يوم وفي العالم أجمع. إلا أنّ اهتمام لبنان بهذه المسألة يغدو ذو طابع خاص كونه مجتمع طائفي وتعدّدي لم يتمكّن حتى الآن من تعميم المحكمة المدنية وقوانينها في امورالزواج والطلاق إلخ. . . فكل ما يتعلّق بالأحوال الشخصية تبقى مرجعيّته دينية؛ ورغم ما أدخلته الكنيسة من تطوير عبر استقدام وإعادة تنظيم تعاطيها مع أمور الطلاق على الأخص، عبر استقدام محامين وأخصائيّين نفسانيين ليلقوا الضوء على بعض الزوايا العالقة ولمساعدة رجل الدين في قراره النهائي المتعلّق به مباشرة. . . وبالرغم أيضاً من رأيه الفقهي حول طلاق الحاكم الشرعي الذي ينطلق من مبدأ «لا ضرر ولا ضرار» في الإسلام، فإنّ العلامة السيّد «محمد حسين فضل الله»، قد خرق عبر هذه القاعدة التي لا يستخدمها عادة الفقهاء ما يشبه الإجماع الفقهي بجواز الطلاق في حال عدم الإنفاق فقط. . . ومع ذلك فإنّ المحكمة الجعفرية ردّت بعض الحالات التي وافق فيها على الطلاق وعزت ذلك إلى عدم اعتباره مرجعاً اجتهاديّاً بعد وفاة الإمام الخوئي (فهو حالياً لا يملك من الإمام السيستاني إجازة اجتهاد والوكالة لا تعطى إلا من المرجع الأساسي). . . كذلك الوقوف على ماهية العنف في التفسير الديني ومواصفات الحالات التي تدّعي تدخّل رجل الدين وحدود هذا التدخّل ومواكبته للأفكار المطروحة حالياً والتي تدّعي تغيير وضعية المرأة.

فنخال أنّ الإجتهاد هو اجتهاد اختياري لا يمكن وصفه بعيداً عن الأهواء السياسية وربما الإقتصادية التي ما تزال تعصف برياح التغيير الحاصلة.

1 ـ حدود البحث تجمع «كرامة» Karameh المؤلّف من محاميات مسلمات، يناضلن في الولايات المتّحدة الأميركية للدفاع عن حقوق النساء المعنّفات وذلك عبر الدعوة للإجتهاد ولإعادة قراءة النص الديني والسور القرآنية، وهذا ما لن يقبله (على حد قولهن) رجال الدين.

يظهر الفرق جليّاً ما بين التطلّعات والواقع. . . الواقع الذي لا يفسّر وضعية المرأة إلا في ظلّ «قوامة» الرجل عليها، فنطرح على سبيل المثال:

ـ نشاز المرأة: «واضربوهنّ واهجروهنّ في المضاجع».

ـ الخلع: مقابل التنازل عن حقوقها لصالح الرجل (وتضيف أحياناً بعض ما تملك).

ـ الطاعة: إرغامها على أمور شتى ومنها الجُماع.

ـ التحقيق (في حال حصول الشكوى بعد العدوان) يميل إلى تبرير الزوج أو الأب أو. . .

ـ عدم حقها في الولاية على نفسها ومنعها من حضانة الأولاد.

ـ عدم البوح، سرية الموقف مع عدم قدرة تحمّل النتائج، (وكلّه عنف متأتٍ من خارج المنزل فيستمدّ داخله من خارجه).

تلك مواضيع التباس وتناقض في الوقت عينه، وتنطلق في الإعتماد على حقوق الزوج أولاً في عالم ذكوري يكون فيه الرجل هو الذي يمارس السلطة حتى الدينية منها تحديداً، ممّا يطرح إشكاليّتين اثنتين:

1 ـ التغيير: في ظل عنف قانوني لم يتمكّن من إيجاد تدابير احترازية وترجمة عملية، وفي ظل خطب رسمية تدعو إلى ضرورة دعم المرأة وتحسين مكانتها وإلغاء كل أشكال التميز. . . تُطرح إشكالية تطبيق مبادئ الأديان السماوية في هذا الواقع المتغيّر، وهو أمر لا يُطرح بمعزل عن مواقف رجال الدين والمواءمة ما بين المبدأ وفهمه من ناحية والموقف وإنسانيّته من ناحية أخرى في إطار معالجتهم لقضايا العنف الأسري.

ولا يكفي ـ وفي إطار الحديث عن خروج المرأة عن أدوارهاالنمطية ـ بطرح التساؤل بِهَلْ تُهادِن أم تُهادَن؟

بل أنّ الأساس يُطرح عبر كيفية اختراق النص؟

فها هم الشيعة في الإجتهاد، وها هو الخيار البابوي(مع البابا يوحنا بولس الثاني) يطرح الأفكار التقدمية والتسامحية. . . .

لكن ما هو مدى هذا التحرّك وإمكانية تطبيقه بصفاء؟

2 ـ التدخّل: ما زالت سلطة رجل الدين هي السلطة الأقوى في لبنان، فهو يحلّ محل المرشد الإجتماعي وأحياناً المعالج النفسي، ويأتي ذلك إجرائيّاً في ظلّ محاكم دينية تجتاح المحاكم المدنية فتتحوّل المرأة إلى دور الخاسرة غالباً.

رجل الدين مؤتمن على الأسرار ويحافظ على خصوصية الأفراد ويفترض أن يتحلّ بالحنكة والحكمة والخبرة... وهذا ما يفترضه رجل الدين نفسه...

ففي الوقت الذي يتنافى فيه طلب استقدام «الوسيط» (عبر آلية التدخّل) في الغرب خاصة، في كل ما يتعلّق بحالات العنف الزوجي للمساعدة في حل الأزمات، وهو تدخّل يحدث طوعيّاً وإراديّاً ويصبح حالة تعاقبية مهمة للحد من العنف وصولاً إلى التفاهم الذي يرضي كافة الاطراف، ويعطي الفرصة للضحية كي تستعيد شأنها، فإنّ رجل الدين في لبنان (1) يختزل كل المسافات ويلعب هذا الدور في «الوساطة» وفي «الوصاية» مختزلاً كل التدخّلات الأخرى... وهو دور طوعي وقسري في الوقت نفسه، عندما نفهمه نفهم كيف يمكن أن يحدّ منه المبدأ القبول بالزواج المدني...[*].

2 ـ مقاربة رجال الدين للعنف الزوجي:

اتفق رجال الدين بكافة انتماءاتهم الدينية على أنّه لا يوجد تعريف خاص للعنف الزوجي أو ما يسمّى أيضاً العنف المنزلي، بل يمكن تحديد مفهوم العنف عامة، كما ميّزوا سويّة أنواع العنف فقسّموه إلى نوعين:

1 ـ العنف الجسدي أي الضرب

2 ـ العنف المعنوي أي القدح والذّم

أما نقاط الإختلاف فقد برز وتبعاً للتوزيع الطائفي كما يلي:

ـ اعتبر رجال الدين المسيحيون (بكافة مذاهبهم) أنّ الدين المسيحي يرفض العنف بكافة أشكاله دون أن يحدّدوا العنف الموجّه ضدّ المرأة ومن قِبَل زوجها. إلا أنّهم شدّدوا على أنّ الدين المسيحي ساوى بين المرأة والرجل وإنّ

(*) (من أصل 35 مقابلة).

القول أن «الرجل رأس المرأة» لا يعني تسلّطاً أنما إدارة للمنزل. واعتبروا أن العنف المعنوي ينطلق من خلال النظرة الدونية للزوجة من قِبَل الزوج ويتطوّر إلى انقطاع لغة الحوار ممّا يؤدّي إلى غياب التفاهم والإنسجام.

ـ أما بالنسبة لرجال الدين الدروز، فلم يقرّ المبحوثون بتواجد ما يسمّى عنف زوجي لدى مذهب الموحّدون الدروز، وعلّلوا ذلك كون هذا الموضوع لا يحتاج إلى مبحث خاص بل هو يمكن أن يندرج في إطار العادات والتقاليد الإسلامية كون هذا المذهب هو مذهب إسلامي.

إلا أنّ هذا المذهب يرفض تسلّط الرجل على المرأة، انطلاقاً من مقولة أساسية تفيد أن من يتزوّج موحّدة عليه أن يساويها بنفسه... كما يحرّم ضرب «الزوجة المبرح» بالرغم من شيوعه قديماً.

ثم عادوا واعتبروا أنّ المجتمع الإسلامي هو مجتمع شرقي بشكل عام، والله قد أعطى «القيمومة» للرجال على النساء انطلاقاً من الحكمة القائلة بأنّ لكل جسم رأس ولكل دولة رئيس.

ـ المذهب السنّي: ونستعين بحرفية ما قاله بعض قضاة الشرع:

أ ـ حدّد أحدهم العنف بأنّه «تصرّف لا يتّسم باللين والمودّة مثل الشتم والضرب».

ب ـ عرّف رئيس المحكمة الشرعية العنف على أنّه «استعمال لأساليب قاسية من أحد الزوجين ضدّ الآخر، أما باليد أو باللسان أو بأي عضو من أعضاء الجسم الإنساني أو بآلة من الآلات المؤذية. والعنف حسب المفهوم اللغوي هو الشدّة والقساوة ويصدر من الزوج أو الزوجة».

ج ـ شدّد الآخرون على شجب الدين الإسلامي للعنف ضدّ المرأة، وأنّه على الحياة الزوجية أن تتّسم بالطمأنينة والإستقرار والمحبة. كما أنّهم اعتبروا أن الدين الإسلامي قد ساوى بين المرأة والرجل وأنّ القول بأن «الرجال قوّامون على النساء» يعني أنّ على الرجل تحمّل المسؤولية.

ـ المذهب الشيعي، ونلاحظ فيه أكثر من توجّه، حيث يرى بعضهم أنّ العنف وبمفهوم عام، يتّسم بالعدوانية «والشرانية»، وإنّ الدين عامة والإسلام

خاصة يلقي الضوء على وجوب الدفاع عن الذات أولاً ـ بما فيها الجسد ـ أي «بالحفاظ على سلامة هذا البدن الذي منّه علينا الباري»؛ بالإضافة إلى أنّ الدين الإسلامي «يسعى دوماً للتساوي إنسانياً من خلال الأخلاق والمعاملة الحسنة». أمّا التوجه الآخر فاعتبر أنّ العنف هو عكس المعاشرة الحسنة وبالمعروف فهناك عنف الضرب المبرح وعنف الشتيمة».

ورأى مستشار في المحكمة الجعفرية أنّه لا يوجد تعريف محدّد للعنف الزوجي بل إنّ هناك أخطاء شائعة في فهمه وفي استخدامه ليس عبر الشرع فقط بل حتى عبر الجهّات التي تناهضه... فهو يعرّف تارة بالضرب وتارة أخرى بالإهانة حتى لو نجمت عن سلوك عادي بدلالته... واعتبر أنّ الردع أو القهر هو ليس عنفاً بالمطلق!

واعتبر آخرون أن العنف هو وليد القوانين الوضعية التي حاول البعض إلصاقها بالدين الإسلامي، فالفرق شاسع بين تصرّف الأفراد وبين تحميل هذه التصرّفات للدين. كما أن العنف لا يقتصر على الأسرة المسلمة بل أنّه منتشر في كل المذاهب الأخرى.

نستنتج أنّ التعريف غير موحّد ضمن المذهب الواحد، إنّما هو اجتهاد خاص لدى كل رجل دين، وكل محاولات تحديده لم تتجاوز الوصف دون الإشارة لا من قريب ولا من بعيد إلى ميكانيزمات العنف الزوجي من وجهة نظر سيكولوجية والإشارة إلى الضرب المتكرّر لا تتعدّى حدود المرض النفسي عند الرجل!

والسؤال الذي يطرح نفسه، وفي عودة إلى هذه التعريفات التي تحاول إبعاد الدين عن واقعة العنف ـ إلى أي مدى هي أفكار إنشائية مبرّرة تصل إلى صلب أفكار عامة الناس المتداولة؟؟

3 ـ حول العنف الجسدي

اشترك رجال الدين في التميز ما بين: 1 ـ العنف المرضي و2 ـ العنف كردّة فعل أو كنتيجة لوضعية ما (كالضائقة الإقتصادية أو غيرها...) «فشة خلق»... و 3 ـ الضرب الشديد المبرح والصفعة

أما نقاط الإختلاف فندرجها:

عند المسيحيين: هناك نوعان من العنف الجسدي:

ـ الضرب كردة فعل بعد تأزّم ما. . .

ـ الضرب كحالة مرضية وهي حالة تتكرّر.

في وقت حدّد فيه رجال الدين الدروز العنف المتعمّد للإيذاء أنه غاية العنف. . .

واتّفق السنة والشيعة على أنّ الدين الإسلامي هو دين شريعة وليس دين عقيدة وقيم، لذلك فهو يشتمل على نظامي: العقوبة والإصلاح وهو ما يترجم عملياً «بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ممّا يعني أنّ العنف الممارس لتطبيق العقاب هو عنف مبرّر فهو وقائي وتأديبي وليس إجراء انتقامي، هو بمعنى آخر علاج ظاهره العذاب وباطنه الرحمة.

3 ـ 1. تفصيل حالات العنف المبرّر

أ ـ حالة النشوز والعصيان من قِبَل المرأة. . وعلى الرجل أن ينهاها لتعود إلى صوابها ولتأمين الإستقرار للأسرة.

ـ نشوز المرأة ـ يؤدّبه الرجل (الزوج).

ـ عنف الرجل ـ تؤدّبه المحكمة.

ب ـ حالة العنف الطارئ وأسبابه متنوّعة، ذكر أغلبهم الضائقة الإقتصادية، التي يمكن أن تؤدّي إلى التشنّج ودفع الرجل «بشكل عفوي» إلى ضرب الزوجة وتعنيفها.

3 ـ 2. تفصيل حالات العنف غير المبرّر وكيفيته

وقد كان تحديداً مبهماً التزم بما سمّوه «التأصّل» و«النشأة» و«المرض النفسي» (كما حدّدوه بالسادية أو بالنقص العصبي)، وهو في كل الحالات غير مبرّر:

ـ «إنّ الضرب الذي يؤدّي إلى العنف يرفضه الشرع ونرفضه نحن».

ـ «اضربوهنّ ـ ويقصد بها الضّرب غير المؤذي وليس الضرب الذي يشوّه ويكسر ويؤذي»!.

ـ التدرّج من الأساليب الردعية قبل الوصول إلى الضرب وذلك عبر الوعظ المكثّف ـ هجر الفراش بإدارة الجسد لا في النوم في مكان آخر ـ أسلوب الضرب الخفيف وقدرة المرأة على التحمّل. . . ضربها بوردة مثلاً.

3 ـ 3. وتجدر الإشارة إلى أنّ مجموعة أخرى رفضت كل هذه التفسيرات التبريرية وتمّ رفض العنف من حيث المبدأ، علّها نقطة انطلاق إيجابية. منهم من اعتبر أنّ الإسلام لا يعبّر بالعنف ضدّ أي مخلوق خلقه الله تعالى، وحتى على الحيوان، فكيف بنا تجاه الإنسان؟؟

3 ـ 4. فالإسلام لا يمكن أن يبرّر العنف بأي نوع من أنواعه ومن ضمنها العنف المنزلي، حتى في حالات النشوز والخروج عن طاعة الزوج، لا يوجّه العنف إلا ضد أعداء الدين وهو أمر مرفوض.

نستنتج إيجابية متناقصة تبدأ باعتبار الأديان تساوي المرأة بالرجل، ثم بواجب الرجل احتواء المرأة وبتعاونه ضمن تراتبية هرمية، إلى المساواة التي تضمن الإقرار بأنواع عنفية متفاوتة (تتدرّج من العنف المعنوي شتم ـ سب ـ إهانة ـ انقطاع لغة الحوار، إلى العنف الجسدي: المبرح والخفيف) مرفقة بأسباب تخفيفية يبرّرها المرض النفسي دون تبعية اللجوء إلى التأكّد منه علمياً. وهي حجة يمكن أن يلجأ إليها أيّاً كان. . . ويمكن لعداة الإسلام أن يزجّوا العنف زجّاً فيه. . .

فالسؤال إلى أي مدى تواكب هذه الإيجابية (المتناقصة) التطبيق وهل هي مدعّمة بالحكم الشرعي الصادر عن القاضي الشرعي في حال طلب تدخّله لإنهاء عذاب ما؟ وإلى أي مدى تواكب الأقوال الأعمال؟

4 ـ في نظرة رجل الدين إلى كيفية تعاطي الطوائف الأخرى بموضوع العنف.

يمكن تقسيم آراء رجال الدين على اختلاف انتماءاتهم إلى ثلاث فئات، لا تخفي آلية التهرّب في الحكم المباشر على الآخر.

4 ـ 1. من اعتبر أنّ لا علاقة له بالطوائف الأخرى كونه على غير علم بما يفعله الآخرون.

4 ـ 2. من اعتبر أنّ جميع الأديان السماوية ترفض الأذى، إلا أنّ الدين المسيحي لم يعطِ القواعد العملية للتنفيذ عكس الدين الإسلامي الذي هو مكمّل للشرائع خاصة فيما يتعلّق بنظام الأسرة وبمعاونة الزوجة الأولاد بمحبة وبعدل وباحترام.

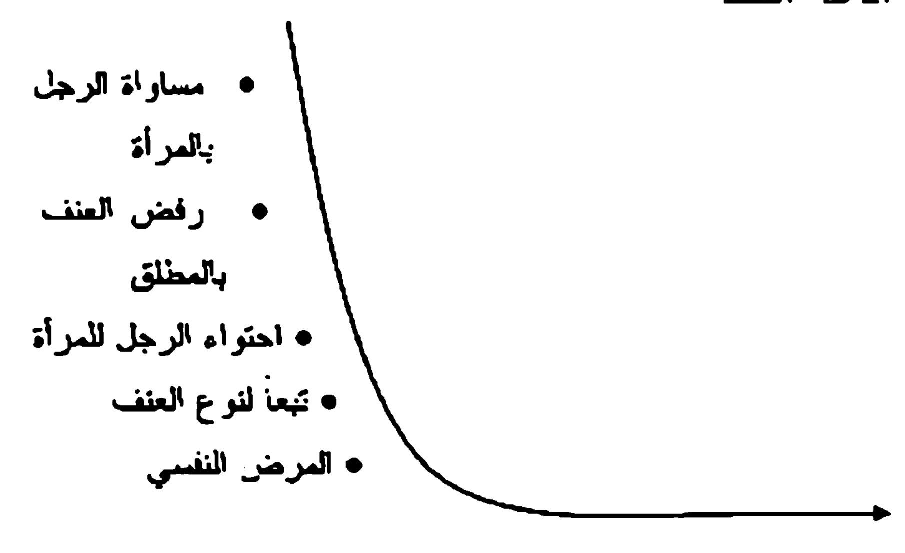
4 ـ 3. من اعتبر أن هنالك اختلاف بتعاطي الأديان حول مواضيع العنف ضد المرأة. . . فالبعض يتساهل بمعاقبة الرجل المعنّف، أما الديانة المسيحية فهي لا تبرّر ضرب الزوج لزوجته وإن أخطأت.

4 ـ 4. وتبرز آلية التضارب بتشديد رجال الدين الدروز المسلمين على الإختلاف (الداخلي) فهم لا يسمحون بتعدّد الزوجات ولا يجيزون ضرب الزوج لزوجته لتأديب وهذا أمر وارد ومبرّر في الشرع الإسلامي.

* مساواة الرجل بالمرأة - * رفض العنف بالمطلق

* احتواء الرجل للمرأة - * تبعاً لنوع العنف

* المرض النفسي



رسم (5)

الطائفة	المساواة بين الرجل والمرأة
المسيحية بمذاهبها	الرجل رأس المرأة
الدروز	الله أعطى القيمومة للرجال على النساء حكمة لكل جسم رأس ولكل دولة رئيس
السنة والشيعة	ضرورة تحديد المسؤولية داخل الأسرة والرجل هو المسؤول

جدول (17)

5 ـ مقاربة رجال الدين للتدخّل:

الوساطة أو التدخّل (la mediation) وبحسب علم النفس الإجتماعي هي عملية يقوم بها شخص حيادي أي الوسيط، يطلبه الزوجان ليساعدهما على حل خلافاتهما. . . بهدف إبعاد أشكال الهيمنة من فرد على الآخر وإعادة تنظيم واضحة لهيكلية الأسرة، ، وعلى الوسيط أنّ يكون ملمّاً بإشكاليات العنف المنزلي وبآليات الخوف عند النساء. ونذكر سريعاً العناصر التي تُنجح هذه العملية: الإرادة لإيجاد الحلول ـ الإعتقاد بوجود الإمكانية للحل. التعاون والإحترام في الإصغاء مضافاً إلى أهمية القناعة بهذه الطريقة واعتبار أن الوسيط هو:

ـ شخص غير منحاز ولا يصدر قرار التفريق إلا بعد فشل التدخّل، وعند اقتناعهم أن الحياة الزوجية قد اصبحت مستحيلة. . .

5 ـ 1. اشترك رجال الدين المبحوثون بفهم التدخّل على:

ـ اعتباره «مصالحة».

ـ إلزامية المحكمة (الروحية والشرعية) بالمصالحة، فحتى في حال الإنفاق على الطلاق فإنّ رجل الدين لا ينصاع لرغباتهم.

ـ الوسيط هو رجل الدين (عموماً).

ـ هدف هذا التدخّل: الوصول إلى تسويات وحلّ المشاكل.

ـ تمتدّ الوساطة على عدة جلسات ويمكن أن تمتد إلى عدة أشهر أو حتى

عدة سنوات بحسب الحالة. . . وبعد أن يفشل رجل الدين في محاولته الإصلاحية، يتم الطلاق أو التفريق أوالهجر. . . تبعاً لما قالوه. . . (استناداً أن ما طرحه رجال الدين).

هذا وقد بدأت المحاكم الروحية اللجوء إلى أخصائيين نفسانيين للحكم على بعض الزوايا التي تتطلّب الإضاءة عليها سعياً لمزيد من الموضوعية في إصدار الحكم النهائي. إلا أنّه حتى الآن لم تبرّز خصائص أساسية يُحكى عنها وسبق أن تفوّقت على النهج الديني في الحل النهائي.

5 ـ 2. خصوصية التدخّل بالنسبة لكل طائفة، (نفترض أنّ الوصول إلى التدخّل الديني يأتي بعد نفاذ التدخّلات الأسرية الأخرى في بعض الأحوال).

في الدين المسيحي بمذاهبه عامة تظهر مطواعية الموقف (الثقافي) أكثر من مطواعية النص؟ ونلاحظ أنّ الجلسة الأولى للمصالحة التي يقوم بها القاضي الروحي تتمحور بطلب منه إلى الزوج في عدم تعنيف زوجته كما يطلب من الزوجة أن تسامحه تبعاً لمفهوم التوبة والمسامحة في هذا الدين.

نستنتج أنّه لا يوجد في البدء وساطة فعلية ولا يوجد حوار أو إصغاء بل هناك أمر بإيقاف العنف وطلب التسامح.

أما إذا تكرّر الفعل العنفي، فإنّ القاضي الروحي يدرس حالة الزوج وربما ينصحه باللجوء إلى طبيب نفسي». . . أو معالج نفسي. . .». ولا تتمكّن المرأة إثبات ذلك إلا إذا اسُتدرج الزوج للإقرار بذلك أو أنّه يستنتج ذلك عبر قوله: عم ربّيها ـ أو قلت لها كذا وكذا. . .

يسمّى الوسيط عند الدّروز «الحَكَم» حكم يتوجّه للمرأة وآخر للرجل وإذا توحّدت وجهات النظر يتفق على الطلاق وإلا كانت محاولات التقريب عبر حوار الحكمين وليس الزوجين. . .

عند السنة يطلب رجل الدين ـ الوسيط الوقوف على كافة التفاصيل وغالباً ما يخرج المرأة، فيحاول تبسيط الحالات والتدخّل من خلال استذكار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تساعد على تهدئة النفوس وأيضاً الحوار. . . وإذا ما تصاعدت الأزمة بتواجد الوسيط فإنّه يأخذ الزوج على

انفراد منتقداً تصرّفاته و«يقرص عجينه[*]» للحد من تعنيفه لزوجته. همّه التثبّت من الأسباب، خاصة وعلى حد قول أحدهم، عن «كثرة النساء المحتالات».

أما عند الشيعة وتبعاً لما جاء في المقابلات فيتم التأكّد من صحة الزوجين النفسية، ومن ثم يعود الحاكم إلى وساطة الأهل انطلاقاً من «إنّ خفتم شقاقاً بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها أن يريد إصلاحاً»... وبعدها تتمّ الوساطة. إذا ثبت العنف للقاضي وهو أمر يمكن التأكّد منه عبر شريط صوتي يثبت أقوال المرأة، يأمر الزوج بإيقاف العنف ويوبّخه ومن ثم يعظه ويتعهّد بعدم تكرار الفعل العنفي... وفي حال العودة يأمره بإيقاع الطلاق...

حين يتمنّع الزوج عن طلاقها وإصراره على الإضرار بها، كان «طلاق الحاكم الشرعي» وهو طلاق العالم المجتهد الذي يعتمده المذهب الجعفري هو الحل «وهو حلّ يمكن أن يبدو سارياً في إطار الواقع المتغيّر»... إلا أنّ صورته تُضمر عندما تتضارب الهيئات التنفيذية مع الهيئات الفقهية... ونقصد بالهيئة التنفيذية هي المحكمة التي يمكن أن تتدخّل في قبول أو رفض الشؤون المرجعية وتحديد الإجتهاد أو عدمه تبعاً لمواقع سياسية أو لنزاعات شخصية... وهذا ما ينعكس حكماً أزمات إجتماعية وإنسانية داخل الطائفة نفسها ممّا يحول دون إيقاع طلاق الحاكم (خاصة إذا كان السيد فضل الله على ما يبدو) فيدفع ثمنه الأولاد...

إنّ طلاق الحاكم هو الطلاق القهري الذي يقع من دون رغبة الزوج في ظروف استثنائية، وبناءً على طلب الزوجة نتيجة الهجر والتعسّف وعدم الإتفاق وبعد الكثير من المراجعات التي لم تتمكّن من رفع الضّرر عن المرأة إلا بالطلاق. وبرز حديثاً توجّه فقهي يجيز إيقاع طلاق الحاكم في جميع

(*) يتضح الفرق بين الطوائف المسيحية ما بين الهجر والطلاق. فالماروني يجب وبصعوبة بالغة إثبات بطلان الزواج أساساً ومنذ قيامه والعنف ليس سبباً بل إنّ أساس بناء الزواج هو خاطئ بالبرهان وهنا يلعب المعالج النفسي دوراً في تجديد إطار المشكلة: Double Mediation... أما عند الأرثوذكس فإنّ الزنى وعدم الإنسجام يمكن أن يكونا أسباباً تبريرية لكنها غير تسريعية فيدخل عامل الزمن والمال ومتاهة الحل...

الحالات التي تؤدّي إلى ضرر المرأة. وهو طلاق لا يوقّعه إلا العالم المجتهد.

5 ـ 3. نستنتج أنّ كيفية قيام التدخّل من قبل رجل الدين مبني على أساس التحقيق للتأكّد، ويمكن أن يمرّ عبر الإستدراج من أجل إثبات الفعل العنفي! مع محاولة دائمة لتبسيط الأمور للتخفيف من حدّتها.

يعظ رجل الدين ويوبّخ الرجل ويأمر بالنهي عن العنف ويساعد الأقارب على التدخّل، ويسعى إلى الأيات القرآنية أو الحديث الشريف للتهدئة...

ومقارنة مع دور الوسيط في علم النفس الإجتماعي فإنّ الحوار يُبنى على الإستجواب والإستدراج والوعظ والتوبيخ والتبسيط وليس على الإصغاء والتقييم الذاتي، وإعادة تنسيق الأفكار ودعم التداعي الحر وإبعاد نسج الهيمنة من فرد على آخر وتنظيم أفكاره فهل هي طريقة حل جذرية؟؟؟

6 ـ فما هو إذاً هدف التدخّل بالنسبة للمراجع الدينية؟

اعتبر 60% من رجال الدين المبحوثين أنّ المرأة هي من يطلب التدخّل والعون... وهدف التدخّل هو حل الخلافات وتسوية الأمر... وإبعاد شبح الطلاق لأنّه أبغض الحلال، ولأنّ المرأة المطلّقة في مجتمعنا يطالها الظلم...
فهل إن الوسيط هو منحاز أم محايد؟

كان الجواب الأول والحاسم والمشترك:

«أبداً، إنّ الدين لا ينحاز إلى الرجل بل بالعكس هو يساوي بين المرأة والرجل ويحكم بالعدل بغض النظر عن الجنس أو العرق»...

«إنّ الدين ينشد العدل والمساواة... لا يوجد انحياز في ظل حقوق وأدلّة»...

أما التفسير الذي تلا الجواب الأول فكان إقرار بأنّ الحياد أمر شبه غائب ويبرز لدى التطبيق وليس في النص الديني نفسه، وهو انحياز برّز نفسه بوقوفه مع المرأة لتبيان حقوقها فهي الأضعف، أما الإنحياز المعاكس (أي لرجل) فهو يحصل من قِبَل قلة من القضاة ـ المسيّسين والتجار على حدّ قولهم.

ثم إنّ التدخّل لا يمكن أن يرضي كافة الاطراف والمجتمع الذي يعمّم الفكر الإنحيازي هو تدخّل لصالح المرأة في مجتمع قامع لها: استنتاج إذا ما طبّق فعلاً لاختفى عبره كل القمع والعنف الموجّه ضدّها... مع أنّه يفرّق بين أصل القيمة الإجتماعية والقيمة الدينية!!

7 ـ الأسباب التي تدفع المرأة لطلب التدخّل

إنّ طلب التدخّل يكون في أغلب الأحيان من أجل:

ـ الطلاق بحد ذاته

ـ النفقة

ـ الحضانة

ـ وفي حالات العنف الجسدي والتشويه (ويمكن أن تلجأ فيها إلى النيابة العامة)

7 ـ 1. التدخّل في حالة النفقة والحضانة (جدول 21).

الحالة / الدين	المذاهب المسيحية	الدروز	السنّة	الشيعة
النفقة	- الحرمان من الإحتياجات(*) الإساسية: ضرورة النفقة المعجلة - المرأة العاملة لا تحصل على النفقة، وذلك لعدم زيادة الأعباء على الرجل.	- إلزام بالنفقة حتى لو كانت تعمل وتقدّر نظراً لوضع الزوج الإقتصادي. - يحكم بالنفقة للمرأة حتى لو كانت تعيش مع زوجها. - دعوى النفقة تكون معجلة ويمكن أن تؤدّي إلى حجز الأملاك وحبس الزوج ومنعه من السفر.	- إلزام بالنفقة حتى لو كانت تعمل وتقدّر نظراً لوضع الزوج الإقتصادي. - يحكم بالنفقة للمرأة حتى لو كانت تعيش مع زوجها. - دعوى النفقة تكون معجلة ويمكن أن تؤدّي إلى حجز الأملاك وحبس الزوج ومنعه من السفر.	- إلزام بالنفقة حتى لو كانت تعمل وتقدّر نظراً لوضع الزوج الإقتصادي. - يحكم بالنفقة للمرأة حتى لو كانت تعيش مع زوجها. - دعوى النفقة تكون معجلة ويمكن أن تؤدّي إلى حجز الأملاك وحبس الزوج ومنعه من السفر.
الحضانة	- سلطة القاضي الإستنسابية (يبني قراره تبعاً لما يراه يتناسب مع مصلحة الطفل وهي بالأغلب: الأم). - تستمر إلى عمر 14 سنة للأنثى و15 سنة للذكر.	- الحضانة للأم لغاية 9 سنوات للبنت و7 سنوات للصبي.	- الحضانة للأم لغاية 9 سنوات للبنت و7 سنوات للصبي.	- الحضانة للأم لغاية 7 سنوات للبنت و2 للصبي.

جدول (18)

(*) هناك مأزق كيفية التمييز والتصنيف ما بين الإحتياجات الأساسية والثانوية، ومأزق القانون الذي يحكم لها بالمبالغ الزهيدة مقارنة مع ثروة زوجها، وحتى لو كانت تعمل فإنه من الممكن ألا يكون راتبها كافياً. وقد أمِلَ الأب «مارون عمّار» الوصول إلى قانون يجبر الزوج على دفع المال كالقوانين المدنية في الدول الغربية...

7 ـ 2. من يملك الإستعداد لتقبّل تسوية الوسيط:

من خلال الحالات التي طرحها رجال الدين المبحوثون نطرح النتائج التالية:

الدين / الحالة	المذاهب المسيحية	الدروز	السنّة	الشيعة
قبول الحلول المطروحة من قبل الوسيط.	حوالي 50% المرأة هي التي تبدي استعدادها للتسوي.ة	حوالي 75% المرأة هي التي لديها الإستعداد لتقبّل الحلول.	حوالي 29% المرأة هي التي تقبل التسوية.	42% من الحالات تكون فيها المرأة هي التي تملك الإستعداد الأكبر لتقبّل التسوية
التبرير الإجتماعي (برأي المرجعية الدينية)	ـ المجتمع اللبناني هو مجتمع أبوي شرقي. ـ المرأة الشرقية تحمل في طياتها تقاليد موروثه تحثها على الترابط الأسري ومحبة «السترة». ـ نلحظ رأي الأب «كيوان» و«راجح» إلى أنّ المرأة العاملة لا تهتم بالتسويات.	ـ تحلّيها بالصبر والتضحية وسترة تعلّقها بأسرتها وكرامتها التي لا تحتمل لقب مطلقة والعودة إلى أهلها مكسورة. ـ مرارة لشعور والدها. ـ يمكن أن تكون تسوية مؤقتة لحين أن يكبر الأولاد.	ـ لأنها تريد «السترة». ـ النظرة إلى المرأة المطلقة على أنّها مهيضة الجناح. ـ هو قبول على امتعاض، ترضى فيه بنصيبها وترضخ للأمر الواقع.	ـ كونها عاطفية. ـ مجتمع لا يرحم المرأة المطلقة ممّا يجعلها تتراجع وتتنازل في سبيل الحفاظ على بيتها وكرامتها.

جدول (19)

نستنتج ـ وعلى لسان رجال الدين ـ إنّ التدخّل لا يسعى إلى إبعاد الهيمنة الذكورية عن المرأة والتسوية المطروحة تأتي على حساب المرأة...

8 ـ التغييرات الحاصلة في أوضاع المرأة عموماً:

أجمعت المرجعيات الدينية على أنّ التغييرات الحاصلة في وضعية المرأة قد حصلت على صعيد بعض المقاييس الإجتماعية والتغييرات الثقافية التي حصلت داخلها لكنها تغييرات لم تطل القوانين ولا الدين...

ويمكن الإنطلاق من متغيّري العلم والعمل: فالمتغيّر الأول كان عاملاً مساعداً لأن تتعرّف المرأة على حقوقها أكثر، وإن تعبّر عن نفسها، وإنّها تمكّنت بحيث أصبحت قادرة على إدانة زوجها وعلى إزاحة «التابو» في التكلّم عن العنف الذي تعرّضت أو يمكن أن تتعرّض له وحتى الجنسي منه. إلا أنّ المتغيّر الثاني ـ ورغم أهميّته ـ فإنّه قلّل من حقوقها خاصة فيما يتعلّق بأمور النفقة (وهو بند سبق وتعرضنا له).

إلا أنّنا سنعرض فيما يلي بعض الإقتباسات للمرجعيات الدينية التي تعرّضت سلباً للتغييرات الحاصلة:

8 ـ 1. ... «مهما تغيّرت أوضاع المرأة، فإنّ قوة الرجل الذكورية والتي لا يستطيع السيطرة عليها تزيد» حالات العنف حتى لو وصل إلى أعلى درجات الثقافة، فالرجل المعنّف يبقى معنّفاً»...

8 ـ 2. «إنّ التغيير الحاصل في وضع المرأة هو لإفسادها ولإهانتها وليس لحفظ كرامتها... المجتمع يعاملها كسلعة ويتاجر بها وهي بالمقابل تريد أن تقلّد جارتها وعارضات الأزياء والفنانات... وهذا ما يسبّب الخلل داخل الأسرة»... «ظنّت المرأة أنّها مهضومة الحقوق رغم أن الإسلام أقرّ بحقوقها منذ 1400سنة يبدو أنّ السعي للحقوق المدنية سارٍ... ولا يوافق على الكثير منها القضاء الشرعي..».... «الأفضل للمرأة أن تبقى في منزلها معزّزة مكرّمة إلا في بعض الحالات النادرة ويمكن أن تكون طبيبة نسائية..».

8 ـ 3. «إنّ التغيُّرات التي حصلت في أوضاع المرأة أغلبها سلبي بحيث خرجت المرأة عن الإطار الذي رسمه لها الله... والسبب يعود إلى الإنفتاح على المجتمع الغربي ـ هي تقلّده ممّا قادها إلى فساد أخلاقي...».

«... عندما جعل الله مادة الإنفاق بيد الزوج فهي حكمة كي تبقى

المرأة تحت جناحيه وفي حاجة إليه في كل شيء. . . استقلاليتها المادية جعلتها تكون كأنّها رجل مقابل رجل ممّا يبعد روح المودّة والطاعة والحنان ويؤدّي إلى كسل في العلاقات الزوجية وإلى فتور ما يلبث أن يتحوّل إلى مشاكل. . .» «. . . إنّ المرأة تبوّأت مناصب مهمة، زادت من مقدرة التعبير عن نفسها، لكن هذا لا يعني أنّ الدين المتجذّر منذ آلاف السنين كان يهدر قيمتها ونفوذها. . . لا بل هناك مجتمعات وثقافات مختلفة أدّت إلى هدر بعض من حقوقها. .». «. . . استقلال المرأة المادي سلاح سلبي. . .».

8 ـ 4. هَدَفَ «المحور الثاني» من دليل المقابلة، إلى تحديد سمات المرأة، وهويّتها؛ المرأة التي تطلب التدخّل والعون، وأتت الأجوبة في غير محلّها في كثير من الأحيان، فتمّ احتساب المواصفات المطروحة على إنّها متغيّرات ربط وليس كمتغيّرات مستقلة لرصد الحالات. ويمكن أن يكون هروباً من رصد كمي ونوعي مباشر للحالات المعالجة بحيثيّاتها بحجة خصوصية وسرية أصحابها، مع العلم أنّ الطلب لم يتوجّه بالطبع للكشف عن الأسماء.

من المحكمة الجعفرية / على لسان القضاة

أ ـ هناك فتاة تعرّفت على شخص سنة 2000، بعد فترة تمّت الخطوبة وفي تموز 2002 تمّ عقد الزواج وانتقلت معه لفترة مؤقّتة إلى العيش في منزل أهله قبل أن ينتقلا للعيش حيث يعمل هو في أحد الدول العربية، كان وقتها عمرها 22 سنة تقريباً وهو 28 سنة.

هي فتاة حاصلة على شهادة الليسانس، ومن عائلة محافظة والدها متوفّى؛ كانت تعيش مع والدتها، وهو مهندس درس في بريطانيا أي أنّهما الإثنين على مستوى ثقافي عالي.

وبدأت المشاكل تظهر عندما سافرا إلى حيث يعمل الزوج؛ بدأ يغار عليها بشكل جنوني حتى وصلت غيرته إلى أن يضع كاميرات في البيت يراقبها بكل تحرّكاتها وماذا تفعل أثناء غيابه، فلم يكن يدعها تخرج من البيت للقيام بالتبضّع. إنّه إنسان عاش في بيئة متحرّرة وهي من بيئة محافظة، كان يطلب من زوجته أن تعامله مثلما تعامله البنات في الخارج بطريقة غير شرعية كونه عاش

في الخارج ويرى التحرّر والفلتان. وحينما واجهته بالرفض تعرّض لها بالعنف، حيث بدأ يعنّفها نفسياً أي بمنعها من الخروج من البيت. رفضت هذا الوضع عندها راح يعنّفها بالضرب. وقد تبيّن للمحكمة أنّه يعاني من حالة نفسية. طلبت منه أن تعود إلى لبنان لكنه رفض، وهي لا تستطيع العودة وحدها لأنّه كان قد أخذ منها الباسبور، ولكي تحصل على الطلاق / طلب منها أن تتنازل عن كامل حقوقها، لكن الزوجة رفضت وهربت من منزل الزوجية ولجأت إلى السفارة وعرضت لهم مشكلتها وقاموا بمساعدتها للرجوع إلى لبنان. عندها لحق بها وتقدّم بدعوى ليعيدها إلى منزل الزوجية، وقد قامت المحكمة باستدعائها حيث أعلنت أنّها تريد الطلاق، وبعدها راح يتّهمها بأنّها تعاشر غيره وتخونه مع «ضباط خليجيين». وقد تمّ التأكد بأنّ ما يقوله خطأ. وبعد أن فشل في الكذب اتّفق مع دكتور يشهد على أنّها لم تكن عذراء عندما تزوّجها. النتيجة أنّها هربت من منزل الزوجية في شهر شباط سنة 2003 وهو تقدّم بالدعوى في شهر آذار في نفس العام أي بعد شهر من هروبها. واستمرّت الدعوى من 20/ 3/ 2003 لغاية 25/ 11/ 2004 أي حوالي سنة وثمانية أشهر. وقد انتهت القضية لصالح الزوجة حيث قامت بالحصول على الطلاق وعلى كامل حقوقها الزوجية.

ب ـ لجأت امرأة إلى المحكمة وهي متزوّجة من رجل كبير السن كان متزوّجاً قبل أن يتزوّجها وله أولاد بعمرها، وقام زوجها بتعنيفها وعلامات الضرب كانت واضحة عليها، فقدّمت دعوى وأدّت المفاوضات إلى إقناعه بالطلاق.

ج ـ امرأة لها خمسة أولاد تودّ الطلاق، الحالة الإجتماعية دون الوسط، الزوجة تعاني من الضرب المستمر. لجأت المرأة إلى المحكمة لطلب الطلاق فقال الشيخ عندما يضربك زوجك اضربيه وإذا قام حينها بضربك عندها أطلّقك منه مع العلم أنّه عندها لن يضربك...

د ـ كانت المرأة عندما تطلّق تكاد تلفظ أنفاسها والآن ها هي مسرورة كتلك الحالة التي وزّعت الحلوى عند طلاقها.

هـ ـ قبل بدء المقابلة وبعد أن استقبل أحد القضاة في مكتبه فريق البحث شاءت الصدف أن تأتي إلى المحكمة امرأة تعرّضت للضرب ودخلت مكتبه

تطلب منه المشورة والنصيحة. إنّها امرأة في الثلاثينات تبدو على وجهها علامات الحزن والتوتّر وقد جاءت برفقة شقيقها. وقد سردت للقاضي قصّتها مع زوجها وتعرّضها دوماً للضرب، كما أنّها تتناول أدوية للأعصاب منذ عشر سنوات. لديها ثلاثة أولاد. كان زوجها يمارس عليها الضرب والعنف وفي كل مرة كانت تخلّص نفسها منه لكن هذه المرة قام بضربها في مدخل المبنى حيث تسكن واستطاع الجيران إنقاذها من بين يديه. إنّه لا يريدها ولا يريد أن تعيش في منزله وقد أتت إلى المحكمة لطلب المشورة. وبعدما استمع إليها الشيخ سألها بعض الأسئلة وطلب منها أن تأتي في اليوم الثاني لرفع دعوى. وتجدر الإشارة إلى أنّ آثار الضرب كانت بادية على وجهها.

وادّعت أحدى الزوجات بأنّها تعنّف من قبل الزوج وأرادت أن تدّعي عليه، بعد كلامنا المطوّل معها في التفاصيل حول حياتهما والعلاقة القائمة في الأسرة وبعد البحث والتدقيق في حالتها اكتشفنا أنّ الزوج قد دخل المستشفى لثلاثة أيام نتيجة لاعتداء الزوجة عليه، فأتى إلى مكتبنا وقد ظهرت عليه علامات العنف والإعتداء وكان يريد الإدّعاء على زوجته التي عنّفته وهي دافعت عن نفسها بالقول أنّه حاول قتلها وكل ما فعلته أنّها «عضّته» بيده ولكن طبعاً «العضّة» دفعته لقضاء ثلاثة أيام في المستشفى وتقرير الطبيب يثبت ذلك.

ز ـ ادّعت زوجة بتمادي الزوج في العنف والإهانة، طباعه حادة منذ بداية الزواج وكان يضربها ويهينها باستمرار، وفي إحدى المرات، عندما أزداد في تعنيفها ذهبت إلى منزل أهلها لتشكي لهم فأرجعوها وطلبوا منها التمهّل من أجل الأولاد، وخاصة البنات، ولكن الحال استمر على ما هو عليه، بل كان يزداد قساوة وعنفاً حتى على أولاده. ممّا ولّد في نفوسهم النّفور والحقد عليه، وكان مكتبنا هو محطّتها الأخيرة. بعد محاولات عديدة باءت بالفشل لإصلاح الحال، طبعاً تأكّدنا من صحّة ادّعائها بعد أن كان ظاهراً عليها آثار الإعتداء، وكنا قد استدعينا الزوج لحضور إحدى الجلسات، أثناءها تصرف بشكل غير لائق وبدا قاسياً وعنيفاً معنا ومع زوجته. بعد محاولات عديدة للإصلاح، اقتنعنا بإصدار قرار التفريق وانتهت هذه الحالة بطلاق الزوجين.

من المحكمة السنية:

أ ـ تقدّمت امرأة بشكوى لدينا وأصرّت على الطلاق لأنها تعرّضت للضرب والتشويه وهذا واضح على يديها فهناك آثار للحروق والكدمات الواضحة على وجهها، وعلى جسدها، وقد صرّحت بذلك مقرونة بأدلّة ثابتة من خلال الصور الشعاعية، وتأكّد لنا ذلك من خلال المشاهدة لوجهها والآثار الموجودة إضافة إلى الأذى الظاهر على يديها. ولكن في هذه الحالة، فإنّي كقاضي عليّ أخذ الأمور بمرونة وبحيادية وأحاول أن أرشده وأعرّفه (أي للزوج) بشكل منطقي بأن هذا العمل لا يجوز.

ب ـ هناك حالة تشويه بالحرق التام لإمرأة من «النور» بعدما حرق الزوج زوجته وأحيلت الدعوى إلى المحكمة الجزائية برّأ الزوج لأنّ أهل الزوجة قد انشغلوا بعلاج ابنتهم ولم يتابعوا القضية.

ج ـ زوج متزوّج منذ 18 سنة وهي ليست على درجة من العلم والثقافة على عكسه. تذكّر هذا الزوج أنّه لم يعد يستطيع أن يتحمّل هذه الحياة أو هذا الفارق الثقافي العلمي بحيث أنّه لا يوجد تكافؤ علمي وفكري بينهما وقام بتطليق زوجته والتزوّج بأخرى متعلّمة ومثقّفة.

د ـ زوج يتقن مهنة النجارة فتزوّج من امرأة متعلّمة ومثقّفة لديها شهادة جامعية وعندهم ثلاثة أولاد، في الحياة الإجتماعية عند زيارة أحد الأقارب أو الأصدقاء، يشتكي الزوج دائماً أنّ زوجته هي التي تتحدّث وتتكلّم ولا تترك له مجال للتكلّم والتحدّث مع الناس لدى تبادل الزيارات الإجتماعية ممّا أدّى إلى المشاكل بينهما والوصول إلى الطلاق.

في المحكمة الروحية الأورثوذكسية:

أ ـ صدر قرار بحق إمرأة غادرت البيت حيث ألزمها بدفع بدل خادمة لزوجها (ولكن القاضي أكّد بأنّه لن يكرّر هكذا قرار...).

ب ـ هناك حالة الزوج الذي أتى ورفع دعوى ضد زوجته التي ضربته بمكواة...

خلاصة

يساعد الموروث الإجتماعي والقوانين على تكوين سلوك تجاوزي بحق المرأة. . . فيكون العنف بمثابة تمرين على الضبط الذاتي، وتبعاً لـ Y. Alain فإنّ العنف يبنى إجتماعيّاً ويتم اختياره أفرادياً. . .

نستنتج أن عملية التدخّل تدور في فلك القاضي ـ الشرعي ومحكمته، هو من يقرّر: نوع العنف ـ تحديد وماهية المرض النفسي ـ وهو يحدّد الحضانة وكيفيّتها(*).

ولم نسمع أحد من القضاة المستجوبين يتكلّم عن دور المحامي. . .

وضمن خيارات محدّدة وصلاحيات أكثر تحديداً، يمكن للمرأة أن تلجأ إلى المحكمة الجزائية إذا ما قرّرت الإستمرار حتى النهاية، فالمحكمة الروحية والشرعية لا يمكن أن تقدّم لها إلا ورقة تعهّد بعدم ضربها ثانية. . .

وإذا كان الوسيط الديني يعتبر تدخّله لصالح المرأة فكيف يمكن أن نبرّر عمليات التقصّي والطلب من المرأة إثبات تعرّضها للعنف من خلال تقارير طبية تكون في كثير من الأحيان غير مقبولة بوظيفة الإثبات (أو عليها أن تثبت أن من ضربها هو زوجها. . .)

وكلّما قبلت المرأة بواقعها العنفي، كلما اعتبرها الوسيط: طيبة، مخلصة، صالحة، عكس تلك «المسترجلة»، المحتالة، الكاذبة التي تدّعي على زوجها زوراً (تبعاً لما جاء في المقابلات الميدانية).

يظهر جليّاً التباين ما بين التطوّر الإجتماعي الحاصل وبين تفكير رجال الدين؛ في الذي وإن أظهر تماشياً مع التغييرات الحاصلة فإنّه يبقى السلطة القابضة ومالك المعرفة(**) الأوحد universaliser la connaissance religieuse في سعي دائم للإبقاء على الهيمنة وليس إبعادها.

(*) المرأة العاملة تعيش تناقضاً في هذا المجال فهي رغم استقلاليتها، تخاف التحرّك في طلب حقوقها مخافة أن تخسر أولادها.

(**) المعرفة هي معرفة دينية محض. . .

ربما ظهرت الفوارق خارجية ما بين الأديان رغم تكرار كلام «الفسق» المتأتي غالباً من وسائل الإعلام والأفكار الأجنبية المستوردة. . . العنف مرفوض عند المرجعية المسيحية والمرجعية هي روما ـ الفاتيكان ـ إلا أنّ فشّة الخلق». . . مبرّرة. . .

العنف مرفوض عند المرجعية المسلمة ويمكن لرجل الدين أن يقوم بالتفريق في الحالات الحرجة. . . إلا أنّ هذه الحالات لم تبرّر بشكل واضح ولم يخلُ تحليل مضمونها من استخدام كلمة «ادّعاء المرأة» أو «قوّة المرأة» أو «تهجّمها هي على زوجها». . . ولم نعلم مدى الإقتناع بحالتها أو عبر تدخّل مرجعية سياسية أو موقع اقتصادي ما. . . والمرجعية متعدّدة تبعاً للمذاهب والفئات رغم تواجد نظام العقوبات والقوانين.

وتصبح بهذا المنحى عودة المرأة إلى مرجعيّتها الطائفية حدّ لتجاوز واقعها الشخصي. . .

أليست هي سياسة تجاوزية لسلطة الوسيط وربما لسلطة علم النفس (ربما غير المقتنع بها). . . فهل يمكن لهذا التمنّع أن يدوم؟

في ظل هذا الإقرار ـ المتأرجح تبدو التربية على الديموقراطية وعلى حقوق الإنسان والمرأة، هي تربية اجتهادية تمكينية تسمح للمرأة أن تمسك قدرها بيدها. . .

لكنّها بدون شك لا يمكنها إزاحة فكرة ادعاء الشفاء.

الفصل الثالث

المقابلات الجماعية

* المقابلة الجماعية هي تقنية نتجت بفعل التطوّر الذي حصل في ميدان دراسة السلوك والجماعة... وتستخدم في علم النفس الإجتماعي لدراسة السلوك لفريق صغير ولدراسة دينامياته وآلياته شرط أن تجمع التجربة السابقة أعضاءه... ويقوم الباحث اثناءها بتوزيع الأدوار وبإثارة النقاط للنقاش ولإبداء الرأي... وأيضاً بتوزيع المهام على خلفية جمع المعلومات ورصد السلوك اللاواعي الجمعي والفردي... وأيضاً لتحديد الإتجاهات السلوكية والمواقف عامة...

من أهم شروط المقابلة الجماعية حُسن اختيار الفريق أو الجماعة وتمتع الباحث ومساعده (يه) بصفات قيادية يمكنها تحريك هذه المجموعة غير الوهمية...

قرّرنا وأثناء البحث الميداني، القيام بنوعين من المقابلات الجماعية مع مجموعتين اثنتين:

المجموعة الأولى: كانت مع 10 مراهقين تتراوح أعمارهم ما بين 15 و18 سنة ومن مئات إجتماعية مختلفة بهدف رصد مشوار العنف وتحديد

انعكاسات «المجتمعي» على «الفردي» وأيضاً «العالمي» على «الفردي» ورصد السلوك اليومي لهؤلاء المراهقين ومعرفة ردّات فعلهم على أمور حياتية أساسية تتعلّق بوضعهم الأسري، وبالتبدّلات الحاصلة في المواقف مع الأهل، ومدى تأثير التكنولوجيا في هذا التبدّل ومن كيفية تغلغل السلوك العنفي في واقعهم وفي ردّات فعلهم. . . بمعنى آخر، كيف ينتقل هذا السلوك من الحياة الإجتماعية العامة إلى الحياة الحميمية الخاصة. . .

كنّا نودّ أن نقف على ما وراء المواقف بين الجيلين: الأهل والأبناء. . .

ندرج فيما يلي دليل المقابلة:

1) البطاقة الشخصية

(الإسم ـ تاريخ ومحل الولادة ـ الجنسية ـ الجنس ـ المدرسة ـ الصف ـ الأهل ومستواهم العلمي والمهني ـ إلخ. . .)

2) العلاقة مع الأهل مواقف وردود فعل الأهل حول مواقف أساسية في العلاقة مع الأصحاب وفي تمضية أوقات الفراغ وفي التعامل مع وسائل الإعلام وفي الملبس إلخ. . . موقع النقاش معهم. . . وموقفهم من العنف. . .

3) الملبس ودلالاته Marquеur physique de l'identité.

4) تلفزيون الواقع وكافة وسائل الإعلام الأخرى (وأمور الموسيقي والرقص والفيديو كليب)

5) تمضية أوقات الفراغ وموقع «الصحبة» والرفاق فيها. . .

أما المجموعة الثانية فكانت مع 11 أسيراً محرّراً من السجون الإسرائيلية بهدف رصد العنف السياسي: آثاره ونتائجه على الأفراد، وتحديد انعكاسات «المجتمعي» على «الفردي».

فالأسير المحرر هو الضحية. . .

وندرج أيضاً وفيما يلي دليل المقابلة:

1) البطاقة الشخصية (الإسم ـ تاريخ ومحل الولادة ـ الجنسية ـ الجنس ـ

الوضع العائلي (أعزب ـ متأهل ـ مطلّق) ـ تاريخ الزواج ـ المستوى التعليمي)

(معلومات عن العائلة قبل ترك المنزل. . . الأسرة الأساسية ـ تراكم الأجيال أثناء الأسر)

2) عن حادثة الإعتقال (متى ـ كيف ـ كم من الوقت ـ مكان الإعتقال)

3) وسائل التعذيب

4) التدهور النفسي وكيفية تلقي العلاج - Syndrome Post traumatique.

5) العوارض التي تشعر أنّك تعاني منها (أحلام ـ كوابيس ـ صعوبة في النوم ـ خوف من الأشخاص ـ ذوي السلطة. . . سماع أصوات مزعجة. . . تعاطي الكحول أو المخدّرات. . . الشعور أنّك ملاحق. . .) الوضع الصحي والنفسي الحالي (خلال التعذيب / بعد التعذيب) الوضع المهني حالياً

6) الإندماج الإجتماعي بعد التعذيب (تمضية أوقات الفراغ ـ الأصدقاء ـ الزوار ـ الجيران. . .)

مع المجموعة الأولى: بعد تحديد الزمان والمكان واعتذار بعض المشاركين الذكور، جلس التلامذة المراهقين بشكل دائري يتوسّطهم مديرا الحلقة. . .

مجريات المقابلة الجماعية: بدأت المنشطة والمساعدة بتحية شكر لجميع الحضور، وطلبت من التلامذة التعريف عن أنفسهم «الإسم، العمر، المدرسة، الصف، عمل الأم وعمل الأب».

ثم بدات بطرح الأسئلة على المراهقين، كل فرد بفرده، ثم بعد ذلك قامت بطرح سؤال عام، وهنا بدأ التحاور بينهم، مع بعض المداخلات السريعة من المحرّك. وكان السؤال العام، حول التلفزيون، وما رأيهم بالبرامج وخاصة بالـ Reality TV، وما هي البرامج التي يفضّلون مشاهدتها.

المشاركة الأولى:

ـ ما هو وضعك في المدرسة، وماذا تريدين أن تفعلي بالمستقبل، وهل تحبين الدرس؟

- «بالمدرسة أنا نشيطة، بحب الـ Math، بتمنّى كمّل جامعة، بحب إدارة الأعمال، لأنو إبن عمتي دارس فيها، لا أخسر شي حين أجرّب، بحب كمّل دراستي».

المشارك الثاني:

- أريد الهجرة إلى كندا السنة الجاي.

- لكندا؟

- عندي الجنسية الكندية، عشت 4 سنين بكندا، عندي فرصة القبول.

- أحسن بكندا تتعلّم، بدّك تكمّل جامعة بكندا؟

- مناهج التعليم متطوّرة أكثر في كندا

- ليس لديك مشكلة بالثقافة؟

- بعرف اللغة وليس لدي أي مشكلة معهم

- عندك مشكلة مع الثقافة في لبنان؟

- كلا، بحب أبقى في لبنان، لكن أفضل أن أكتشف شي جديد

- وأصحابك؟

- بروح وبجي

المشاركة الثالثة:

- «بحب المواد العلمية، بتمنّى بالجامعة فوت «صيدلة» بحب التحليل، وبحب كمان الإعلام إنفتاح على الخارج».

- «ما عندك مشكلة مع غير ثقافة، عندك مشكلة مع الثقافة في لبنان؟»

- بلبنان بحب المجتمع، وبحب تطوّره ولازم نهتم بلبنان

- شو ما بتحبي بلبنان؟

- «التميز العنصري ضدّ المرأة».

المشاركة الرابعة:

- «أنا بفكّر بالصيدلة، أنا بحب المدرسة، وبحب المواد الـ Bio & Math، والعربي وبحب الصحافة كمان.

- بتحبي المدرسة؟

- بحبها كتير، الجو والأساتذة بعتبرن بيت تاني، وبفكّر بالمستقبل

- بتزعلي إذا تركتيها؟

- بحبها، لأنو بعد المدرسة لا يمكنني أن أعيش فيها

- شو ما بتحبي فيها؟

- الناس الذين يتباهون بالسيارات والـ Cellular وبكره المظاهر.

المشاركة الخامسة:

- كمان نفس السؤال

- كمّل علمي، بحب فوت إعلام، الجو بالمدرسة كتير منيح، بحب الـ Bio & Maths

- وبالجامعة؟

- «بحب الإعلام، منفتح على المجتمع، هو المجال الوحيد المنفتح على المجتمع».

- بتحبي الإعلام، هل إنت غير منفتحة على العالم؟

- كلا، لكن بحب أعرف الصح من الغلط، لأنو ليس كل شيء يصل مظبوط.

- شو بدّك توصلي للعالم؟

- «وصلن كل شيء مظبوط، لأنّو إخدين عنّا فكرة غلط غير مظبوطة، إنّنا عنصريين وعدائيين».

المشاركة السادسة:

- «ونحنا مرتاحين، في ناس كتير متصنعين، لا يمكنني أن أجد رفقة بسهولة، بحب كل المواد بحب أعمل جراحة تجميل، أريد ان أسافر على فرنسا،

كنّا نريد أن نسافر إلى كندا لكن لم نستطع، والدتي درست في الجزائر وتشجعني أن أدرس في الخارج، لكن ليس لدي مشكلة بترك أصدقائي».

ـ بدك تروحي على فرنسا أو كندا، إذا صحّلك عمل في لبنان بتبقي أو بتسافري؟

ـ نحنا من بيئة وسط، أنا ما فيني أعمل طب بالـ AUB، من بيئة الـ I.C.، ولا يمكنني أن أتأقلم مع بيئة أخرى.

ـ المشكلة مش الجو في الـ AUB، شو هي المشكلة؟

ـ أجواء العمل صعبة متل ما بتقول لي أمي، أنا بحب جراحة التجميل صعب إنو نفتح في لبنان Clinique

ـ جو رفقاتك متل العالم بالخارج

ـ أكيد في فرق، بس التأقلم سهّل

ـ لا أقصد المنهاج بل أقصد الرفقة؟

ـ ليس سهل أن أبني علاقات بسرعة، فنحن في لبنان كلنا لبنانية منفهم على بعضنا، بل أريد ان أبني علاقات جديدة لدي رغبة في ذلك.

المشاركة السابعة:

ـ جو المدرسة كتير منيح، آخر صف الـ Brevet. بحب الـ جغرافيا وما بحب إترك رفقاتي، بحب إفتح شركة سياحة، بحب السياحة، وبحب إتعلّم عدة لغّات، بحب سافر على أميركا، عندن حرية أكتر مننا، فينا نعمل متل ما بدنا، غير مقيّدين، نعمل كل ما نريد.

ـ أكيد، بتحضري تلفزيون، لا تخافي من نظرتن لنا؟

ـ ما بعارضوا أهلي، لكن أهلي بفضلوا أن أعمل في الصيدلة، أنا بحب سافر، لكن أهلي لا يحبوا أن أسافر هيدي حياتي وبدي عيشا متل ما بدي.

المشاركة الثامنة:

ـ «بالمدرسة كتير مبسوطة، بحب إدرس إعلام لأنّي جريئة، بلبنان لها وظيفة، لازم ياخدوا نظرة عن البنت منيحة».

ـ ماذا قصدك بجريئة؟

ـ «بحب أطلع على التلفزيون، بحب حاور، بحب أعرف كل شي عن المجتمع، مثلاً إذا كان أحد وزير ما بحب حدا يطلع عنو، بحب أعرف كل شي».

ـ في حدا وجهلك إهانة، على إنك أنثى؟

ـ البيئة التي أعيش فيها ينتقدوا المرأة.

ـ أهلك يشجعونك؟

ـ إيه بشجعوني، لكن الخيار لي، بابا بحب كون دكتورة، لكن أنا بحب كون إعلامية، لكي أظهر.

ـ صار في مشاكل بينك وبين والدك؟

ـ نعم، صار في مشاكل، لكنه قال لي يمكنني أن أتعلّم متل ما بدي.

ـ لمين بدك تفرجي، إنك بدّك تعملي متل ما بدّك؟

ـ للجيران والأصدقاء

ـ بتتزوجي قبل ما تخلصي جامعة؟

ـ كلا، لكن يمكنني أن أتزوج وأكفي علمي

ـ إذا تزوّجتي ولم يقبل زوجك أن تتعلمي؟

ـ أترك زوجي أو لا أتزوّج.

المشاركة التاسعة:

ـ لا أحب أن أترك علمي، الجو بالمدرسة كتير حلو بحب كون Responsable، بحب فوت على الـ AUB بحب إتعلّم Graphic Design لأنّي كتير بحب إرسم.

ـ بتحبي أكتر المدرسة أو البيت؟

ـ المكانين بحبن

المشاركة العاشرة:

ـ بحب المحاسبة، أريد أن أكفي إدارة أعمال، بحب الـ Math، بحب كمان الصحافة، بحب إنشر إعلام صحيح بشكل عام، أنقل صحافة جيدة، لأن الصحافة غير واضحة.

ـ ما هو غير الواضح؟

ـ السياسة، ما بدي إتكلم بهذا الموضوع

ـ ما هو الموضوع الذي لا يتكلّمون عنه؟

ـ موضوع لبنان

ـ في أشياء لازم نتكلّم عنها؟

ـ بلبنان ما بطوروا شي، ويتعاملوا مع أميركا

ـ إذا تقدّمت لك فرصة أن تسافري إلى أميركا تسافري؟

ـ نعم، أسافر، أدرس وأعمل، وبحب شوف كيف بعيشوا، حسب ما بسمع عن حياتهن، بحب لما روح شوف شو هي حياتهن، في أميركا أخذين عنا فكرة وسخة، كتير بحب أنا إكتشف عنهن.

دينامية المقابلة:

ـ قال الجميع بأنه يحب الإعلام، على ماذا يتفرّجون على الـ TV، وخاصة الـ Reality TV،

(ر) ـ قصدك Star Academy، كل ما بحط عليه بتقلب نفسي، سنة الماضي أتذكّر أساميهم، ولم يجيني شيء منهم، هيدي السنة زهقت.

ـ شو بتحبي تحضري؟

(ر) ـ بحب أحضر زافين، وبرنامج زاهي وهبة، أنا بحبو كتير لأنو بيعمل مقابلات مع كتّاب.

ـ إذا أجاك chance تقدمي مع زافين بتقبلي؟

(ر) ـ بحب قدّم، في ناس كتير متعصبين بالدين، بحب أعمل حلقة عن الإنفتاح والوسطية.

(ع) ـ Star Academy، أفشل برنامج، ناس سخفاء، بكونوا نايميين برجع بقلب التلفزيون بكونوا نايميين، بضلوا نايميين وبضلوا نايميين، عم يرجعوا لورا

ـ بماذا تتطّور؟

(ع) ـ الجزيرة، المنار، CNN مع إنها مع الخط الصهيوني، لكن نعطي فكرة واضحة، BBC بجيبوا شخصين عندهن نفس المشكلة مثلاً واحد اسرائيلي، واحد فلسطيني وكل واحد بفرجي نظرته الحقيقية طبعاً غير Star Academy.

(ف) ـ بس، كل إنسان بحب يروّح عن نفسه، ويحضر هيك برامج، بس الإنسان إذا ضل يحضر كل شي عن التعليم مش غلط

ـ كم ساعة بتحضري Star Academy؟

(ف) ـ لما إخلص دروسي، أنا بحب أفلام الـ Action والـ Romance

ـ بتحبي أفلام الـ Action؟

(ف) ـ أنا بحب أعرف مين الأقوى، أو أشياء سياسية بطريقة غير مباشرة، بكون في مشكلة سياسية، مخدرات أشياء كثيرة، بيتناولوا حقيقة لكن بالأفلام.

ـ هل يلغوا الواقع؟

(ف) ـ لا بحبوا يفرجوا إنهم الأفضل ما حدا يقف ضدهم

ـ بس كنت بدك تروحي سياحة على أميركا!!

(ف) ـ أنا بحب السياحة، بالرغم من كل هيدا أنا بحب روح إستكشف، إذا هيدي الحقيقة، ما بحب شوف حدا أحسن مني، لازم الإنسان يشوف إشيا جديدة.

ـ وإختلاط الجنسيات Star Academy

(ف) ـ في مجتمعنا ما عنّا حرية، ليس هناك غلط، وين المشكلة

ـ لِيْشْن! ما عندك مشكلة بالإختلاط؟

(ف) ـ ب Star Academy في ممنوعات، ما في شي غلط

(هـ) ـ ب Star Academy في كتير كاميرات، إذا أحد دخل إلى الـ Toilette، أو نام بضلوا حاطينن وكمان بحطوا لما يكونوا عم ياكلوا، أنا بحب إحضر الـ Prime، سوبر ستار ناجح.

ـ بتحبي تكوني معن على المسرح؟

(هـ) ـ أنا بحب الإستعراضات، هيديك السنة محمد عطية حب ميرا، بحبوا بعضن.

ـ إنت ستايلك (style) متلن؟

(هـ) ـ أنا بحب هيدا الـ Style

ـ بتلبسي متلن؟

(هـ) ـ بحبن بس ما بقلّدن، أنا بحب شوف ما بيلبقلي، عندن لبس حلو.

(ن) ـ في ناس بتحضر وفي ناس بتنتقد، لا بقدموا ولا بأخروا، وبس بعض الوقت بضيّع وقتي فيهن، بس كل شي من الخارج، لكن زافين يتطرّق لمواضيع سياسية وإجتماعية، وأنا بحب إحضر Oprah بتجيب ممثلين، مغنيين، . . .

ـ ما هي المواضيع التي تختلفين فيها مع أهلك؟

(ن) ـ المواضيع السياسية، في المدرسة يعلمونا تقبّل الغير، أهلي عاشوا في بيئة غير بيئتنا بوقت الحرب في مقارنة بين جيلنا وجيلهم.

ـ هيدا رأي أصدقائك

(ن) ـ نعم

ـ بتعتبري إنو جيلنا منفتح أكثر؟

(ن) ـ نعم ونحنا منفتحين على كل الأديان، مسيحية، إسلام منحكي مع كل العالم، الأهل لا يتقبلوا، بفضل عندن تحفّظ.

(هـ) ـ في ناس بيهتموا بالطوائف، وبفرقوا، أنا لا أحب التفرقة، نحنا منعاشر كل الطوائف، عندنا رفقة مسيحية، بالنهاية كلنا إخوة وأصدقاء.

شو رأيكن بال Video Clip؟

(هـ) ـ في فنانين جداد متل بياعين البطاطا، مثلاً Maria وغيرها، بيعرضوا حالن وشكلن.

ـ شو رأيك بالصبايا، حلوين؟

(ع) ـ إيه حلوين، بس بخلوني شوف إنو هيدي المرأة، لكن كلهن عندن نفس الصفات، Maria، هيفاء، في نسوان عندن شي بحبوا يظهروا.

ـ هيدا صار خطر على مجتمعنا، صار عندنا هذه النظرة للمرأة.

(ع) ـ نعم هيدي هي المرأة

ـ مش أول شرط عندك تحكي مع امرأة حلوة؟

(ع) ـ نعم، أول شرط تكون حلوة، الفرق إنو تكون حلوة أو تخفّف ثياب عشان تلفت نظري.

(ر) ـ شو رأيك (ز) بال Video Clip؟

(ز) ـ نجوى كرم، محترمة حالها، وميريام فارس كل الشباب بحبوا لبسها.

(هـ) ـ في كتير أصوات مهمة، لا نراها على التلفزيون مثل: جوليا بطرس، شركات الإنتاج بياخدوا الفنانين المش نظاف، بطلعوا Video Clip وثاني جمعة بطلعوا غيرو، حتى بالأفلام بياخدوا بنات لبنانية مثل عادل إمام أخذ نيكول سابا لانّها جريئة.

(ف) ـ نحنا، عم نعطيهم هيدي الصورة، ونحنا عم نشجّع هيك ناس.

(ب) ـ مجتمعنا لا يتقبّل الفنانة المحافظة على حالها.

(ف) ـ كل واحد بدو مصلحتو، لا يهم إذا كانت الفنانة نظيفة أو وسخة.

(ع) ـ كله تجارة

(ب) ـ الفنانين بوقتنا مش نظاف

(ن) ـ ليه، دايماً بيحكوا عن البنات في عبدو عزيز

ـ (ع)، البنات الحولك بقلدو هيدا الـ Style؟

(ع) ـ نعم، رفقاتي كتير متصنعين لكن نفس الشي وكتير بسطحية

ـ (ع): مين مثلك الأعلى؟

(ع) ـ جمال عبد الناصر، بحبو كتير

ـ بيّك مثلك؟

(ع) ـ بابا بحبو، لكن ليس مثاله الأعلى

ـ (ر)، بتحبي تلبسي مثل Star Academy؟

(ر) ـ طبعاً، بتأثّر لأنو هيدا كل شي بالسوق، وهيدا شي حلو.

ـ لا تتأثّري فيهن؟

(ر) ـ بطريقة غير مباشرة أتأثّر فيهن

ـ (ن) بتتأثري فيهن؟

(ن) ـ هيدي الموضة، وأنا بحب إلبس تياب حلوة.

ـ أهلك عندن مشكلة بطريقة لبسك؟

(ن) ـ لا، ما عندن مشكلة.

ـ أهلك بعارضوا إنّك تروحي تسهري بخارج البيت (Night)؟

(ن) ـ لا بيقبلوا، لأنّي صغيرة على هذه الأجواء، بس انا بروح على ال Cinema مع رفقاتي

ـ (ل)، أهلك عندن مشلكة بهذا الموضوع؟

(ل) ـ نحنا بعدنا صغار

ـ إنت طلعتي بهيدا القرار؟

(ل) ـ انا وأهلي

ـ وأهلك على الموضة؟

(ل) ـ عادي

(ع) ـ ما هي الموضة، كان عمري 13 سنة كنت أقلّد العالم، لكن بس صار عمري 18 سنة صرت ميّز

ـ (ع)، بتحب إختك تروح تسهر؟

(ع) ـ تروح، تشوف وتسهر، لأنّو كل شي ممنوع مرغوب، أنا رحت 3 أو 4 مرات على الـ Night Club، لقيت شي عادي، أهلي بقلولي أن أعمل شو ما بدي، ما بيمنعوا عني شي، بس بحاولوا يقنعوني، حتى الدخان ما بيمنعوني عنه، لكن بقولوا لي إنّه مضرّ وأنا مقتنع بهذا الشي.

ـ (ر)، إنتِ ما بتسهري؟

(ر) أهلي ما بيقبلوا

ـ مين بيعارض السهر؟

(ر) ـ أكيد، بابا لأنّو أنا بنتو الدلوعة.

(ع) ـ لرجال بفكرو، أنا بخاف على إختي أكثر من حالي

ـ إذا كان عندك ثقة بإختك

(ع) ـ لو في ثقة، بضل في خوف من حالات الإغتصاب

ـ إختك رايحة مع Group مش لحالها.

(ع) ـ بس الواحد لازم ياخد احتياطاته.

(دامت المقابلة ساعة ونصف)

مع المجموعة الثانية

بعد تحديد المكان والزمان، جلس الأسرى المحرّرون بشكل دائري يتوسّطهم مديرا الحلقة وذلك لمدة ساعتان

الأسرى هم (بدون ترتيب محدّد) (ع.ح.) (ن.ح.) (ع.ط.) (ح.ح.) (أ.ط.) (ف.ج.) (أ.ع.) (ج.ش.) (ح.ع.) (ر.ج.) (ع.ع.)

والجدير بالذكر أنّنا سنعرض إجاباتهم مجتمعة بدون الحوار المباشر، نظراً لطبيعة المقابلة الإنفعالية التي ذكرت عاطفياً الأسير بواقعه المؤلم، والجدير بالذكر أنّ المحاور التي تدور حولها الأسئلة تكلّم فيها الأسرى بشكل حرّ أكثر ممّا تمّت مقاطعتهم من قبل المنشّطة.

وقد كان كل منهم يعبّر عن نفسه بشكل حر ومفصّل، ويحكي لنا عن تجربته في الاسر ويمكن تفسير ذلك بأمرين اثنين:

الأول: هو حاجتهم للتنفيس عن الذات التي توقّف الحلم والفعل لديها فترة من الزمن

الثاني: هو حاجتهم للمساعدة في استعادة دور ما في الواقع الإجتماعي وكأنّ بهذه المقابلة ستكون الفرصة الأولى لرأب الصدع الذي حصل.

المحاور الأساسية التي تدور حولها الأسئلة هي كما سبق وذكرنا تركّزت على:

تاريخ الزواج والإعتقال، المستوى التعليمي، معلومات عن عائلته، توقيت الإعتقال، وسائل التعذيب، الوضع النفسي، العوارض التي عانوا منها على الصعيد النفسي الجسدي والإجتماعي، الأمراض النفسية والجنسية بعد التحرير، الإندماج الإجتماعي، العلاقات بمن حولهم، رغباتهم، أحلامهم...

وقد تمّ السؤال عن كل محور من هذه المحاور وذلك تباعاً على الأسرى، لذا سنكتفي بعرض إجاباتهم عن هذه الأسئلة كلّ بدوره وبشكل متواصل ودون ترتيب محدّد:

- لم أرَ عائلتي من تاريخ الإعتقال، خلال فترة الأسر، لم يسمحوا لعائلاتنا بالزيارة، بعد 1995، قمنا بإضراب 20 يوما عن الأكل مع الأخوة الفلسطينيين كي يسمحوا لنا برؤية أهلنا، والتصوير، وكان سجننا في فلسطين. عند عودتنا كان هناك إستقبال رسمي وشعبي على المطار وحضور 15 شخصية رسمية، فنحن كنا مجموعة كبيرة من الأسرى الذين تحرّروا سنة 2004.

في المطار لم أعرف إبني، هو تعرّف عليّ ولوّح لي وصرخ بإسمي، كدت أترك الوفد الرسمي وأركض لاحتضانه، ولم أصدّق حتى وصلت إلى إبني وابنتي، هذا شعور لا يوصف، فرحة لا توصف.

بفضل المقاومة حُرِّرْنا، كل يوم أقبّل أولادي قبل النوم.

وقد سُئل عمّا إذا تقبّل أولاده وجوده بسهولة، حيث أنّهم كبروا بغيابه وقد تعوّدوا على اتّخاذ قراراتهم بأنفسهم، هل تقبّلوا دوره بحرية؟

هنا شدّد على تربية زوجته لأولادها تربية إسلامية بحتة، عندما عدت إلى البيت لم يكن هناك فتور، أبوهم بطل وقد اعتقل في ساحة المواجهة، وكانوا يروني على شاشة التلفاز باستمرار.

لحيته سميكة سوداء يضع خواتم فضة وشعره سميك أسود.

- اعتقلت كان عمري 16 سنة وقد كنت أنهيت صف الـ Brevet سنة 1986، مدّة اعتقالي كانت 14 سنة، خرجت في سنة 2000، في المعتقل تعلّمت العبرية، لأنّي كنت داخل فلسطين، بعد التحرير عملت مترجم ومحرّر في المنار.

عندما خرجت تزوّجت بعد سنة ولي صبي وبنت، وقد حدث تغيير كبير بحياتي، في سنة 1986 كنت بالضيعة في ميس الجبل، بعد خروجي كان أهلي قد انتقلوا إلى بيروت، تغيّرت العملة (قبل الحرب كان هناك الليرة،

خرجت لأرى عملة 1000 ليرة) نوعية العلاقات تغيّرت، القرابة اختلفت وخفّت.

ـ أنا من سكّان الضاحية، عندما تمّ اعتقالي كان عمري 20 سنة، الحياة لم تتغيّر كنّا معتقلين خلال الحرب أمضينا 20 سنة، خرجنا لنجد أنّ البنايات تغيّرت، الجامعة اللبنانية لا تملك تجهيزات لا يوجد فيها كهرباء ولا موتور، سنة 1986، كان هناك حرب، لكن الآن لا يوجد وتوقّعنا أن يكون بالجامعة معدّات.

تزوّجت عندما خرجت من الأسر وزوجتي حامل.

لاحظت بعد التحرير أنّ العلاقات الإجتماعية تغيّرت وأصبح يشوبها الفتور والبرود.

ـ أنا من الجنوب، هناك مشاكل إجتماعية إقتصادية نعاني منها، مثلاً عندما خرجت من الأسر لم يكن هناك جهات تحتضننا، بالإضافة إلى أنّه لم يكن هناك بيت أسكن فيه، كنت عند بيت خالي، وهناك مشاكل إقتصادية وصعوبات تعاني منها البنات المحرّرات، أنا أعمل عند حزب الله وأسكن في بيروت، غير متزوّجة وأعمل بالمنار.

عندما سجنت كنت أعيش في القرية، وخرجت لأعيش في بيروت، لقد عشت في قرية ولا أعرف شيء عن بيروت حتى الحياة اليومية، الخروج من المنزل والعلاقات مع الناس، الناس في بيروت «غريبين». في القرية العلاقات محدودة.

حتى المستوى التعليمي في القرية غير مرتفع بسبب الإحتلال، وقد عانيت أنا من كل هذا.

ـ عندما اعتقلت كنت في الجامعة سنة ثانية علوم سياسية، عايشت الأزمة مع صبايا اعتقلت معي، هذه القضية دقيقية، كانت عملية الإفراج جماعية، قسم كبير من البنات خرجن مع بعض، لحظة التسليم للصليب الأحمر هي مؤثّرة جداً. أهلي يعيشون في بيروت، لهذا خرجت من المعتقل إلى منزل والدي في بيروت، أنا شخصياً لم أعاني من مشكلة الإقامة عكس الكثير من

البنات اللواتي كنّ معي لهذا ممكن لبعض الأسيرات أن يأتين في منزل أهلي أسبوع أو شهر، لكن بعد ذلك ماذا؟؟ المشكلة ما زالت قائمة.

إنّ حزب الله يحترم ويقدّر أسراه، الدولة لم تهتم بأحد، ولم تحتضن أي أسير ولم تعالج مشاكله الصحية أو الإجتماعية ولم تؤمّن له عملاً يعتاش منه، لقد تزوّجت بعد الإفراج بسنة. زوجي مناضل، لو لم يكن مناضلاً لما تزوّجني أساساً ولدي ولدين (صبيين).

كنت أعمل وبعد شهرين عندما عرفوا أنّي أسيرة طردوني من عملي.

ـ نحن للأسف مجتمع شرقي جدّاً، والشرف يكمن في جسد المرأة فقط، كانوا دائماً يسألونني: «تعدّوا عليكن؟» ممكن أن يكون هناك إغتصاب وتعدّي من ضمن التعذيب، لكن ليس الإغتصاب هو السؤال الأساسي، لماذا عند المرأة الإغتصاب هو المحور الأساسي؟ هناك وسائل تعذيب أقسى!

في الفترات السابقة كان وجود المرأة في المعتقل غير مقبول. لكن أسِرْتُ نساء كي يَكُنّ وسيلة ضغط على أولادهن، وعندما جرّبن الأسر تغيّرت نظرتهن للإعتقال.

ـ في المعتقل يوجد مساواة، من لا يملك شيء لا يفقد شيء، خارج المعتقل، من لا يملك شيء يفقد كل شيء، فقدان الحنان، المشاكل النفسية الإقتصادية داخل السجن كنّا نتسابق كي نتبنّى قضية معينة وندافع عن رفاقنا.

في الخارج إذا تكلّمنا يصل الخبر بشكل مختلف، كذب، لا مصداقية، في السجن تُكشَف الأقنعة.

خرجت من زنزانة مترين وربع بمترين وربع فيها 6 أشخاص، عندما مشيت على الطريق لأول مرة لم أستطع تقدير المسافة بيني وبين السيارة، عندما اجتزت الطريق لم أعرف إذا قد تدهسني السيارة أم لا.

ـ أنا كنت مدرّساً في التعليم الديني، عندي 4 أولاد، لكن زوجتي أسقطت جنينها نتيجة التعذيب بعد 3 أشهر حمل، سنة 1985 اعتقلت لأيام ودخلت مستشفى مرجعيون، أثْبَتَت الفحوصات أنّي أعاني من تضخّم في القلب

وهذا يؤدّي إلى دوخة، سرعة دقات القلب، تعب، ورم، . . . المشكلة الصحية تفاقمت بسبب الكهرباء التي استعملت أثناء التعذيب، الإعتقالات المتعدّدة أدّت إلى زيادة المشكلة الصحية، زوجتي كانت على معرفة بالوضع، وقد قلت لها لا تنتظريني قبل 20 سنة، وإذا سألك الأولاد قولي مسافر واحضري لهم هدايا بإسمي، وقد سئل لماذا لم يرد أن يعرف أولاده أنّه بطل؟ كانوا بعدن زغار، ولا أريدهم أن يشعروا بالوحدة واليتم وهذا يؤثّر على دراستهم، أردتهم أن يمارسوا حياتهم بشكل طبيعي. على كل حال سيعرفون في النهاية.

تقييم عام:

إنّ هذه المجموعة، المجموعة الثانية وعبر العنف السياسي الذي انعكس بوضوح على عذاب أفراد المجموعة وحدّد هويّتهم وبرز دون حاجة لجواز سفر أو عبور من العالمي إلى المجتمعي إلى الشخصي لأنّ هذه المستويات الثلاثة متداخلة ومترابطة. . . وهي مجموعة منسجمة نظراً لتوحّد ظرفها بشكل واضح.

«نحن أرقام. . . تحوّلنا إلى أرقام. . . رجاءً أن تحلّلوا ما حدث معنا. .».

«نحن بحاجة إلى إعادة تأهيل».

وتحدّثوا كثيراً عن المتغيّر الجغرافي ما بين الريف والمدينة. . . «المدينة. . . عالم منفتح كثيراً. . . عكس الريف. . . رغم أنّ هذا الأخير تغيّر بعد الحرب. . . لكن. .». الهوية وتحديدها كانت محور أغلب النقاشات وربطت بوسائل الإعلام التي تطوّرت كثيراً في الفترة الأخيرة عكس ما كانت عليه أبان أسرهم. . .

لقد برز «ح» و«ع» كـ leader وبرز أيضاً الفرق بين «ع» و«ج» للتباري ما بين أماكن الأسر لتقدير الذات. . . هي تجربة استعادة البؤس والعذاب والمشاركة فيها حسرة الإستذكار. . .

نلاحظ الفروق في الإنتماءات الثقافية لدى المجموعة الأولى، الذين يجمعهم العمر ومن ثمّ مرحلة المراهقة التي وحّدت ماضيهم اليانع فكان

الأغلب يجيب: «كما قال من قبلي» ورغم تضامنهم ضدّ المنشّط، إلا أنّ وجود الذكر الوحيد لم يجعله يتذمّر أو يبحث عن آليات دفاعية يحمي نفسه عبرها...

ولا بدّ من التنويه بالتقارب الذي حصل بينهم وبين محركة الحلقة التي سعت إلى حسن التدخّل في الوقت المناسب وبرز العنف كصدى للمجتمع، تطرّقوا إليه دون أن يكون ظاهرياً عبئاً عليهم وبينهم... لقد حاول الطرفان التقرّب إلى الآخر... فدارت الحوارات الجانبية بينهما...

لقد أثارت «ص» موضوع العنصرية، وعبّرت «ن» عن تأثّرها بأمّها، ولم تبخلّ «ف» علينا ببسماتها، أمّا «ب» فقد حكمت على نفسها «أنا حزينة»... «بابا يريدني أن أكون «دكتورة» بس أنا ما بحب...

عنف إجتماعي، يبرز عبر عنف والدي. أعلامي أبرز شباب عيّنتنا وهي مهم وإنتقال منطقي غير مأزمي حول الأفكار... والقناعات... كنا نتوقّعه أكثر إشكالية فكان أكثر قناعة وضمانة وفرح ومشاركة، ظاهرية؟؟ ربما، لكن لها دلالة...

ورغم أنّه في المقابلة الجماعية يصعب التمثيل عينياً وفكرياً إلا أنّها أثبتت صراع الأجيال لكنّها قطعت في السائد مع هؤلاء المراهقين الذين بدوا أكبر من عمرهم. وقلّت عندهم أواليات الدفاع... وغابت بعد فترة قليلة تعابير الإستغراب... استوعبوا العنف وقبلوا الآخر بسرعة. ومن الطبيعي ألا تلعب المقابلة الجماعية دور المقابلة وجهاً لوجه وأن تصل إلى الأعماق لكن سرعة التأقلم وكسر حواجز السائد الذي يأتلف مع الغربة (غربة الآخر...) ظهر بوضوح مع شباب الغد، أو ليس يمكن أن يكون مؤشّراً إيجابياً علينا تطويره؟

الفصل الرابع

العنف في رسومات الأطفال

الرسم هو أحد التقنيات الإسقاطية التي اعتمدناها في هذه الدراسة والتي طبّقناها مع مجموعتين من الأطفال خلال شهري نيسان وأيار في العام 2005:

أ) المجموعة الأولى:

قد شملت 60 طفلاً، وحدّدنا مواصفات هؤلاء الأطفال ما بين عمر 7 و10 سنوات(*) في إطار ما سمّيناه «العنف المنزلي»، أو بمعنى آخر من سبق وتعرّض لحالة عنف (جسدي ـ لفظي ـ إلخ. . .) مباشر أو غير مباشر من أحد والديه أو من أحد أفراد أسرته (أب ـ أم ـ أخ ـ أخت ـ خال ـ عم ـ زوجة أب ـ زوج أم إلخ. . .)، ممّا يحمل الطفل الذي ينشأ في كنف هذه الأسرة على التفتيش المستمر عن أمان ما ينعكس في سلوكه القلق وغير المستقر، وفي خوف مستمر يرافقه عقدة خوف وينمو في داخله أحاسيس متفرّقة بالغربة والإختلاف السلبي عن الآخرين وأيضاً عن عدم تقدير ذاته. بالمقابل يمكن أن تكون الحماية والرعاية المتزايدة مغالية إلى حد حصار عاطفي عليه، فالحب الذي

(*) تتميز هذه المرحلة العمرية بالقدرة (إذا ما شاء الطفل) على تجسيد المعاناة بتلقائية وبعفوية.

يكبّل الولد هو عنف من نوع آخر.

إذاً، لم نحدّد نوع العنف إنّما الحالة هي التي تقدّم نفسها، ممّا اقتضى جمع المعلومات التالية عن:

- الأسرة بكافة مستوياتها الثقافية / الإجتماعية / الإقتصادية / السكنية إلخ... وترتيب الأخوة وعددهم.

- المدرسة (نوعها - مكانها - لغتها - إلخ...)

- مجموعة الرفاق... وسائل الإعلام إلخ...)

2) المجموعة الثانية:

قد شملت 50 طفلاً، اخترنا منهم ما بين عمر 4 و6 سنوات، أي في بداية المرحلة التأسيسية. وطالما أنّ السلوك البشري هو تراكمي وتتداخل المواقف في لا وعيه دون حتمية القدرة على إظهار المكنونات... أو التعبير عنها بشكل مباشر. لذا لجأنا وبشكل مبرّر إلى الرسم في هذا القسم بالذات ومع هذه المجموعة كي نرصد الجانب السيكولوجي لردود فعل على حادثة عنفية وهي عكس المجموعة الأولى، متأتية في المجموعة الثانية من جرّاء عنف سياسي مصنّف إرهابي، وهو عنف عام طال مجال الحياة اليومية في لبنان لا بل العالم، وهي حادثة اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري؛ حيث أتى الرسم كتقنية إسقاطية لأحاسيس يمكن أن تجول في أفكار هؤلاء الأطفال دون إيجاد سبيل لإخراجها ولتفسيرها علّها تخرج في الرسم.

نكتفي بتحليل مضمونها دون عرض الرسومات.

ونحن نعيش في عصر العولمة والإنفتاح المعلوماتي والإعلامي فإنّ الخبر ينتشر بسرعة البرق، وما تلفزيون الواقع إلا تلفزيون لا ينقل أساليب حياة الآخرين فحسب، بل إنّه ينقل الخبر لحظة حدوثه وبكافة حيثياته وهذا ما حدث لدى حادثة الإغتيال التي هزّت كيان لبنان والعالم وغيّرت مجرى الأحداث حتى ساعة كتابة هذا الحدث، وتكلم فيها وعنها القاصي والداني، الراشد والقاصر.

ويمكن القول أنّها حادثة تجريبية تدخل في عمق إطار بحثنا النظري، فبعد تبرير الخيارات يجب رصد الطريقة التي يجب التوجّه فيها إلى الطفل علماً بأنّ العنف لا يأخذ دائماً وجهه التقليدي المتعارف عليه، ويمكن أن يخفي أو يتخفّى في سلوك البشر ممّا قد يخلق مضاعفات جمّة أمام Le non-dit وهي مضاعفات قائمة على واقع متشابك، لكنه لا بد من أن يعبّر عنه بشكل غير مباشروعبر رمزية الموقف.

يقوم العلاج النفسي أساساً على حوار يتم بين طرفين؛ هذا الحوار يتمّ غالباً من خلال تبادل الكلمات، أي ينشأ حوار لفظي بين المريض والمعالج، حيث يطلق المريض العنان للسانه كي يعبّر عمّا يجول في خاطره من ذكريات وأحداث ومشاعر وانفعالات كأول خطوة نحو تحقيق الإستبصار بطبيعة مشكلاته والتعرّف على أسبابها متقدّماً نحو الشفاء. غير أنّه في كثير من الأحيان نجد المرضى يتوقّفون عن الحوار اللفظي ويلوذون بالصمت طوال الجلسة العلاجية. وبالرغم ممّا في الصمت من لغة فإنّ الصمت الطويل خلال الجلسات المتعدّدة قد تؤدّي إلى فشل هذه العملية. كذلك فإنّ المرضى من الأطفال لا تمكنهم اللغة من إقامة حوار يعكسون من خلاله طبيعة مشكلاتهم ومن ثمّ يلجأ المعالجون النفسيون إلى وسائل أخرى يمكن الإستفادة منها لإقامة الحوار وتحقيق التواصل مع المرضى، وخاصة مع الأطفال، لعلّ أهمّها استخدام الرسم في العلاج النفسي، سواء كعامل مساعد أو رئيسي في العملية العلاجية.

ويُعد الرسم عملاً تعبيرياً يقوم به الطفل وهو بديل اللغة؛ وهو شكل من التواصل غير اللفظي وأيضاً شكل من أشكال التنفيس، فالأطفال عن طريق الرسم يعكسون مشاعرهم الحقيقية تجاه أنفسهم والآخرين، ومن ثم كانت الرسوم وسيلة ممتازة لفهم العوامل النفسية وراء السلوك المشكّل، وقد أثبتت الدراسات النفسية أنّنا نستطيع من خلال الرسم الحر للأطفال أن نصل إلى لا شعوره، وأن نتعرّف على مشكلاته وما يعانيه، وكذلك التعرّف على ميوله واتجاهاته ومدى اهتمامه بموضوعات معيّنة في البيئة التي يعيش فيها، وعلاقته بالآخرين سواء في الأسرة أو الرفاق أو الكبار.

في هذا الإطار، طلبنا من أطفال أن يرسموا ما يعرفونه عن الإنفجار الذي أدّى إلى استشهاد الرئيس رفيق الحريري أو أن يرسموا أسرتهم، أحد أفرادها أو المسكن. . . ولقد تمّ الطلب تارة بشكل إفرادي وتارة بشكل جماعي (في الصف ومن ثم التركيز ـ بدون إظهاره ـ على أحدهم من لفت نظر عبر أسئلة قبل وبعد الرسم).

وفي بعض الأحيان كنّا نطرح قصّة تطال الوضعية للمجموعة الأولى أو للمجموعة الثانية. أو كنّا نطرح بداية صورة عن الرئيس الشهيد ونسألهم عنه. . .

كيف توجّهنا إلى الطفل؟

يجب أن نختار إراحته كي نبدأ معه علاقة ودّية ونجعله يرسم باختيار إحدى الطريقتين:

1 ـ إمّا أن نسأله، وهو يرسم، عن رسوماته.

2 ـ إما أن نراقبه بدقّة ودون أن أزعجه، وننتظر إلى أن ينتهي، فنسأله في هذه الحالة. من أين نبدأ، وأين ننتهي. . .

ففي المجموعة الأولى يجب، وقبل الشروع بالرسم، معرفة نوع الحالة بالتفصيل، وجمع كافة المعلومات المطلوبة والتفصيلية عن وضعه العائلي.

وافترضنا أن يرسم نهار الأحد حيث تجتمع العائلة أو الأسرة في المنزل أو أنّه نهار مخصّص للأسرة حيث أنّها تقضي اليوم مجتمعة ـ في جميع الحالات قد نطلب منه بطريقة مختلفة، لكن الهدف أن يرسم أسرته أو أحد أفراد أسرته.

أمّا بالنسبة للمجموعة الثانية فإنّنا كما سبق وذكرنا ـ تنوّعت المواقف التقريبية، وسنعرض لإحدى الحالات التمهيدية التي حصلت علماً أنّ مدّة الرسم في جميع الحالات تراوحت ما بين 30 دقيقة و45 دقيقة:

«أثناء تواجدنا في الصف، ضمن حصة تعليمية حيث كان موضوع الدرس الرفق بالحيوان وكيف أنّ الله يعاقب من يؤذي الحيوان مع سرد قصص

عن أذية الحيوان، وربط ذلك الموضوع بأذية الإنسان ومن ثمّ هل يجوز لنا أن نقتل إنساناً من غير ذنب، وما هو جزاء من قتل الشهيد رفيق الحريري؟ فما رأيكم أن نرسم شيئاً عن هذا الموضوع؟ هنا بدأ الأطفال بالرسم ولكن قبل أن نكمل لا بد أن نشير إلى عدة نقاط:

أولاً: لسنا بحاجة لتهيئة أجواء نفسية للتلاميذ حيث أنّه ومنذ بداية العام كنّا نتحدّث عن الحنان والرفق. . .

ثانياً: لم نستخدم تقنيات مساعدة حول الحريري سوى موضوع الدرس الذي أوصل إلى حرقة قتل الإنسان من غير سبب.

ثالثاً: إنّ كل التلاميذ قد عاشوا هذه الأزمة إذا لم نجد مشكلة مع أي منهم أو استفسار بل استرسلوا بالرسم والتلوين.

ولقد لفت النظر تلميذ يرسم عن الربيع والشمس الصفراء بتفاصيلها وبغيومها في نفس الوقت هي سماء زرقاء وتمطر ولوّن الغيمة من نفس لون المنزل. وعندما سألناه لماذا رسمت عن الربيع مع إنّني طلبت منك أن ترسم عن الحريري؟ فقال لنا إنّ الحريري في الجنّة ولا أريد أن أنزله إلى هنا حتى لا يتعذّب! فسألته: وما أدراك أنه في الجنة؟ فقال: لأنّني رأيته على التلفاز يلعب مع الصغار وكل من يفعل ذلك يدخل الجنة وهو إسقاط إيجابي وكأنّه هروب من الموت ونظرة جيدة عن الشهيد.

الغريب في الرسم هذه الجبال التي تحيط السيارات، والشارع الذي لونه بالأسود، مع العلم أنّه لا يوجد في مكان الإنفجار جبل بل بحر وبنايات ولون الجبال ولون النار الذي حدّدها هو الأخضر.

هل هذا خيال واسع؟

للوهلة الأولى نرى في هذه الرسمة نوع من الغموض والرسوم الكثيرة، كأن هناك حالة فوضى في شخصية هذه الطفلة لأنّها بالصف هادئة جداً وانعزالة إلى حدّ ما. نجد سيارات بكثرة وأشخاص أيضاً باللون الاحمر معنى ذلك أنّهم ماتوا.

التقنيات الإسقاطية:

يعتبر الإسقاط أوليّة أساسية في علم النفس وتعود كلمة إسقاط إلى الكلمة اللاتينية Projection، وتعني الإلقاء Jeter en avant.

فالإسقاط هو آلية دفاع تساعد الإنسان على حماية نفسه عبر تفريغ ما في نفسه من مكبوتات مخزّنة في الأنا الأعلى. ومن هنا تعتبر التقنيات الإسقاطية عملية انعكاسية تعكس المكبوتات الداخلية عبر عدة طرق من التعبير سواء بالكتابة أو الرسم.

وتطلب الطرق الإسقاطية من المفحوص أن يتصرّف بطريقة تحليلية مثل تكوين قصة، تفسير بقع حبر أو استكمال بعض العبارات... ونحن لا نطلب من المفحوص ملاحظة ما يدور بمشاعره، بل نطلب منه أن يحرّر نفسه من قيوده وينطلق بعيداً عن أي نقد يتخيّل ويتصوّر ومن خلال تصوّراته وتحليلاته نقوم بمقارنة حالة اللاشعور عنده.

وتتميّز الإختيارات الإسقاطية بعدّة صفات عامة إذ تشتمل على مواد مثيرة كالصور والبقع من الحبر والعبارات واللعب ومثيرات سمعية. فيقوم المفحوص بإعطاء هذه المادة معاني وخيالات معيّنة فيسقط الجانب الخفي من خلال تصوّراته. فهو يعكس من خلال إسقاطه. صفة «السيكولوجية» ويسقطها ممّا يساعد الباحث على فهم نفسيّته.

وفي بحثنا هذا استتبعنا الطريقة التقليدية وهي الرسم عند الطفل عبر الصورة والمخيّلة المرتبطة بواقع معيوش فنستطيع من خلال الرسم رصد المواقف الأسرية ولنفسية الطفل وموقعه في الأسرة.

الطفل وأسرته

الحالة رقم (1):

يعيش (أ) حالة تعنيف غير مباشرة ومتبادلة من جهة أخته الأكبر منه. فلجأنا إلى الرسم كوسيلة للتعرّف على حياة هذا الطفل.

كون الطفل يعاني من الخوف الذي سبّب له مشكلة في النطق وجعله انطوائي إلى حدٍّ ما. لا يحب تدخّل الجنس الآخر في كل أفعاله وخاصة أخته الأكبر منه بقليل، التي تمارس إلى حدٍّ ما نحوه بعض أنواع العنف سواء الكلامي وحتى في بعض الأحيان الضرب المتبادل من الطرفين وذلك دفعنا لأن نختاره كموضوع لجمع المعطيات وإمكانية التواصل بشكل مباشر معه ومع أهله.

(ر) رسم العائلة: وهي الطريقة التي استخدمت لدراسة حالة (أ). ورائز رسم العائلة هو (ر) استطلاعي يكشف عن بنية شخصية الطفل من خلال رسم عائلة تمثّل في الواقع عائلته والهدف أن يعبّر الطفل عن أفكاره اللاواعية بواسطة الرسم.

طلبنا من الطفل قبل يومين أن يرسم لنا فرفض، ويعود السبب في ذلك لأنّه يأخذ دروس خصوصية وهذه الدروس تأخذ وقتاً طويلاً، ويعود منها إلى المنزل وينام فورا.٠ وحدّد يوماً للرسم كان يوم السبت وهو يوم عطلته عادة.

الرسم:

عبارة عن الأب من الجهة اليسرى ثم الأم ثم الطفل، وأخته الصغرى مع ملاحظة ارتفاع وكبر حجم الوالدين عن الأولاد، وعدم رسم أخته الوسطى وذلك يعبّر عن الغيرة تجاهها والعنف الذي يتلقّاه منها.

الأسئلة حول الرسم:

1 ـ أخبرني من هم هؤلاء وماذا يفعلون؟

البي والأم والأولاد رسمت البي أولاً لأنو صبي ولازم نرسمو أول شي.

2 ـ من ألطف شخص بين أفراد هذه العائلة؟ ولماذا؟

أنا لأنّو بحب ماما وبابا وإختي.

3 ـ مين هو أزعج شخص بينهم ولماذا؟

البي لأنّو أزعج واحد لأنو بيصرّخ بس ما أدرس منيح

4 ـ مين هو الأكثر سعادة ولماذا؟

الأم لأنّها تضحك.

5 ـ من هو الأقل سعادة ولماذا؟

أختي الكبيرة لأنّها بتضرب (مع الملاحظة أنّها غير موجودة في الرسمة)

6 ـ إنت مين بتفضّل في هذه العائلة؟

البي والأم.

7 ـ يريد والدكم أن يأخذكم في نزهة بالسيارة، ولكن لا يوجد مكان للجميع فمن يبقى في المنزل؟

الأم (مع الملاحظة أن إجابته غير صريحة وقليلاً جداً ما يقوم والده في نزهة مع العائلة لأنّ ذلك من مهام والدته)

8 ـ إن لم يكن أحد الأطفال عاقلاً فمن هو؟ وكيف تحب أن تعاقبه؟

البنت منقلا ممنوع تروح معنا بس خيك لأنو اكبر منك.

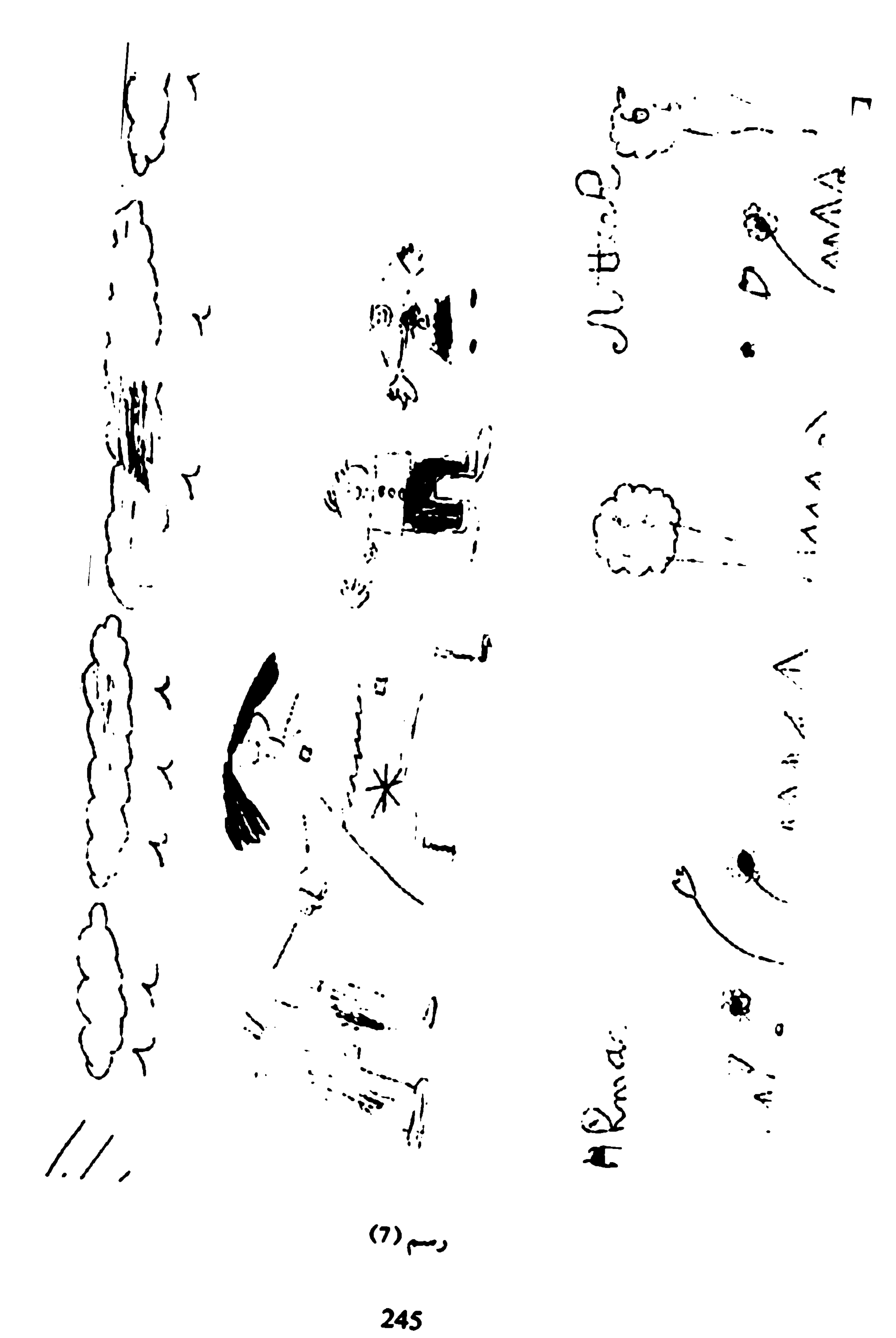
9 ـ لو فرضنا أنّك شخص من هذه العائلة، مكان من تضع نفسك ولماذا؟

«كان البنت (الأخت الصغيرة) لأنّو بحبها وبحب أكون الأب لأنّه أقوى».

ينحصر أصدقاء (أ) في المدرسة مع أبناء من جنسه وليس لديه أصدقاء في الحي ولا يلعب بالكومبيوتر. . . لديه ألعاب يدوية مثل أي طفل وفي العطلة يقوم بنزهة مع عائلته. . .

حالة رقم (2)

الطفل الأول «ر» هو الطفل الأخير لدى أهله، اختيارنا له نظراً لوضعه الصعب الذي يعاني منه نتيجة عدم اكتراث أهله به. طفلٌ في الثامنة من عمره يعاني من ثقل في الكلام (صعوبة في النطق) وإذا تكلّم بعض الكلمات لا تكون واضحة.



رسم (7)

لفتت حالته انتباهنا عندما جاءت إحدى سيدات المجتمع وقدمت لأهله المساعدة بعرضه على أخصائي لحلّ مشكلته بدون أن يدفعوا المال أي على نفقتها وأخذت لهم موعد مع إعلامهم بذلك. إلا أنّنا نفاجأ أن والدته لم تأخذه إلى الأخصائي، السبب أن هناك شيء أهم من ابنها وهو البحر، هل يصدق هذا أمٌّ لا تأبه لإبنها وما حجتها: البحر!

والأب كان يتحجّج بالمال وبوضعه الحالي وعندما تأمّنت له تلك المساعدة لم يستفد منها.

إضافةً إلى ذلك، فالعلاقة بين الأم والأب دائماً متوتّرة. فالأب ينده للأم بأسوأ الكلمات على مدى صوته ويضربها بما لديه أمام أعين أولاده ممّا يؤثّر على الأولاد نفسياً.

أضف إلى ذلك ممارسة أخاه الأكبر القوة عليه، فيقوم بضربه عندما يرى ذلك ضرورياً لتربيته.

هذه المشاكل تبرز عند (ر) على الصعيد اليومي في فشله المدرسي بحيث أنّه في الثامنة من عمره وما زال في الأول ابتدائي (لا يعرف أن يلفظ فكيف ذلك؟) كما يبرز ذلك من خلال حركات معيّنة وغريبة نوعاً ما وكثيراً ما يقلّد والده ويصرخ على أمّه.

بالنسبة لعدد المرات التي عُنّف بها، لا يمكن إحصاءها، فلأخيه الحق بضربه متى يشاء كما لا نعرف إلى متى سيبقى على حاله دون عرضه على اخصائي.

ولكن بشكل عام، يكون العنف أقوى في فصل الصيف لأنّه في الصيف تدعه أمّه يلعب على الكمبيوتر ويشاهد التلفاز ساعة يشاء ثم تضربه بدلاً من أن تفهمه حدوده وأين يكون الصح والخطأ.

أما بالنسبة لـ (غ) البالغة من العمر 10 سنوات فهي أيضاً متأثّرة بوضع أهلها الذين دائماً في حالة عراك إن كان في الكلام أو في الضرب. ولكن إضافة إلى ذلك فهي تعاني من تمييز بينها وبين إخوتها الصبيان فوالدها كان يريدها صبي بحيث أنّه عبّر عن ذلك بغضب شديد. أمّا اليوم يميّزها عن غيرها ولكن الإختلاف أصبح اليوم مع الأم، فالأم هي من يميّز: حين تلعب هي وأخاها

يكون القصاص الأكبر لها وكأنّها تقاصص عنها وعن أخيها. وعدا عن أمّها فإنّ أخاها يضربها لأنّه الأكبر ويجب أن يمارس عليها سلطته أي سلطة الأكبر على الأصغر وسلطة الصبي على الفتاة. علاقتها بأختها الأكبر دائماً سيّئة بحيث أنّهما لا يتّفقا مع بعضهما وعادةً بسبب الرفاق.

(غ) اليوم لا تعترف بوجود أمّها، ففي إحدى المرات عندما ذهبت أمّها لكي تجلب علامتها من المدرسة رأت غادة أمّها وقالت لرفاقها إنّها الخادمة لديهم. ودائماً تقول لرفاقها «يا ريت أنا عندي أم مثل أمكم».

تبرز مشكلتها في تأخرها المدرسي فهي ما زالت في الثالث ابتدائي. إضافة إلى تردادها لبعض العبارة منها «يا ريت أنا صبي» وكأنّها تحاول أن تجعل ذلك في الحقيقة من خلال لعبها كالصبيان ومع الصبيان فهي تكره اللعب مع البنات كما تمضي وقتها على الإنترنت عندما يسمح لها الوقت بذلك. فهي لديها E-Mail خاص بها قالت لي اسمه (Bad Girls) ولكن بعد ذلك قالت لي «ما دخلك شو بدك به».

نبدأ بالرسومات مع (ر):

رسم (ر) كل أسرته في نزهة على الرغم من تردّده في رسم والده. فرَسَم والده على أسفل الورقة من جهة اليمين وفوقه بقليل رسم أمّه وفوقها هو بحيث ميّز هذا القسم الأيمن بتحديد أسماء هذه الجهة كما أعطى لوالده دوراً بأنّه يشرب الأرجيلة، ولوالدته أنّها تحضّر القهوة على الغاز (غاز صغير نقّال). أمّا أخوته فجعلهم على الجهة اليسرى وجعل الأقرب له أخته الصغرى (غ) وميّزها باستخدام أكثر الالوان لتلوينها (خمس ألوان).

رسم أخته الكبرى وكأنّها أصغر أفراد الأسرة ميّزها بتلوين كل رجل بلون مختلف أمّا أخاه الأكبر فكان له الدور الأكبر في رسمته بحيث رسمه أكبر الأشخاص وجعله يتميّز بتسعة دوائر أو أزرار، وجعل يديه ملوّنة بالأسود. إضافة إلى رسم الأشخاص، رسم سلّتين (Basket) ولكل سلة كرة (Ball).

كان (ر) أثناء رسمه يشدّ على القلم وهو يرسم ويلوّن، مما يدلّ أنه

عدواني في تصرّفاته وأنّ هناك مشكلة لديه لذا يحاول عبر ذلك أن يثبت وجوده. رسم الأيدي ذو ثلاث أو أربع أصابع، وفي البدء لم يرسم يدي والده وأخته الصغرى.

جعل يديه مختلفتين عن بعضهما فرسم يد من أربع أصابع من جهة الأيسر معلقة بجسده، ويده الأخرى بعيدة نوعاً ما وكأنّه يقول إنّ لكل يد عمل مختلف.

في شرحه للرسمة وضّح لي أنّ (ر) يعيط (يصرخ) على (غ) و(ر) تعيط (تصرخ) عليه. وإنّ الكل مبسوط إلا هو و(غ). وعندما سألته لماذا لم يجاوب.

أكثر الألوان استخداماً هو اللون الأصفر الذي تبيّن إنّه أفضل الألوان لديه.

على الرغم من جعله لأخيه أطول الأفراد إلا أنّه رسمه دون رجلين. هذا يدلّ على خوفه منه وبنفس الوقت الغيرة.

عمد في رسمه على التميز بين البنت والصبي وجعل البنات يشبهن أمّهنّ والصبيين أقرب إلى والدهم وميّز رسم عيون والده وجعلها كالأزرار التي رسمها. وكأنّه يقول أنّه على الرغم من كل شيء يعانيه، الآن سوف يكون بقوة أخيه الأكبر وأبيه.

من خلال هذا الرسم يمكن أن نحلّل بشكل أفضل نظراً للمعاني التي يمكن أن تعبّر عنها هذه الرسمة.

رسم البيت، رسم البيت كالشكل المعتاد ولكن جعله مميّز من خلال الشبابيك الأربعة أي أنّه زاد اثنين كل واحد إلى جانب الباب وكما نعلم هذه النوافذ مهمة وفي بعض الأحيان أكثر من الباب لأنّها تعني الداخل أكثر. وبالتالي عني علاقة الذات بالداخل.

أما الباب فرسمه مع مقبضة ممّا يعني أنّ البيت مسكون يسكنه الناس. كما أنّ الباب يعني الداخل وإذا كان مغلقاً فيعني أنّ هناك خوف من الخارج.

كما أضاف للبيت درجتين مع أنّهم يسكنون في منزل طابق أرضي بسبب وضع والده المقعد. يمكن من خلال ذلك أن يكون والده داخل البيت.

ميّز البيت بلونٍ واحد وكتب بهذا اللون اسمه.

الشمس، رسم بدل الشمس ثلاثة وميّز واحدة منهم تقع في الوسط بأنّها تضحك أي رسمها بشكل وجه وكأنّها تعبّر عنه.

رسم الطريق، رسم الطريق وجعلها باللون الأحمر وعليها سيارتان من نفس اللون. إلى جانب الطريق هناك أشياء رفض التكلّم عنها إلا أنّه تكلّم عن جهة خضراء وقال أنّها حشيش، مع العلم أنّ هذه الطريق لا توصل إلى البيت. ممّا يعني عدم التواصل بين أفراد الأسرة.

الورود، قسم الورود إلى قسمين ثلاثة صفراء دون دائرة في قلبها ولكن معها ورقتين، وثلاثة باللون الزهري مع الدائرة ولكن دون الأوراق. وكأنّه يقرب هذا الأمر إلى الواقع ويعبّر عن الورود الصفراء بأنّهم هو وأبيه وأخيه، أما الورود الزهرية اللون فهي أمّه وأخواته البنات.

ولكنه جعل العشب الذي تقف عليه هذه الورود باللون الرصاصي وكأنّه عشب يابس وكأنّ كل شيء من حولهم لا حياة فيه.

في الرسمة الثالثة ل(ر) أظهر مدى تأثّره بالألعاب الجديدة (الكمبيوتر)، فرسم المحل الذي يلعب فيه وغيرها من ألعاب مع باب مخطّط ومقفل لونه باللون الغامق. طبعاً دون ان ننسى الرجل صاحب المحل ومعه عصاً يقف خلف مكتبه. رسم الشخص وشدّد عليه لأنه يعمل على مراقبته أثناء اللعب ويمنعه من أن يفعل ما يحلو له. إضافةً إلى رسمة جديدة موجودة في المحل لونها بالأحمر. ولكن الملفت في هذه الرسمة أنّه رسم شخصاً يقف في وجه باب المحل وجعله على شكل فراشة وبعدها قال إنّه هو وقال انّه ممنوع من دخول هذا المحل.

إضافة إلى رسمه لفراشة صغيرة وضعها ضمن إطار محدّد بالرصاص. ويعني ذلك أنّه يريد الحرية لأنّ الفراشة تعني الحرية ولكن هذه الحرية محبوسة وتظهر بشكل أكبر عبر ما سمّاه بالحائط والحيطان التي تحيط به.

تحليل رسومات (غ):

أصرّت (غ) على رسم أشخاص خارج أفراد أسرتها، فرسمت البعض من الأولاد ـ أقاربها إضافة إلى شخصين كانا قد أخافاها وجعلتهما ضمن كادر كما فعلت بأمّها وأبيها، ولكن رفضت تسميتهم. جعلت نفسها أطول من أمّها مع أنّ امّها طويلة وجعلت أمّها دون رقبة وهي تشرب كأس العرق. أما والدها فحاولت أن تقرّب صورته من الواقع من خلال رأسه الأصلع في الوسط، يشرب الأرجيلة، ويتناول الطعام على الطاولة التي يوجد عليها البطاطا المقلية والسلطة وكأس العرق.

جعلت (ر) أخاها الأكبر الذي يبلغ من العمر 16 سنة هو الأطول بين الأشخاص أو ربما أنّه يمارس سلطة الأكبر عليها. . .

بالنسبة ل(ر) أختها الكبرى التي تبلغ من العمر 14 سنة فجعلتها تظهر وكأنّها هي الأصغر، وتبادلت معها المواصفات ممّا يعني أن (غ) رسمت نفسها الأطول وصاحبة الشعر الطويل ورسمت أختها قصيرة وشعرها قصير.

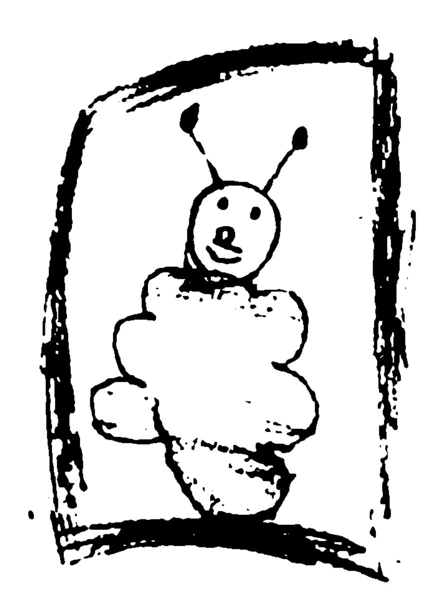
وتريد أن تكون مثل أختها أي بأن يكون شعرها وقامتها مثل أختها.

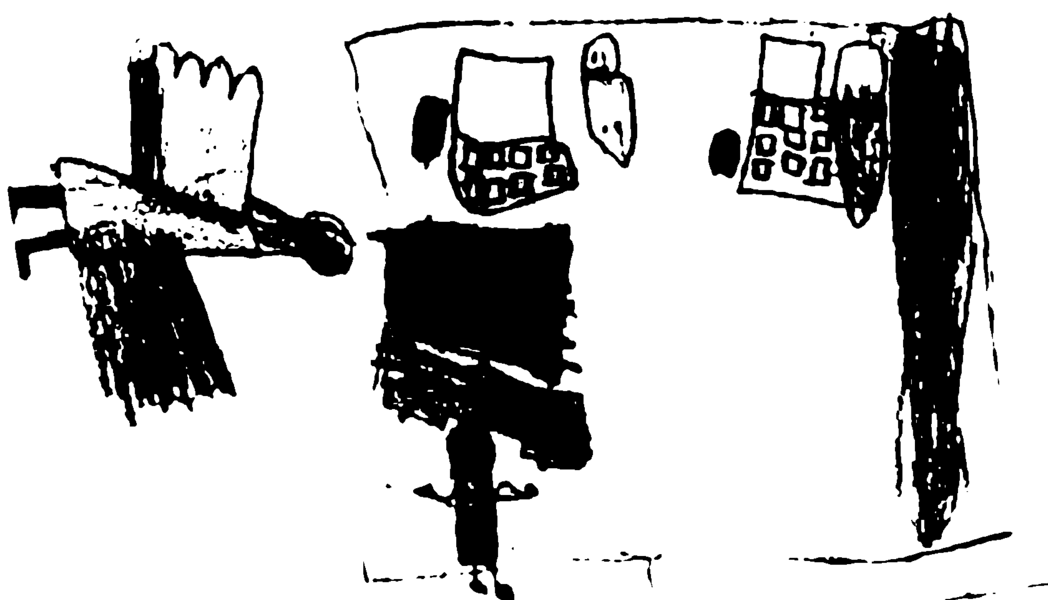
أما أخاها الأصغر فرسمته بجسد ملون بين الزهر والأزرق والأخضر وجعلته يتميّز عن أخاه الأكبر. وكأنّها تقول إنّ هذا الأخ هو الأقرب لها وهي تحبّه

بالنسبة للأشخاص الباقين الذين يلعبون معهم فهم من الأقارب (أولاد العمة) وأصرّت على رسمهم لأنها من النادر أن تراهم، ولكن في ذلك اليوم بالذات كان الكل مجتمعاً وأحبّت ذلك؛ ولكن من بين الإثنين هي ميّزت واحدة بارتداء التنورة السوداء وشدّدت على شعرها وتبيّن أنّ هذه الفتاة اسمها سمارا وهي من عمرها لكنّها أشطر منها في المدرسة وأطول منها. فمن خلال التنورة تحاول أن تثبت أنّها فتاة مميّزة عنها، هنا ظهرت عقدة الدونية التي تعاني منها (غ)، بشكل عام في هذه الرسمة كانت (غ) تحاول أن تجعل الصورة جميلة، وحاولت أن تستخدم اللون نفسه عند التمييز بين شخصين ولكن واحد



رسم (8)







رسم (9)

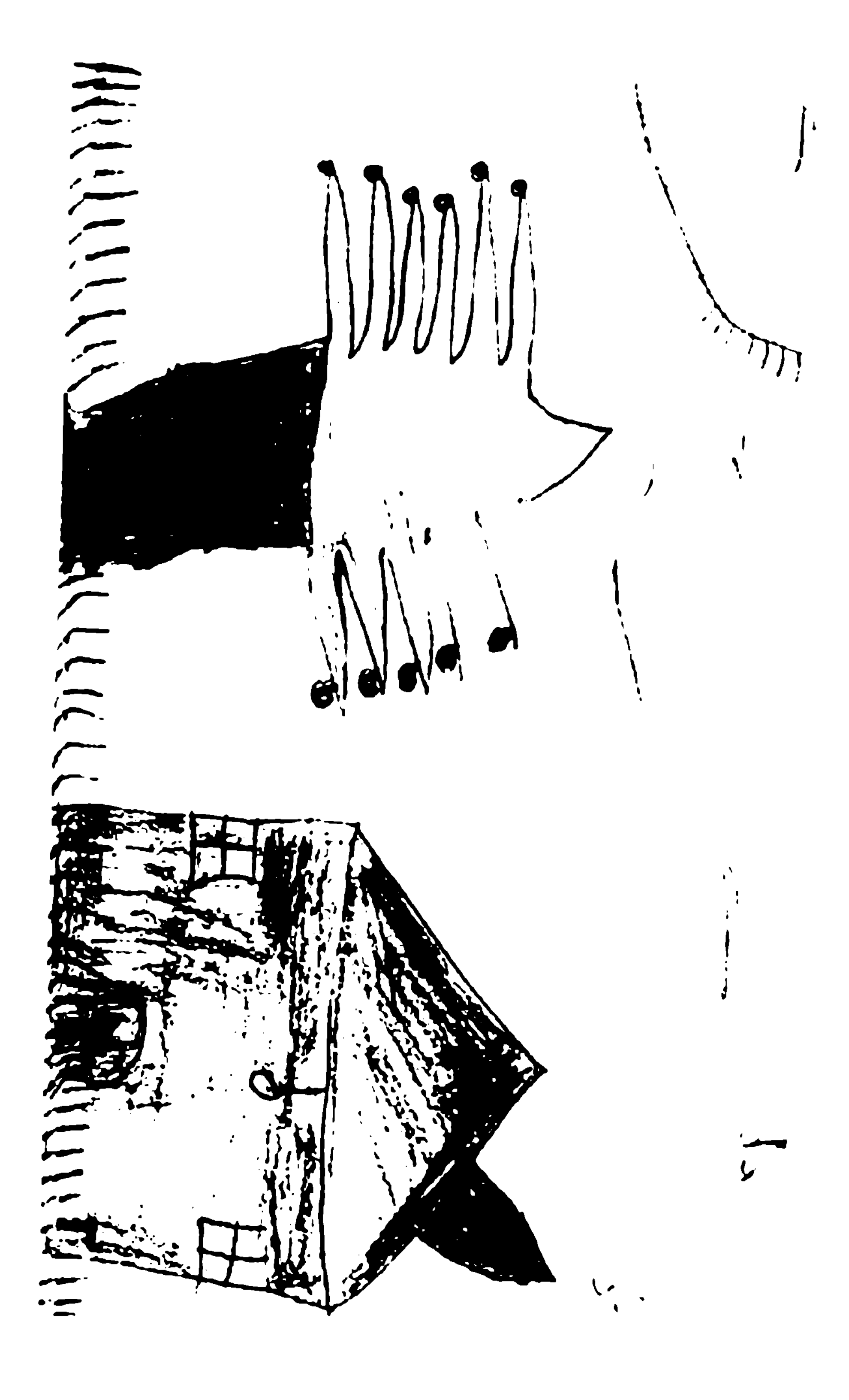
باللون الأفتح والآخر باللون الأغمق. عملت على الشدّ على التلوين على من سمّتها غادة وهذا تأكيد على وجودها وإثبات لذاتها. عملت على فصل الأجيال كلي تثبت عدم التواصل بين الأهل والأولاد.

الرسمة الثانية والثالثة كانتا متشابهتين إلى حدّ ما عند غادة وكأنّها تريد أن تؤكّد على شيء ما من خلال هذا الرسم الحر. (بيت، شجرة، غيوم وشمس)

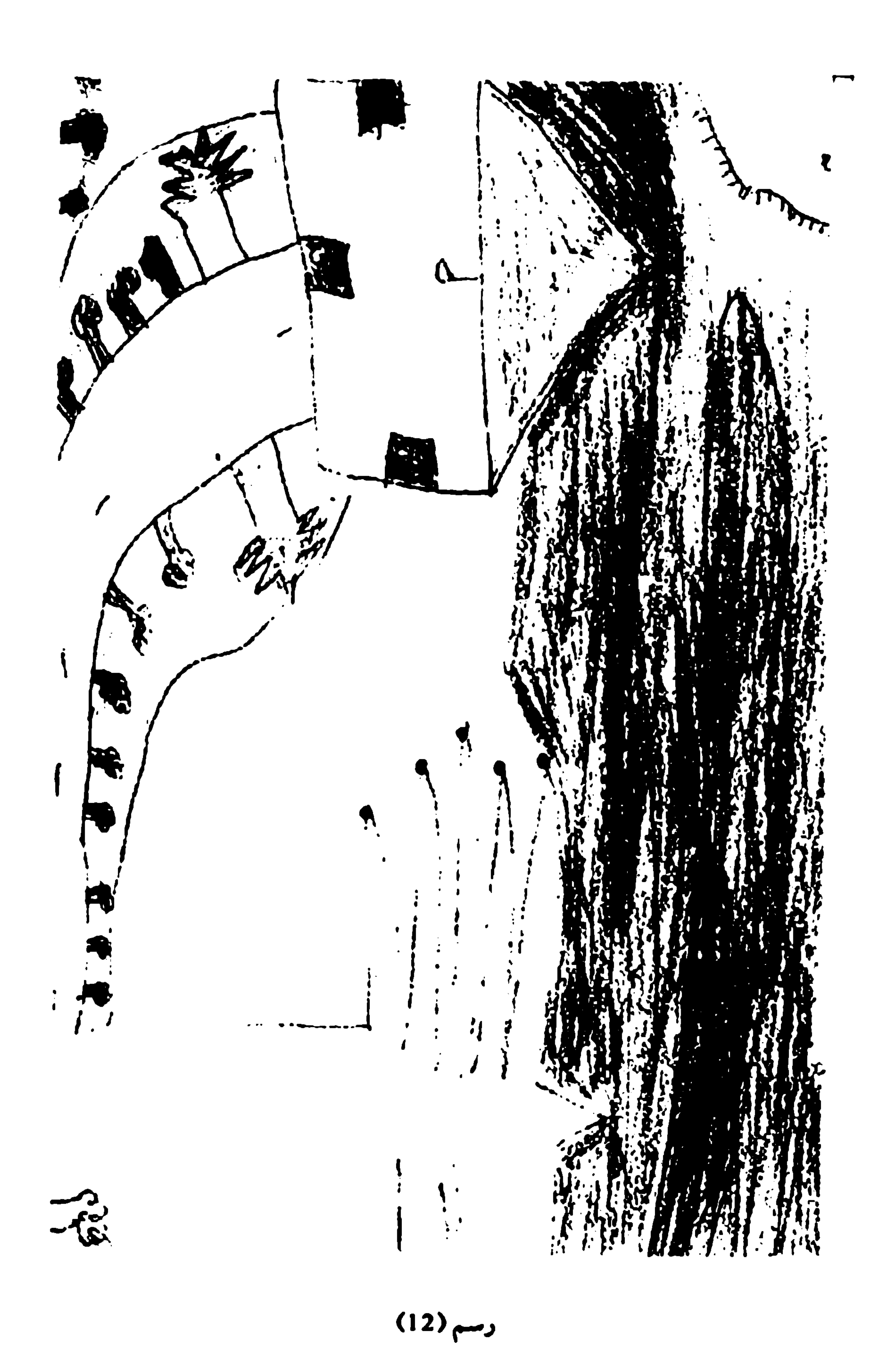
البيت، رسمت على سطح البيت مدخنة ولكن جعلتها مقفلة ممّا يعبّر عن علاقات داخلية غير حميمة.



رسم (10)



رسم (11)



رسم (12)

الفصل الخامس

دراسة الحالة

غالباً ما يمارس العنف رغبة في استتباع طرف لآخر والتحكم به، وفرض الإرادة عليه وتسخيره للقيام بما لا يرتضيه لنفسه. . .

وهو فعل تعسفي يتسم بالعدوانية في إطار علاقة قوة غير متكافئة اقتصادياً وإجتماعياً وسياسياً مما يتسبب في إحداث أضرار مادية، معنوية ونتائجها بالطبع نفسية. . .

ويتخذّ العنف ـ كما سبق ـ داخل الأسرة، أشكالاً متعددة (ضد المرأة من الرجل/ ضد الرجل من المرأة/ أو من الأهل ضد الأولاد أو العكس الخ. . .)

أنه ما نسميه العنف المنزلي، أي أن يعنّف أحد أفراد الأسرة الآخر ويهدّد مكانته داخلها. . . والعنف الذي ألفه الناس عادة هو ما يصيب المرأة من زوجها وما يثيره هذا العنف من مشكلة إنسانية أو حقوقية أو دينية. . . وتكمن العقبة الرئيسية في عدم بوح النساء، وذلك أمّا عن عجز عن البوح لعدم القدرة على تحملّ النتائج وأما تقبلّ العنف واعتباره جزءاً من الحياة الطبيعية في ظل انتشار ظاهرة العنف في الحياة الأسرية في جميع شرائح المجتمع

ومذاهبه، في إطار علاقات الدونية والفوقية بين أفراد المجتمع، وهي مكوّنة في أغلب الأحيان على «الجندر».

لا بدّ من لفت النظر إلى حصد كمّ هائل ومتنوع من الحالات العنفية داخل الأسرة اللبنانية، وهذا ما لم يتوقعه مساعدو البحاثة أنفسهم. . .

وبالطبع، ونظراً لصعوبة الحصول على سير ذاتية مفصلة، وهي صعوبة مرتبطة بالموضوع نفسه الذي يُحجم أغلب الناس عن الغوص في حيثياته حتى الضحية نفسها. . . فإننا اعتمدنا في هذا الفصل، درس حالات نمطية تَحَيَّنَّا الفرص للقائها، وتركنا الحرية في كيفية الحصول التفصيلي على المعلومات وفي تقديم الحالة بهدف ترك خصوصية الحالة ولكسر جمود الصمت مع المبحوثين دون السماح بتجاوز أسس الحلقات التدريبية التي تحدّدت قبل خوض غمار الميدان.

لقد تم جمع حالات العنف المنزلي خلال عامي 2004 و2005 ويمكن توزيعها كالتالي:

الحالة	الاسم	العمر	* نوع العنف	من مَنْ؟
1	غيدا	12	عنف جسدي بعد وفاة ابيها وزواج أمها	الأقارب حيث تعيش معهم
2	منى	32	عنف لفظي/ جسدي/ نفسي	بين الزوجين
3	جمال	15	عنف جنسي / اغتصاب	ابن خالتها
4	غالية	34	عنف بكافة أنواعه	الزوج
5	غادة	32	عنف لفظي وجسدي	الأخ نحو أخته
6	سامي	28	عنف بكافة أنواعه	الأم نحو ابنها
7	نورا	22	عنف جنسي / اغتصاب	خارج المنزل (في الحي)
8	ملاك	40	عنف بكافة أنواعه	الحماه تجاه كنتها

جدول (20)

* أشارت الدراسة إلى ترابط أنواع العنف بعضها بالبعض الآخر، وما هذا التقسيم إلاّ لتصنيف أنواع الحالات.

الحالة رقم ـ 1 ـ

«غيدا»

الإسم: غيدا

العمر: 12 سنة

المستوى التعليمي: السادس الأساسي

ملاحظة: عمر الأب عند وفاته 23

عمر الأم عند وفاة الزوج 23

عمر الفتيات عند وفاة الأب

الكبرى 4 سنوات، والوسطى 3 سنوات، أما الصغرى

فلا تتجاوز الشهر والنصف.

معلومات عامة حول الحالة:

بداية كانت «غ» تحيا حياة طبيعية مع والدها ووالدتها وأختيها، إلى ان توفي الأب من جراء صعق التيار الكهربائي له أثناء ممارسة عمله (تصليح الأدوات الكهربائية).

تزوجت الأم بعد وفاة الأب، وبقيت الفتيات دون معيل، فما كان من العمة (أخت الأب) إلّا أن وجدت نفسها مضطرة إلى تربيتهم، حيث كانت حينذاك (غ) بعمر الست سنوات.

كيفية التعرّف إلى الحالة:

تمّ التعرف على الفتاة المعنفة «غ» من خلال الأصدقاء المجاورين لها، الأمر الذي سهّل لنا مهمّة الإطلاع على الحالة بشكلٍ مفصّل.

الحالة:

بعد وفاة والدها وبفترة وجيزة، كانت أمها تقوم بممارسة العلاقات الجنسية (بموجب عقود زواج مؤقتة)، على مرأى من فتياتها في المنزل الصغير الذي يتألف من غرفة واحدة ومطبخ.

إلى ان جاء يوم وقرّرت الأم أن تتزوج زواجاً دائماً، وتخلت عن بناتها، فخسرن بذلك الفتيات كلاً من الأب والأم في آنٍ معاً.

وبعد زواج الأم لم يبادر أيّ من الأقارب لتربية الفتيات والاهتمام بهنّ، باستثناء الخالة (أخت الأم) التي أخذت على عاتقها مسؤولية تربية الفتيات ولكنها لم تنجح في ذلك حيث تعرّض الأولاد لإهمال كبير، ثم انتقلت الفتيات بعد ذلك إلى حضانة الجد (والد الأب) وهو أرمل ومسّن، إلاّ أنه وبدوره لم ينجح في تقديم ما يلزم لهن من الرعاية والعناية.

وأخيراً لم يكن من العمة بعد تخلّي جميع الأقارب عن الفتيات إلاّ أن تبرعت هي وقبلت الاهتمام بهنّ، وكانت هذه العمة تعيش مع زوجها وابنتيها، كانت إحداهن في التاسعة من عمرها والأخرى في السابعة؛ هنا بدأت دوامة العذاب بالنسبة للفتيات اليتيمات ولا سيما لكبراهن، وذلك بدءاً من المفاضلة في المعاملة من قبل العمة لأولادها من جهة ولأولاد أخيها من جهة أخرى؛ فالاهتمام بأكمله كان منصباً على بناتها ورعايتهن والاهتمام بهن من مأكل وملبس وترفيه... فكانت الأطايب تترك جانباً لبناتها، فيما كانت بنات الأخ اليتيمات تأكلن بقايا وفضلات الطعام. وكذلك الأمر فيما يتعلق بالملبس حيث كانت الأم تشتري الثياب الأنيقة والباهظة الثمن لبناتها، أمّا بنات الأخ، فلم يحصلن على أكثر من الثياب البالية والرّثة التي كانت سابقاً لبنات عمتهن. وهكذا دواليك في معظم الأمور بما في ذلك القضايا الترفيهية، ومنها مشاهدة التلفاز، إذ لم يُسمح للفتيات (بنات الأخ) بمشاهدة البرامج التي ترضي أذواقهن، بل عليهن المشاهدة مع بنات عمتهن وهن يقبعن في زاوية الغرفة مغلوبٌ على أمرهن؛ أما فيما يتعلق بالنزهات الترفيهية، فكانت العمة تنزه لبناتها فيما تبقى بنات أخيها في المنزل تعملن وتعملن، الأمر الذي اعتدن الفتيات على القيام به حيث كنّ يقمن كل يوم بجميع أعمال المنزل من توضيب وتنظيف وطهو، وكن إضافة إلى ذلك يتلقين الأوامر من بنات عمتهن فيما يتعلّق بتنظيف المنزل إلى ما هنالك من الأمور؛ ولم يكن على أولئك الفتيات إلاّ الرضوخ لتلك الأوامر التي تنزل عليهن من كل حدبٍ وصوب.

أما العم، زوج العمة، فكان الأكثر تفهماً واستيعاباً ما عدا تفاديه لتحريض الزوجة. العمة... مرضت «غ» ولم تلق ما يلزمها من الراحة والعلاج في المنزل فتفاقمت حالتها سوءاً، ورغم ذلك لم يقم أيٌّ من العمة أو زوجها بتحريك ساكن إلى ان ساء الوضع كثيراً عندها وبعد تردّد زوج العمة بإرسالها إلى المستشفى، حيث بقيت وحيدة، حتى أنّ العمة وزوجها لم يسمحا لأختيها بالإقامة معها في المستشفى لرعايتها وذلك بقطع الوعود لهما بأنهما سوف يأتيان في اليوم التالي للاطمئنان عليها ولكنهما لم يفيا بوعودهما لهما، إلا بعد مرور خمسة أيام من تاريخ دخولها المستشفى. وهكذا بقيت حال الفتيات اليتيمات يزداد تعقيداً واكتشفت العمة بعد مراقبتها لهن انهن يمارسن الجنس مع بعضهن البعض، أي ان الفتيات «سحاقيات» ومعتقداتٌ أن ما يقمن به هو أمر طبيعي... أنه نتيجة لماضي كانت الفتيات شاهدات عليه... وهذا ما برر ازدياد الضغط على الفتيات إلى حدّ ضربهن ضرباً مبرحاً وتعنيفهن لفظياً وجسدياً بدل توعيتهن على أن ما يقمن به سلوك خاطئ ينبغي تغييره.

عادة أخرى واكتشفت لدى الفتاة «غ» تمثلت هذه المرة في السرقة، وذلك أثناء إحدى الحفلات المقامة في منزل أحد الأقارب، حيث كانت بصحبة عمتها وابنتيها الاثنتين، وفجأة تكتشف إحدى الحاضرات أنها قد فقدت الأقراط الخاصة بها، واكتشفت بعد ذلك العمة وعن طريق الصدفة ان «غ» تضع الأقراط في أذنيها ونالت طبعاً «غ» عقاباً وخيماً منها، وتعرّضت للضرب المبرح.

إلاّ أنّ الجدير بالذكر ان «غ» كانت فتاة قوية إلى حد صلابة التحدي، إذ أنّ أية أوامر كانت توّجه إليها من قبل العمة أو زوجها أو بناتها كانت تواجهها وتقابلها بالرفض المطلق والقاطع وبإجابة حادة تنم عن شخصية عنيفة وبغيضة في معاملتها للجيران والأقران ولرفاقها ورفيقاتها في المدرسة...

أرادت العمة تزويجها وهي لا تتجاوز الاثني عشرة من عمرها، لشاب يكبرها بثماني سنوات وهو غير مستقر في عمل دائم، كما أنه لا يملك مسكناً أو بيت الزوجية، فرفضت الفتاة الارتباط به، لكن الضغط غير المباشر عليها مستمر من قبل العمة وزوجها من خلال ترهيبها وتخويفها وسوء معاملتها

ومعاملة أختيها، كأداة ضغط عليها للرضوخ لمطالب العمة وزوجها والقبول بذلك العريس.

وقد تم استخدام رائز تركيب الجمل مع «غ»:

- أنا أخاف: من فقدان أختي.
- أنا أحب: أختاي ولعبتي.
- الدرس: أحبه وأحب القراءة والمطالعة.
- أنا أكره: أن يضربني أحد.

الحالة رقم - 2 -

أسباب اختيار الحالة:

في الأماكن السكنية القريبة والمتلاصقة من بعضها البعض في ضواحي بيروت تسنح الفرصة لأن نسمع ونشاهد العديد من صرخات الزوجات المعنفات من قبل أزواجهن، والطرد والهروب في ظلمات الليالي إلى الشوارع علهن يجدن أحداً يبعد عنهن غضب أزواجهن، وحالة «منى» هي أكثر الحالات التي تتعرض للعنف بمختلف أنواعه. عمرها 32 سنة، ربّة منزل، درست حتى الأول متوسط - زوجها، «فادي»، عمره 36 سنة، درس حتى الأول ثانوي، يعمل في مهنة حرة، لديهما ولدان: ابنة (10 أعوام) وصبي (7 أعوام).

معاناتها:

نشأت منى في القرية وعاشت حتى سن العشرين ومن ثم قررت السكن في المدينة في منزل اختها المتزوجة في ضواحي بيروت، مرت شهور على إقامتها إلى ان تعرفت إلى زوجها (ف)، «وبعد فترة قصيرة على تعارفنا طلب يدي من أهلي وخطبنا لمدة ستة شهور؛ منذ فترة الخطوبة لم يسيء من معاملتي. في هذه الفترة عدت إلى قريتي للسكن مع أهلي وبسبب عدم زيارتي لخطيبي باستمرار لم أستطع أن أعرف ما يخبئ لي القدر، ظننت إن السعادة هي في أن يتزوج المرء ويبني أسرة، ويعيش حياة مليئة بالسعادة والحب والإستقرار. لقد عانيت كثيراً في زواجي منذ السنوات الأولى وحتى الآن ما زلت أعاني فزوجي يضربني

باستمرار؛ أتعرض لمختلف أنواعه العنف الجسدي الذي يبدو ظاهراً على جسمي وبأبشع أنواع العنف الكلامي، فهو يشتمني وينزل بي أشد أنواع الألفاظ البذيئة التي لا تليق بإمرأة متزوجة. . .

أتعرض للعنف بإستمرار، ليس لديه شيء في المنزل صالح فهو يكسر كل شيء الزجاج، الأطباق والصحون. . . أنظري هذا الجهاز، وأشارت إلى (T.V)، لقد إشترينا حتى الآن تسعة أجهزة، فهو عندما نتشاجر يكسر أي شيء موجود بالقرب منه.

أكثر ما يؤلمني هو أنه يضربني أمام أولادي، فيبدأ الأولاد بالصراخ والبكاء، لا يأبه لهم وفي إحدى المرات فقدت إبنتي السيطرة وغابت عن الوعي من شدة الصراخ؛ فحملتها وذهبت بها إلى الشارع أفتش عن أحدٍ يأخذني إلى المستشفى، هي تنهار عندما ترى والدها يضربني ولا تستطيع أن تفعل شيئاً. ابني طفل بريء أحياناً يدافع عني، وأحياناً أخرى أحسه أنه مثل والده يحب العنف والسيطرة بعكس إبنتي. تصوري عندما يدفع بي إلى خارج المنزل وأختبئ عند إحدى الجيران، تترك ابنتي لي بوابة المنزل الخارجية شبه مفتوحة كي أستطيع العودة إلى المنزل عندما ينام والدها.

الذي يدفعه إلى هذا العنف هو حب السيطرة ويريد أن يبرهن على أنه رجل، والرجل حق له أن يعامل زوجته كيفما يحلو له؛ وفي مجتمعنا هذا الرجل هو الأقوى، وعلى المرأة أن تتحمل كل ما يصدر عنه وذلك خوفاً على مستقبل أولادها، وأن تطيعه في جميع الأمور؛ أحياناً يوقظني من نومي في منتصف الليل لكي أضع ما يريد من الطعام (مثلاً بطاطا حرة. . .).

عندما يتناول الطعام ويغضب يرشقني بالصحون ويتناثر الطعام على شعري وثيابي؛ مرة وهو يتناول الدجاج المشوي رشقني بالثوم على شعري وطردني من المنزل، فذهبت إلى إحدى الجيران وكانت الساعة تقارب الواحدة والنصف ليلاً فأخبرتها عما حدث لي وقمت بغسل شعري وثيابي عندها، ومن ثم انتظرته كي ينام لكي أعود إلى المنزل ثانية. هذه العملية كانت تتكرر باستمرار إن لم يكن يومياً فكانت كل يومين أو ثلاثة أيام. . .».

هل تظنين إن السبب في معاناتك هي البيئة الأسرية التي عاش فيها زوجك؟

أظن ذلك لقد عاش ولداً وحيداً في أسرته (صبي وحيد وبنت وحيدة). كانت والدته تخاف عليه كثيراً وكان والده يلبي له كل ما يطلبه، فقد عاش الأهل سنوات عدة لكي ينجب بعد وفاة حوالي سبعة منهم في الصغر. ربما كثرة الدلع والغناج في الصغر كان من الأسباب التي جعلته يمارس هذا النوع من التسلط على الاخرين، لأن زوجي يمارس العنف على مختلف أفراد أسرته؛ يمارسه على والدته ووالده وأخته وأيضاً على خطيب أخته، لقد تعبت كثيراً من هذا العنف فهو يؤذيني كثيراً. منذ فترة قصيرة ضربني بالسكين على فمي، فذهبت إلى المستشفى وأجريت لها عملية تقطيب، وأصبح الجيران يسألوني ما بي فأجبتهم بأنني انزلقت بالحمام وجرحت شفتي.

أولادي هم فلذة كبدي، وخصوصاً إبنتي، فقد أصبحت في سن العاشرة وتحرق قلبي كثيراً وأنا أعيش معه من أجلها».

المظهر الخارجي «منى» يدّل على انها إمرأة مهتمة بنفسها كثيراً، مرتبة، نظيفة، تهتم بأولادها ولا يسعها سوى التفكير بهم هي امرأة راضية بالقسمة والنصيب في زواجها، وذلك من أجل البقاء بجانب ولديها وكثيراً ما تخاف من الطلاق الذي يبعدها عنهم...

الحالة رقم ـ 3 ـ

لعلّ المشكلة الأخطر التي يتعرض لها الأطفال هي الاعتداء الجنسي من داخل الأسرة أو خارجها ضمن الحديث.

وهنا تكمن المشكلة، فالأسرة يجب أن تكون مصدر الأمان للطفل، قد تكون هي نفسها مصدر الشقاء والأذى له.

فما هي نتيجة التعدي الجنسي على المنظومة الرمزية للولد؟

إن أكثر مكان يمكن أن يتعرض فيه الطفل للعنف هو منزل عائلته. فالعنف (الاعتداء الجنسي) ضد الطفل، هو أكثر أنواع العنف انتشاراً من بين أعمال العنف الممارس تجاهه.

والملفت للانتباه، أن هذا النوع من العنف محمي بـ «قانون الصمت»؛ فحين ينتهك المعتدي حرمة جسم المعتدى عليه، غالباً ما يهدده بألا يتكلم لأحد عما تعرّض إليه رغم ما يسبب له ذلك من معاناة وآلام نفسية وجسدية.

هي حالة لطفلة بريئة تعرضت للاغتصاب والتي استطعنا الحصول عليها وذلك عن طريق الصدفة، التي أتاحت المجال بلقاء امرأة ـ مدّرسة عند أحد الأقرباء، تعرف طفلة تعرضت لهذه الحالة، فقدمت المساعدة بمحاولة تحديد موعد مع هذه الفتاة؛ وبعد نجاح محاولتها تم الاتفاق على أن يحصل اللقاء في بيتها بحجة دعوتها هي وأختها لحضور عيد ميلاد ابنتها.

تتمتع الفتاة بجمال الوجه ـ سمراء البشرة ـ شعر أسود طويل ناعم... لباسها غامق، تعابير وجهها كانت توحي بالمعاناة والألم الذي تعيشه... عمرها 15 سنة، تسكن في منطقة الشويفات، في الأول ثانوي، الوضع الاقتصادي لأهلها متوسط... الأهل منفصلان وكلاهما يعمل، عندها أخت واحدة أصغر منها ويعيشان مع والدتهما... في عيونها ألم الدنيا، وفي نظراتها ضياع دائم، وفي دموعها ليل طويل لا ينتهي... هذه هي الطفلة المغتصبة.

حلمت كثيراً وهي طفلة أن تكبر وتنجح في دراستها كي تصبح «طبيبة أسنان» يوماً ما، ولكن هذا الحلم طغى عليه الحزن والألم والتشاؤم وهي في بداية رؤيتها له؛ تعرّضت للمرة الأولى وهي في التاسعة من العمر، للاعتداء الجنسي من قبل «ابن خالتها»، وللمرة الثانية من قبل الشخص نفسه، ولكن هذه المرة كانت هي في الثالثة عشر من العمر.

وهي في الثامنة من العمر تلقت أول صدمة في حياتها، وهي انفصال والديها عن بعضهما البعض، بعد حوالي ثمان سنوات من العذاب والشقاء وعدم التوافق بينهما، حيث انتهى بهما ذلك إلى الطلاق الذي كان الحل الأفضل لسلامة ابنتاهما.

هنا بدأت معاناة هذه الطفلة البريئة، إذ قالت: («أنا أحبّ أمي وأبي، وأحب العيش معهما سوياً، وبعد الطلاق بينهما، بدأ ينتابني شعور بالحزن،

وأحياناً كثيرة بالغيرة من بعض صديقاتي اللواتي حين كنت أذهب إلى منزلهن أجد أنهنّ سعداء مع والديهنّ، وأنا حزينة ويتيمة إلى حد ما، لأن والدي بعيد عني ووالدتي لا أراها كثيراً لأنها تعمل طوال الوقت لكي تؤمن متطلباتي أنا وأختي. . .».).

وبما أن الأم تنازلت عن كل حقوقها مقابل بقاء ابنتاها معها، لذلك كان من الضروري أن تعمل وظيفة ثانية بعد الظهر؛ حين سؤالها عن وظيفة والدتها بعد الظهر، قالت لا أعرف، إن كل ما أعرفه هو أنها تعمل في وظيفتين، الأولى في معمل غندور، أما الثانية فلا أعرف نوعها، وهي تأتي إلى المنزل كل يوم الساعة التاسعة ليلاً، حتى يوم الأحد نراها عند الصباح فقط، أما بعد الظهر فتعود وتذهب إلى العمل».

الشكوى:

بما أن ظروف الحياة حكمت على والدتها أن تعمل طوال النهار كي لا تحتاج هي وابنتاها إلى أحد، وبما أنه من الواجب، عند عودة ابنتاها أن نكون بانتظارهما شخص يهتم بهما، لذلك كان من الطبيعي أن تأتي بأحد يعيش معهم ويهتم بالأولاد، لكن بحكم وضعها المعيشي، وجدت نفسها أنها لا تستطيع أن تجلب خادمة لهما لأن ميزانيتها لا تسمح، وتذكرت عندها أن لديها أخت أرملة عندها ولد واحد، فطلبت منها أن تأتي هي وابنها الذي يكبر ابنتها بـ 10 سنوات تقريباً إلى العيش معهم في بيتها.

وذات يوم في صيف 1999، كان الطقس حاراً، وكانت المدارس على مشارف انتهائها، فإذا بجرس باب البيت يدق، فسارعت (ج) لفتحه، وإذ بجارتهم تريد دعوة خالتها إلى عصرونية عندها وحين طُلِب من (ج) الذهاب مع خالتها، رفضت لأنها تريد أن تدرس وتجتهد كي تنجح في امتحان نهاية السنة.

وبعد حوالي نصف ساعة تقريباً من ذهاب خالتها إلى الجارة، أتى ابن الخالة الذي قالت عنه أنه إنسان شرير ومخيف وأزعر وفلتان؛ فالإنسان الذي لا يتعلّم، ولا يحب أحد، ويؤذي الطفل هو ليس إنسان بكل ما في الكلمة من معنى».

وفي سؤاله لها عن أمه، أجابته وهي عيناها في الكتاب «بأن والدتك ذهبت إلى الجارة» وهنا قالت لي: «كنت دائماً أخاف منه لأنه أحياناً كان يضربني، هذا إلى جانب أن منظره أو شكله كان يخيفني».

وإذا به فجأة يجلس بجانبها، ويلمس وجهها، ويقول لها بأن لا تخاف مني وبأنه يحبها كثيراً، لأنه لا يريد أن يضربها من جديد لكن بشرط أن تسمع الكلام منه، وأن تفعل كل ما يطلبه منها، وهنا ابتسمت ابتسامة بريئة تعبيراً عن فرحتها بما سمعته منه.

بعد ذلك، طلب منها أن تدخل الغرفة التي ينام فيها وتجلب له عن السرير أغراضه لأنه يريد أن يستحم، وما أن دخلت حتى وجدته يمشي وراءها، فإذا به يمسك يدها ويقول لها بأنك جميلة جداً»، وهنا شعرت بأنه يتحسس بعض مناطق خاصة من جسدها، ولم تكن تفهم ما يفعل لكنه قال لها بألا تخبر أحداً؛ وفجأة لم تشعر إلا وهو ينزع عنها ملابسها الداخلية وينتهك حرمة جسدها فصرخت متألمة؛ خاف عندها ووضع يده على فمها، وهددّها إن اخبرت أمها أو أمه، سيقتلها هي وأختها بالسكين، خافت كثيراً، وبكت كثيراً، وتألمت كثيراً، وألمها كان أكبر حين طلب منها أن تعود وتتابع دراستها وكأن شيئاً ما لم يحصل.

وبعد مرور ثلاث سنوات على الحادثة، كانت في 12 من العمر، وفي يوم ما شعرت بألم كبير في بطنها وفي رأسها، فدخلت الحمام، فإذا بها تجد على ثيابها الداخلية بقعة من الدم، فخافت كثيراً، وشعرت بأنها ستموت، هكذا قالت، لكنها هنا استجمعت قواها وذهبت إلى خالتها وقالت لها إنني رأيت دماً وانني خائفة، فضحكت خالتها وقالت لها «لا تخافي يا حبيبتي، هذا شيء طبيعي، يحصل عند كل البنات اللواتي يبلغن هذا العمر وما فوق..».. وعندها بدأت خالتها تنصحها بألا تختلط مع الصبيان، وألا تنام معهم، وبدأت بتوعيتها وتفهمها بأن كل شهر سيحصل لها ذلك... وحين أتت والدتها إلى البيت قامت الخالة بإخبارها عما حصل لابنتها، فقامت الوالدة بتقديم النصائح ذاتها التي قدمتها الخالة لها.

قالت (ج) إنها كانت تشعر بحزن كبير وبألم كبير لأنه في داخلها شيء

تخفيه وتعاني منه، فهي لا تستطيع أن تفكر ولا تستطيع أن تفعل أي شيء سوى أن تعذّب نفسها بالصمت والسكوت وذلك خوفاً على أختها. وخوفاً على الفضيحة التي ستلحق بأسرتها.

وما أن بلغت 13 من العمر، حتى عاد هذا الإنسان الظالم والمؤذي إلى الاعتداء عليها للمرة الثانية، ولكن هذه المرة لم يعاملها بلطف بل بالضرب والسيطرة ليحصل على لذته واشباعها، وقام بتهديدها للمرة الثانية.

لم تعد تستطع أن تصمت وتسكت أكثر. وحين شكت الأمر إلى خالتها، كانت ردة الفعل أن اتهمتها بأنها هي التي تعتدي عليه؛ ووقعت صراعات ومشاكل كثيرة بين الأخوات، وقامت أمها بضربها لكي تفصح عن الذي فعل بها ذلك، لأنها لم تكن تصدق أن ابن اختها هو المغتصب.

وهنا شعرت بألم وعذاب، وبلوم أهلها لأنهم هم سبب تعاستها وسبب تعرضها لهكذا اعتداء.

فما كان من أمها إلاّ أن حرمتها الخروج من المنزل، وفرضت عليها ترك المدرسة، وطلبت من أختها إلا تترك البيت لأنها تعتقد أن ابنتها هي كاذبة وهي تفتري على ابن أختها.

وبعد تدخل أحد الأساتذة في المدرسة عادت (ج) إليها وكان ذلك بعد أن مضى من عمرها سنة، إذ رجعت إليها وهي في 15 من العمر.

وفي 12/ 1/ 2005 ذهبت بها خالتها إلى صديقة لها وهي طبيبة نسائية لكي تخضع لعملية ترميم الغشاء، وذلك بطريقة سرية، حيث حصلت العملية في منزل خالتها القديم وليس في عيادة الطبيبة؛ في هذه اللحظة شعرت أن شيئاً عاد إلى جسدها بعد أن كانت قد فقدتها.

ولكن كان دائماً وما زال في داخلها كره كبير وحقد على الرجال. السبب الأول لهذا الحقد هو هجر والدها لهم، والسبب الثاني هو ما تعرّضت له من قبل ابن خالتها.

وفي سؤال لها من المسؤول برأيك عن قتل طفولتك؟

قالت: إن الاعتداء الجنسي على حرمة جسدي هي مسؤولية الجاني الذي ارتكب هذه الجريمة بحقي، وأيضاً مسؤولية الأسرة في إهمالهما لي والسماح للغير بالاهتمام بي وبأختي كما يحلو له. حين تعرّضت لهذه الحادثة وقعت في صراع ما بين تهديدات ابن خالتي [الحقير]، شعوري بالذنب نتيجة عدم وجود أهل إلى جانبي، أعبرّ لهم عمّا يحدث لي وأشكو لهم عمّا أشعر به؛ فإن أكثر ما انعكس على حياتي من جراء ذلك هو خوفي من الرجل عموماً. وأصبحت أخاف حتى من نفسي حين ألمس جسدي عندما استحم... هنا بدأ صوتها يرتجف وعيناها تدمع...

نتيجة التعدي الجنسي عليها:

* الانعزال والانطواء على نفسها * اضطراب في التغذية * عدم الثقة بمن هم حولها.

الحالة رقم - 4 -

«غالية» وعمرها 34 سنة، مطلقة مرتين، وصلت تعليمياً إلى المرحلة المتوسطة، لديها 8 إخوة جميعهم متزوجون... (2 ذكور و6 إناث) وهي البنت الأخيرة، تعيش حالياً مع والدها ووالدتها وهم في الثمانين من العمر.

وضع غالية قبل الزواج:

تركت غالية المدرسة بعمر 15 سنة بقرار شخصي منها، ولم يقنعها أحد بالعودة إليها؛ عملت مع والدها في محله التجاري في بلدتها، لقد كانت بنت جميلة جداً، مدللة، تهتم بأناقتها دائماً وجمالها وبشرتها، فقد كانت تلبس الثياب الغالية والأنيقة، وكان لها حرية ما تريد؛ كانت ترتدي التنورة القصيرة، تتلقى الهدايا الثمينة من الذهب وغيره من المال من إخوتها المغتربين في الخليج العربي. ولم يكن ينقصها شيئاً، إضافة إلى أنها كانت تهتم بأمور النظافة كثيراً وبالعناية بالمنزل وتزيينه وتحديثه دائماً...

وضع غالية بعد الزواج الأول:

تزوجت من رجل رغم معارضة أهلها الشديدة، حيث كان عمرها 18

سنة وهو يكبرها بـ 18 سنة، وكان يعمل في جيش لحد. اختارته لأنه رجل وسيم وجميل وذو هيبة وأعجبت به وأحبته من خلال شكله دون أن تتكلم معه؛ هربت «خطيفة» معه، حيث تعرّضت لكافة أشكال العنف من زوجها، إذ مارس تجاهها العنف الكلامي والعنف الاقتصادي والإجتماعي.

1 ـ العنف الاقتصادي:

في الأسبوع الأول من الزواج تعرضت غالية لسوء المعاملة من زوجها. إذ، بدأ يقول لها إنه لا يملك مالاً، وأنه معتمد على ما تملكه من مال وذهب، وقال لها: «تزوجتك من أجل أن تعطيني الذهب الذي كنت تلبسينه عند أهلك» (إشارة إلى أنها لم تأخذ الذهب معها حين هربت) وكان يريد أن يرسل إخوتها لها مالاً من الغربة وأن يعطيها أهلها من أموالهم.

إشارة إلى أنها ذكرت أنه لم يشترِ لها أي قطعة ثياب منذ تزوجته إلى أن خرجت من بيته.

2 ـ العنف الإجتماعي:

لقد حرمها من الخروج خارج المنزل، الوقوف حتى ومن على شرفة المنزل، وكان يمنعها من نشر الغسيل على الشرفة، إذ كانت تنشره داخل الغرفة.

منعها أيضاً من زيارة صديقاتها، ولم يسمح لإحداهن بزيارتها.

كان يقفل الباب ويأخذ المفتاح معه عندما يخرج من المنزل، كان يمنعها من فتح الشبابيك أن تظل الغرفة مظلمة حتى يعود.

لقد حاول الانتقام منها بشتى الوسائل وقطع عنها كل منافذ الاتصال بالآخرين، حيث كان منزلها بعيد عن مساكن البلدة، ولا يستطيع أحد الوصول إليه.

3 ـ العنف اللفظي والجنسي:

كان يمارس تجاهها كافة أنواع الكلام والشتائم المهينة والتهديد، حيث كان يتعرض لها ولأهلها ولإخوتها ويحطّ من شأنهم.

وذكرت وهي ترتجف وبصوت خافت: لقد كان يجلسني بالقوة على الأرض، على مسند صغير، وينهال عليّه بالكلام الجارح والسيء والقاسي. وكان يجبرها على أن لا تتحرك وكان يركعها على الأرض ووجهها للحائط.

كان يتلذذ في تعذيبها وإسماعها كلام وتهديد لاذع ومسيء لكرامتها ولجمالها ولجسدها. . .

فذكرت أنه كان يقول لها:

ـ إنك لا تصلحين لإقامة علاقة جنسية مع الرجل. وإنكِ لا تفهمين معاشرة الرجال جنسياً، فأنتِ «حمارة».

ـ إنكِ لا تصلحين للفراش، ولا تعرفين سوى العمل داخل المنزل والعناية بأمور النظافة والترتيب.

ـ لقد اعترف لها بأنه أقام عدة علاقات جنسية مع نساء قبل أن يعرفها. وخافت من إنتقال أمراض معدية جنسية إليها. مما زاد من التنافر منه، والابتعاد عنه.

ـ لقد هددها بأنه سيأتي بنساء إلى البيت لكي يعطوها دروساً بالحياة الجنسية، وهدّدها إن لم تستجب، بأنه سيمارس معهن الجنس أمامها. . .كان يشرب الخمر والمخدرات دائماً ويجبرها على العلاقة الجنسية معه بالقوة وبتهديد السلاح، إضافة إلى تهديدها بأنه سيبيعها لرجل آخر إن لم تتجاوب معه وتتركه يفعل ما يريد. (أضافت أنه إعترف لها بأنه خطف ابنة بلدته مرةً وأخذها إلى بلدٍ وباعها لرجل، إذ اغتصبها وقتلها).

كل هذه الأمور كانت ترويها وعيونها مليئة بالدموع والحزن.

4 ـ العنف الجسدي:

كان يضربها، ويفتعل المشاكل معها في أي وقت، ولأي سبب كان، فكانت ضرباته تترك أثراً على جسدها.

إذاً تعرضت هذه الحالة لكافة أنواع العنف والتعذيب والألم النفسي، من جراء زواج قاتل.

لقد كانت غالية لا تتحدث مع أهلها لكي تخبرهم بما يحصل معها، حتى جاءت أختها من السفر، وحاولت التقرب منه، قائلة: إنها تريد أن ترى أختها وأن تعطيها الهدايا والثياب... مما أغراه وبدأت تأتي إلى أختها التي أخبرتها بكل ما جرى معها.

اتفقت غالية مع أختها على الهرب وهو نائم في الصباح الساعة الرابعة فجراً. هربت غالية من بلدتها مع أختها إلى بيروت عن طريق الجبل الوعرة، لأنها لا تستطيع عبور الممرات العادية حيث يتواجد رفاقه من الجيش.

رفعت عليه دعوى طلاق، وبعد سنة تقريباً، طلقها بعد أن دفع له أبوها مبلغاً من المال.

كان عمرها 19 سنة حينما تطلقت حيث عانت الكثير من المضايقات والمشاكل من أبيها وزوجات إخوتها والمحيطين بها. وأشارت إلى أن أبيها وإخوتها لم يسمحوا لها بالقيام بأي عمل، مما زاد من قهرها. ويوماً بحثت عن عمل متناسية كلامهم. ولكن بعد أن بدأت بالعمل لمدة 3 أشهر تعرضت للكثير من المضايقات والضغوط من الجميع بسبب عملها وكلام الآخرين...

تقدم لها الكثير من الرجال طلباً للزواج، ولكنها كانت دائمة الرفض إلى أن ازدادت الضغوط فقبلت بالزواج.

الزواج الثاني:

تزوجت بعد أن تعرفت على رجل مدة شهر واحد حيث كان عمرها 27 سنة. كان عمر زوجها 40 سنة، وهو رجل أعمال وحاصل على إجازة في المحاسبة وإجازة في الشريعة الإسلامية وإمام مسجد. فقد كان مطلقاً بعد زواج لمدة 11 سنة. حينما سألت إخوته لماذا لم ينجب؟ أجابوها: لأن المشكلة عند زوجته الأولى لذلك طلقها. لم تتردد في الارتباط به مطمئنة لأنه رجل دين.

في البداية كانت حياتها سعيدة، ولكن كان مطلوباً منها أن تساعد أمه يومياً في أمور منزلها، فكانت تقوم بهذا الدور حتى ولو كانت مريضة (قالت: كل همي أن أكون مستورة فقط). وعندما تشتكي من ذلك، كان زوجها يقول لها: «هذا واجبك تجاه والدتي».

استمرت لمدة سنتين على هذا الحال. حتى بدأت تحس بالفراغ وأنها بحاجة إلى طفل.

عندما عرضت الموضوع عليه رفض بشدة وعارضها. واكتشفت لاحقاً أنه أجرى عملية جراحية ولهذا لا يستطيع الإنجاب.

هنا ازدادت المشاكل والخلافات: حيث انقطعت عن مشاركة أم زوجها في عملها وهذا ما سبب لها مشاكل إضافية.

لقد بدأ يتهرب من الحديث معها، وأصبح يحدثها وهو ينظر إلى التلفاز، وعندما تسأله سؤال ما يقول لها:

«إني مشغول ولا أستطيع أن أرد عليك الآن».

ازداد غيابه عن المنزل بحجة زيادة عمله؛ شيئاً فشيئاً حتى بدأ يرجع من عمله كل ليلة الواحدة ليلاً بحجة وضعه الاقتصادي والمالي وأنه تعرض لخسارة كبرى. وكانت تصدقه.

قطع عنها المصروف وقال إنه فقد كل شيء ولهذا زاد من ساعات عمله طيلة النهار ونصف الليل.

لذا أصبحت تتلقى مساعدة من إخوتها وتبيع من الذهب الذي تملكه.

إضافة إلى ازدياد الخلافات والإهمال الشديد لها، أصبح يقول لها: «إنك لا تليقين بي كزوجة»، كنت بحاجة إلى زوجة غيرك من مستواي.

أضافت: «إنه لم يكن نظيفاً، كان يقرفني، أحس تجاهه بالإشمئزاز فكان منظره «مقرف» ولحيته طويلة...».

ذكرت: «أنه كان عندما يدخل المرحاض، لا يسكب ماءً وراءه» ويقول لها: إدخلي ونظفي المكان».

أما بالنسبة لعلاقتها الجنسية معه، فأشارت أنها كانت علاقة جيدة بالبداية ولكن لاحقاً كرهته وكرهت أن يقترب منها، وذكرت أنها لم تلبس من ذلك الحين ثياب النوم إنما كانت تلبس 3 بيجامات فوق بعضهما. وهنا دلالة على نفورها منه حيث لا تريده أن يلمس جسدها.

ذكرت أنه كان يقول لها حينما تمنعه من ممارسة الجنس معها: «هذا من حقي ولا تستطيعي منعي من ذلك». قالت أنها كانت «تقرف» كثيراً منه، وذكرت أنه كان يطلب منها مداعبة عضوه الجنسي بالقوة. . .

استمرت هذه الحال مدة 7 سنوات. حتى زارت أهلها آخر مرة في الصيف الماضي لمدة شهرين دون أن يسأل عنها، فكانت تتصل به ويقول لها: إبقِ وأنا أذهب وتأتي معي. . .

حتى أتى أخيها وقالت له لا تريد أن تتطلق ولا تريد أن ترجع وأنها تفضل البقاء هكذا. كانت تخاف من كلمة مطلقة فقالت أود أن أكون ميتة أو أرملة أو. . . على أن أكون مطلقة مرتين.

ونجح أخيها في جمعها معه في لقاء حيث قال أنه سيرجعها لكنه يريد أن يتزوج أخرى ويسكنها في المنزل ذاته، المكوّن من غرفتين فقط.

هنا هبّت غاضبة وقالت أريد الطلاق؛ وتم الطلاق في اليوم التالي بعد أن تنازلت عن حقوقها كاملة.

موقفها بعد الطلاق:

كانت تقول دائماً قبل أن تتطلق: لقد حرمني الله من أن أكون أماً. ولكن بعد الطلاق تقول: «ليس المهم الولد فإني كنت أستطيع البقاء معه دون أولاد».

كانت تشتكي بأنه «لا يسمعها ولا يعطيها وقت ولا يعطيها مصروف ويمنعها من زيارة أحد وحدها» فأصبحت تقول اليوم: «هذا أمر طبيعي، النساء يتعرّضن له، وواجب الزوجة أن تبقى في البيت».

كانت تقول أن أم زوجها قاسية ومستبدة، واليوم تقول من واجب الزوجة أن تحافظ على علاقة جيدة مع أم زوجها وتخدمها وتتقرب منها لكي تكون قريبة من زوجها.

كانت تلبس ثياباً أنيقة دائماً وتهتم كثيراً بشكلها أما بعد الطلاق فلا يهمها اللبس والاهتمام بشكلها.

كانت تشتكي دائماً أنها مريضة وبطيئة الحركة ولا تحب العمل داخل المنزل. واليوم تقول أنها كانت مهملة تجاه بيتها وتجاه زوجها. ولم تعطه حقوقه كاملة.

كانت تفضل زيارة أهلها دائماً أما اليوم فتقول أن أهلها هم السبب في الطلاق، وأنهم يريدون أن يستفيدوا منها لخدمتهم بشيخوختهم.

تضع كل الحق على أخوها وأهلها بالطلاق، وتشتم نفسها لأنها ذهبت من بيتها دون أن تعود.

أما وضعها الصحي:

فقد كانت تعاني دائماً من أوجاع في جسدها حيث كانت تزور المستشفى كل فترة وتجري فحوصات طبية وتشتكي من الآلام الكثيرة في جسدها والتعب.

وبعد الطلاق ازداد خوفها على صحتها وازدادت زيارتها للطبيب، وتأخذ أدوية أعصاب، فهي نحيفة جداً، ولون وجهها أصفر شاحب تعاني من فقر دم. . .

دائمة القلق والخوف من العتمة والخوف من أخذ الدواء، حتى أن الجميع اتهمها بأن مرضها وهم وكذب وهي مصابة بأمراض الوهم والهلوسة، إضافة إلى شعورها الدائم بالبرد وانخفاض درجة حرارتها حتى بالصيف.

أما موقفها من الرجال:

تقول أن كل الرجال خائنين ولا تريد أن تتزوج مرة أخرى وعندما تسمع بكلمة رجل تصرخ وصوتها يصبح عالياً ووتيرة صوتها تتغير وتحرك بيديها ثم تسكت وتهدأ.

تقول أنها تكره كل الرجال حتى أبيها. ولا «تؤمن» لهم.

وذكرت شيئاً عن امرأة قالت لها مرة: قد تتزوجين مرة أخرى فعلا صوتها وصرخت «إنني لست مسبحة ليسبح بي الرجال كما يشاؤوا».

إشارة إلى أنها اكتشفت بأن زوجها كان متزوج بعد سنتين على زواجها

وهو حينما كان يقول لها أن وضعه الاقتصادي سيء لأنه كان يصرف على الزوجة الأخرى، وكان يظل عندها حتى منتصف الليل ويرجع إلى غالية الساعة الواحدة ليلاً.

عندما عرفت هذه الحقيقة بعد مرور شهر على طلاقها ازداد كرهها للرجال وازداد وضعها النفسي سوءاً وأصبحت تتميز بالهدوء والدعاء عليه بالموت لأنه خانها أيضاً.

إن غالية اليوم توصلت كما رأينا إلى أن تعنف نفسها كأنها المسؤولة عما حصل معها، وفقدت إيمانها بكل شيء ما عدا تقربها من الله، وفقدت ثقتها بنفسها وبادراكاتها الذهنية ولم يبق لديها سوى عقدة الذنب!!

الحالة رقم ـ 5 ـ

الاسم: غادة

العمر: 32 سنة

فتاة جميلة حنونة كريمة محبة للناس متدينة وملتزمة دينياً؛ ولدت غادة في عائلة مؤلفة من الأب والأم وأربعة أخوة وأخت وحيدة، غادة هي الصغرى. بدأت المشكلة منذ الولادة فهي أنثى في عائلة تعتبر الصبي هو الأهم، والفتاة هي مملوكة من الأخ، الأب أو الزوج الذي تختاره العائلة.

أب أميّ يعمل بالفاعل «اليومية»، أم أميّة تعمل على تربية الأولاد، تشتغل الأشغال اليدوية وتبيعها لتؤمن المصاريف الشخصية التي تحتاجها هي وبناتها، لأن المال لم يكن متوفراً بين أيديهن، وطلبه من الأب أو الأخوة وكأنه «شحادة»؛ الأم تعتبر نفسها أحسن أو متفوقة على الأب لأنها من المدينة، إضافة إلى عدة أسباب (أنها متدينة وهو لا) حرمت الزوج من حقوقه الزوجية؛ فكبرت غادة وهي لا تعرف أي شيء عن العلاقة الطبيعية بين الزوجين، إلى درجة أنها كانت تعتبر النساء والبنات اللواتي يجالسن الذكور كباراً كانوا أو صغار هن سيئات الأخلاق، أجبرت غادة على ترك المدرسة بسبب خلاف حصل بينها وبين ابنة عمها بسبب نجاحها في الأول المتوسط «السادس» فضربتها ابنة عمها غيرة منها، فكافأها أخاها بأن رفض عودتها إلى المدرسة،

ووعدها بأنه سيرسلها إلى مدرسة أخرى في عالية. وذهب هذا الوعد مع الكثير من الوعود أدراج الرياح، التزمت غادة دينياً بعمر السادسة عشرة فأرسلوها إلى المدرسة لتتعلم الخط وتحفظ في كتاب الدين وذلك لمدة سنة ونصف، تركت بعدها المدرسة لأن الأم أصابها المرض الخبيث وكانت أختها قد تزوجت، ولم يبقَ غيرها للاهتمام بأمها، فظلت تهتم بها حتى اللحظة الأخيرة.

تعاني غادة اليوم من ألم في الرأس وعصب في المعدة تأخذ أدوية عدة للأعصاب. . . فقد كان للحادثة التي حصلت من حوالي ست سنوات والسبب لتعاطيها هذه الأدوية، كان تسلط الأخ الأعزب الذي كان يمنع أمها من التطريز والحياكة بحجة أن هذا يزيد من مرضها الذي يكلفهم الكثير من المال. حوّل هذا العنف، بعد وفاة الأم، نحو أخته، فمنعها من البكاء على أمها، ومن العمل في معمل خياطة وكان يقول لها: «عيب بيقولوا الناس أنك محتاجة ونحن نقصّر بحقك».

وقبل وفاتها، أعطت الأم ابنتها غادة القليل من المال فاشترت أصوافاً وبدأت تبيعهم لنساء القرية؛ ثم تطورت هذه التجارة الصغيرة واستطاعت أن تفتح محلاً صغيراً لبيع الأصواف والهدايا مثل محلات «كل شيء بـ 500 ل.ل». فتوفر القليل من المال لدى غادة وقامت بشراء كراسي بلاستيكية وطاولة، لأنها تحب الترتيب. وقد كان من ضمن الممنوعات التي سنّها أخاها أنها لا يجب أن تشتري أي شيء للبيت دون أن تأخذ إذنه. وحتى حين تسأله عن حاجته إلى أي شيء يرفض وكأنه يريد إذلالها بحسب قولها وخنقها بهذا التسلط ولسوء حظها وصل يومها قبل الموعد الذي يأتي به عادة في كل أسبوع من العمل الذي يقوم به خارج القرية؛ سألها: لمن الكراسي والطاولة.

أجابت: أنهم هدية من أهل أمل زوجة أخي، فصرخ بها أنت كاذبة وقد حذرتك بأن لا تشتري أي شيء؛ وقام بتكسير الكراسي ولم يستجب لأحد من الجيران، الذين تجمهروا عند سماع الصراخ؛ هنا انهارت غادة ووقعت مغمى عليها وبقيت طريحة الفراش لمدة شهر؛ وتسمع أخاها يجيب الناس

عندما يلومونه على ما قام به أنها السبب لأنه حذرها، وما تعاني منه حيلة أو «دلع» إذ أنه يعتبر علم النفس والأمراض النفسية مسخرة... تقول غادة: إن أكثر ما آلمها قوله عندما تموت سندفنها إلى جانب أمها ومنرتاح منها. بعد هذه الحادثة تدخل الجيران والأخوة لتخفيف سطوة الأخ، خاصة ان غادة لم تعد تكلمه ولكنها تقوم بخدمته؛ وبعد أن تطورت تجارة غادة أصبح عندها محل تجاري صغير مع مساعدة الأصحاب الذين تعتبرهم الأهل الحقيقيين بالنسبة إليها. كل هذا لم ينقذها من تسلط الأخ الذي وضع لها قانوناً «ممنوع فتح المحل بعد الخامسة بعد الظهر وإلا سيكسره على رأسها». وما زالت تؤمن غادة حاجات المنزل وحاجات والدها. وعندما تطلب منه دواء لوالدها عليها دفع ثمنه وإلاّ تصبح بخيلة ومحبة للمال؛ وهذا الاستغلال لم يقتصر على هذا الأخ بل ساهم الأخوة به: فمنهم من يريد أن يأخذ قرض من البنك بضمان ومنهم من أصبح حساب دينه كبيراً ولا يسدّده.

تعتبر غادة إن الفقر المادي لم يكن مشكلة العائلة الوحيدة بل ان الفقر العقلي والغباء ساهم بأن تصبح تصرفات أخاها على هذا الشكل، إضافة إلى أن أمها كانت تميز بطريقة التربية والتعامل بين الأبناء والبنات.

لماذا لا أتزوج؟

أعتقد أنني قد أفعل وإذا قررت فيجب أن أخضع للمعالجة النفسية كما ان الزوج الذي أريده أن يكون «بيفهم» فأصعب ما في هذه الحياة العيش مع أغبياء إلاّ أن الحياة الجنسية لا يجب أن تتركز فقط على الجنس...

«لا أعرف الكثير حول هذا الموضوع»، وهذا ما ألوم أمي عليه، فقد كانت تحكم على الناس من خلال المظهر الخارجي وتعتبر من يلبس غير لباس الدين شخص سيء، لم تخبرنا أي شيء عن الحياة. أرى أبي «وبخجل» يمارس العادة السرية، وأخي يقفل باب الصالون ليحضر الأفلام الخلاعية، ويقرأ المجلات والجرائد التي تتكلم عن الفضائح وجرائم الاغتصاب وفي الصباح يصبح أكثر عنفاً ويصرخ دوماً.

الحالة رقم ـ 6 ـ

«سامي»

تتألف عائلته من: أم بعمر الستين، موظفة في القطاع العام، و11 ولد (5 بنات و6 صبيان) هو الثامن بينهم والرابع بين الذكور وأب متوفي منذ أربع سنوات. . . وكان عمره آنذاك ثمانون سنة، قضى نصفها مقعداً. . .

يعمل سامي عملاً غير ثابت ووصل في تحصيله العلمي إلى الصف الرابع المتوسط. . .

عمل سامي في مجال الغناء منذ 13 سنة، وعمره الآن 28 سنة، كان يغني في المطاعم ويملك صوتاً جميلاً، ودرس الموسيقى في المعهد الوطني الموسيقي Conservatoire، درس العزف على العود، كما يعزف على الكمان والغيتار، حاول السفر عدة مرات إلا أن الفشل يلحق به أينما ذهب (على حدّ تعبيره).

«علاقتنا مع الأقارب مقطوعة من جهة الأب والأم».

يصف (س) جده بأنه كان رجلاً طيباً وبسيطاً، وجدّته كانت قاسية جداً، تمنع الأولاد من الخروج واللعب، فعليهم بالعمل الدائم إلاّ أن الصبي يحق له كل شيء. . .

«سامي» متوسط القامة، أسمر، جذاب، شعره أسود، عيناه بني غامق

* سرد حالة العنف كما يراها الابن المعنَّف:

ـ منذ طفولتي وأنا في مواجهة وحش كاسر ألا وهو أمي ـ الحنونة القاسية الحنونة في غيبتي والقاسية في وجهي وأحسّ بهذا الحنان فقط عندما أتأخر مثلاً خارج المنزل، أنا أو أخٌ لي. وقاسية جداً في حضوري إذ أنني لا أذكر أنني سمعت منها كلمة طيبة، تُطَيِّبُ لي خاطري، فهي دائماً سلبية، دائماً تشتمني منذ طفولتي وهي تشعرني بأني أقل من الآخرين، وأني دائماً على غير حق، لا وبل تتدخل في كل أموري (الصغيرة منها والكثيرة) وبنظرها دائماً أنا لا أحسن التصرف. مثلاً: (إذا حدث ان تشاجرت مع أحدهم فقبل أن تسأل أو تعرف السبب، الحق عليّ، مين بيطيقك أنت والمسبات).

فهي تعاملني دائماً وكأني عديم المشاعر والأحاسيس، وتتباهى بقوتها أمام الآخرين وبسلطتها النابعة عن ضغطها الكامن داخلها. مثلاً: (إذا أقدمت على المشاركة بحديث ما بيننا وبين الجيران والأقارب، أو إعطاء وجهة نظر، تصرخ قائلة: («انقلع لجوّا شو مقعدك هون»). (شو بفهّمك أنت)؛ أو عند قيامي بأي فعل صبياني تضربني أمام الجميع وتشتمني وتطردني، فهي دائماً تراقب تحركاتي (له عم تمشي هيك، له قاعد هيك).

مثلاً: (إذا كنت قاعد ما عم بعمل شيء) (شو عامل، عاملك شي عملة أكيد وتبدأ بالضرب والشتيمة حتى أشعر فعلاً بأني قد أكون تصرفت تصرفاً ما) أو مثلاً (إذا كنت حامل فنجان وقع من إيدي (الله عاميلك قلبك، ضاربك العمى، ما بتسأل صرلك شي لأ (بتسبعوا) للواحد. فأنا دائماً بنظرها بدائرة الشبهة. مثلاً (حتى لو ما كنت عامل شي بتطّلع فيّ بطريقة (تحقّرني) أكيد أنت عملت هيك). (انقلع من هون ما انت الله ما بيحملك، ودمك ثقيل وزنخ، ولو ما بتزنخ ما كان صار هيك) (دايماً مع الآخرين ضد أولادها).

أو مثلاً: (إذا كنت عم بلعب مع شي بنت أنا وزغير، ممنوع بتخاف على البنت مني، قال أنا أزعر ليش بدي العب مع البنات، بدي اعملا شي للبنت (في ذلك الوقت ما كنت فرق بين بنت وصبي يمكن).

كلما أنظر إلى وجهها أرى الدنيا سوداء، فهي دائماً كئيبة لا وجود للفرح والاطمئنان والأمان في قلبها، وكأن شيئاً داخلها يكره الأمل والفرح والقوة، وهي مستعدة لأن تهاجم كل من تحس به فرحاً قوياً أو مطمئناً، لتجعل منه يحس نفس إحساسها وأن يظل في جَوّها وأن لا يصبح أقوى منها. فهي تغار مني إذا ما كانت شخصيتي قوية ولذلك تفعل المستحيل لتحطمني. ممنوع عليّ أن أكون سعيداً، متفائلاً، فرحاً، فإذا رأتني مثلاً في حالة من هذه الحالات (تنقض) عليّ بكلمة جارحة وهي تنظر اليَّ كأنني شيء كريه وبشع «ودون» لأبعد ما يمكن، وهذا الشيء تلمحه من تعابير وجهها وكلامها الجارح للنفس والمشاعر والأحاسيس.

أصبحت في حالة أحس فيها: بأنني لا شيء مجرد من كل شيء، دون كيان، والحزن يُقرأ من عيني ويعيش معي منذ أن أدركت الوعي، إذ أنني

لا أستطيع أن أفرح لأن هناك شيء بداخلي يطرد الفرح، وكلما قلت لنفسي يجب أن أتناساه يرفض الحزن مذكرني بأني لا شيء. زرعت فينا إحساساً بالخوف والحذر من كل شخص والشعور بالسلبية دائماً تجاه الآخر.

مثلاً: (إذا كنت واقف هلق عم بحكي مع حدا، شو بدو منك هيدا واحد كذا ومحتال (أخو....) ما تحكي معو - مين ما كان يكون بتعرفوا ولا لأ... إذا واحد سألها كيفك برأيها في شي مخبى...

- إذا حضرت احدى صديقاتي إلى المنزل فهي تطردهما بطريقة مهينة جداً، «إذا قلتلا أنو هالبنت بحبا وبتحبني يكون ردها، شو عاجبا فيك، مش شايف حالك ما أبشعك، مين بدو يتطلع فيك، روح تطلع بحالك عالمراية». عندها متعة عندما تجرح الآخرين (تتلذذ).

أسئلة

1 - ما هو أكثر ما يؤثر فيك

إنها تفشلني أمام الناس ولا تحترم رأيي في أي موقف من المواقف، مباشرة (تهيمن) عليّ في مواقفها «وتعجرف» ملامحها. عطول بتضّل هيك، خلقت هيك ورح تموت هيك.

2 - كيف هي علاقتك مع الناس

حذرة جداً، فقد اعتدت على رؤية الناس دائماً في وجهة الشبهة، دائماً عودتنا أن الناس يخبؤون لنا شيئاً سلبياً فلم أعد أثق بأحد. مثلاً: أمام الناس تقول: «تعا غنيلي ابني صوتو حلو» عندما نكون لوحدنا تبدأ بالصراخ «صرعتلي راسي الله يصبرنا، تعيشنا في جو من الضياع».

* ما هو موقفك هنا؟ في هذه الحالة؟

بعد تكرار تلك القصة أكثر من مرة أصبحت أرفض طلبها، «بقرف منها ومن حالي».

3 - بالنسبة للعمل ألا تقدم لها المساعدة في المنزل (مصروف...)

دائماً، ناكرة الجميل مستحيل أن تعترف أو تتذكر أنو بيوم من الأيام ساعدتنا.

4 ـ ألاّ تهتم بك في بعض الأحيان اهتماماً خاصاً؟

بحياتي كلها ما حسيت انها اهتمت فيي (دلال خاص) كأنها تخجل من هذا الأمر، بالعكس دائماً الفضل لها «وبتعيرني بكل شيء حتى باللقمة اللي باكلا».

5 ـ ألا تحاول ممازحتها والتقرب منها؟

إذا حاولت ممازحتها أو تقبيلها، 99% من الأحيان ترفض (بعود عني، تركوني، حلو عني) وتبدأ الصراخ والديباجة (مع التقليد بتعابير الوجه والطريقة في الصراخ). ما في كلمة حلوة، بحياتي ما سمعت منها كلمة حلوة أو لمسة حنان.

وخلال سفرك كيف كان تعاطيها معك؟

على التلفون، مثلاً بحسها متأثرة ولكنها عندما تشعر بوجودي الحقيقي تعود إلى قوتها.

6 ـ ألم تحاول مواجهتها؟

بلى، في كثير من الأحيان أحاول التحدث إليها (انو ما بيسوا هيك يا أمي، اخواتي شباب بحاجة لكلمة حلوة منك. . .). إلاّ أنها لا تتقبل الأمر أبداً، وهذا يزيد من صراخها وتبدأ بالشتم (صرتو قد الـ . . .) (انألعوا عني). وعلاقتها معي تدهورت أكثر فأكثر لأنني في كثير من الأحيان أواجهها.

7 ـ ماذا تشعر ناحيتها؟

«ما عندي جنس الحنية عليها ولكن أحاول أحياناً أن أفكر بها وأعذرها (على أنها تنقل التربية التي تربّتها إلينا) ولكن ليس لأجلها بل لأنها أمي وأنا ابنها وهذا واقعي وقدري لا أستطيع أن أغيرّ منه شيئاً، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله».

فقط من أجل آخرتي، (لأنو لو بدها تتغير كانت استمعت لحكيي ولو لمرة واحدة) (بس هي مريضة وما بدا تصلّح شي ولا تعترف بشي).

8 ـ ماذا علمتك أمك؟

علمتني، أن لا أعرف المطالبة بحقي وأن أسكت عن حقي، فأنا هو المفتري والمبتلي دائماً، فأين حقي. لم نتعلم النقاش، فالنقاش ممنوع، «سكّر تمّك» وصريخ كن فيكن، والملامح المتعجرفة والعصبية والقوة».

أكمل العبارات التالية: . . .

1 ـ أحب ← كل أم تعامل أولادها بحنان وتعطيهم المعنويات وتشعرهم بأنهم مميزين.

2 ـ أسعد وقت ← عندما أكون بعيداً عن أمي.

3 ـ اني أتأسف ← أنني وجدت على هذه الدنيا وكانت هي أمي.

4 ـ اني أرغب ← في أن أعرف لماذا رماني الله في هذا الجحيم.

5 ـ أكثر ما يؤلمني ← عندما أرى إنساناً يتمتع بمعنويات وقوة نفسية وشخصية لا أتمتع بها أنا. ويؤلمني أيضاً أن أرى نفسي وأخوتي جميعاً فاقدين للقوة والمعنويات والمستقبل الجيد.

6 ـ أتمنى ← لو أن لي أماً أعطتني كل الحنان والقوة والمعنويات لكنت ملكت العالم. وأتمنى أيضاً أن لا يخلق الله مثيلاً لها. وحرام أن تكون أماً لأولاد لم يروا منها إلا القسوة. ألوم والدي لأنه تزوجها وألوم أمها لأنها أنجبتها واستغفر الله لأنه خلقها.

7 ـ فشلتُ ← في كل شيء وحوّلتني إلى تمثال. . . وسأتزوج الفتاة التي أرى فيها كل ما لم أره في أمي. . .

8 ـ أحسن ما أكون ← عندما أكون نائماً.

* الكلمات التي تكررت خلال المقابلة؟؟

ـ القوة ← 14

ـ الحنان ← 5

ـ دائرة الشبهة ← 3

ـ المعنويات ← 5

ـ الشتائم ← 5 (تشتمني، المسبات، الشتيمة. . .)

ـ القسوة ← 4 (قاسية، قسوتها. . .)

- على غير حق ← 3 (لا أعرف المطالبة بحقي، أسكت عن حقي، أين)
- الجحيم ← 2 (رماني الله بهذا الجحيم، بيتنا جحيم حارق)
- كئيبة ← 2
- الصراخ ← 4
- كلمة جارحة ← 2
- السلبية ← 3
- الحذر ← 2
- تضربني ← 2
- الفرح ← 3
- لا حول ولا قوة إلاّ بالله ← 2

بعض التفاصيل خلال المقابلات

وخلال المقابلة حضرت والدته، دخلت، قال لها «يعطيكي العافية» إلا انها لم تجيب ولم تجب لوجوده، فبدأ، يهز بقدمه، إن المعلومات التي حصلت عليها هي من خلال خمس مقابلات قمت بها مع الحالة (س) وبتعاون كبير منه، ومقابلة سادسة لشكره على تجاوبه وتعاونه والحصول على بعض التفاصيل التي كنت قد أغفلتها، مع التركز على السرية التامة وعدم ذكر الأسماء.

يظهر لنا الصراع الذي يعيشه (س) من إجاباته الأولى، فهو يعبّر عن معاناته بطريقة صريحة وواضحة ومؤلمة، يكرر (منذ طفولتي) وهذا يدل أن مشكلته ممتدة من الطفولة إلى الآن وهو البالغ من العمر 28 سنة؛ ويصف العلاقة بينه وبين والدته بحالة المواجهة وحش كاسر) وعلى الرغم من وصفه لأمه بالوحش الكاسر، إلاّ أنه مباشرة يقول بأنها الحنونة، وهذا يدل على أنه بالرغم من قسوتها التي يحس بها لا ينكر حنينه لأمه التي قد لا تكون موجودة في أمه وإنما فقط في مفهومه عن الأم، لأنه لم يذكر كلمة «الحنونة» سوى في

البداية، وفي الإجابات اللاحقة لم يأتِ على ذكر هذه «الحنية»، يعبّر عن الحنان بطريقة أنه يتوق لهذا الحنان، يرغب به، يتمنى لو أن أماً تمده بالحنان والقوة والمعنويات والأمل والفرح، وفي كثير من المرات عبّر عن مشكلته هذه بأنها مشكلة تطال المنزل بكامله فهو دائماً يذكر «أنا وأخوتي».

ومع ذلك، فهو لا يرغب بأن تكون له أماً غير أمه هذه، أو مثلاً لا يرغب بأن يلتقي الفتاة التي. . . أو أي أمر آخر قد يرغب به.

في الوقت الذي نوجه فيه كل الاهتمام إلى إظهار حالات العنف الموجهة ضد النساء، (الظاهرة أو الخفية) وإيجاد الحلول لهذه الحالات ومحاولة مساعدة وإرشاد النساء ومعالجة الأسباب، في هذا المجتمع الذي نصفه بال «ذكوري» نسلط الضوء في هذه الحالة على وضعية علائقية مغايرة كلياً، وهي تعنيف أم (امرأة) لإبنها (ذكر) بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى. . .

الحالة رقم ـ 7 ـ

«نورا»

الضحية هي فتاة في الثانية والعشرين من العمر، عزباء تستقر مع عائلتها في محلة ذات طابع مدني، تتابع تحصيلها العلمي في الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم الآثار ـ السنة الجامعية الثالثة ـ كان تحصيلها العلمي في السنوات الماضية جيداً إلا أن الحادثة التي تعرضت لها كان من تداعياتها الرسوب في السنة الثالثة،

وإضطرارها إلى إعادتها. تتألف عائلتها من سبعة أولاد أربعة صبيان، وثلاث بنات وهي من بينهم، واحدة منهم متأهلة. توفي الأب منذ زمن بعيدٍ، تعيش الأسرة في شقة سكنية، والمحيط حيث يعيشون فيه معارفه قليلة، حيث عدد من النازحين من القرى والمناطق المختلفة.

الوضع الصحي: لا تعاني من أية أمراض أو تتناول أدوية لحالات مزمنة، إلا أنها خضعت لعملية واحدة فقط هي عملية نسائية لترميم الغشاء، بالإضافة إلى تناول أدوية مرافقة لهذه العملية لمنع الالتهابات آخر مسكن للألم وذلك بعد العملية مباشرة؛ والآن تتناول دواءً واحداً فقط مهدىء

للأعصاب، والتي إعترفت بأنها تتناوله بطريقة غير منتظمة عكس ما وصفته لها الطبيبة المعالجة.

الشكوى:

كانت الضحية في شتاء 2004 متوجهة مساءً إلى المزين لتصفيف شعرها، حيث كانت تتحضر لمناسبة ما، حين إعترضها ثلاثة شبان وضربوها على ظهرها فوقعت على الأرض وحملوها إلى السيارة. لم تستطع مقاومتهم ولم تعرف ماذا تفعل لأنها أصيبت بصدمة شلّت تفكيرها وشعرت بخوف شديد فقالت «ما عرفت في هذه الحالة شو ممكن أعمل وخفت كثيراً». أما الأشخاص الذين خطفوها فلم تتعرف إليهم باستثناء واحد قالت إنه إعترضها مرة في الحي القريب من منزلها، وطلب منها أن يتعرف عليها، وفاجأها بمعرفة إسمها حيث ناداها به وأيضاً بمعرفة مكان دراستها ومكان سكنها ومعرفة صديقاتها. لم تقبل بعرضه وأخبرته بأنها على علاقة عاطفية مع شخص آخر ويفكران في الإرتباط الجدي. لم يقنع هذا الشخص بردها وظل يلاحقها بإستمرار إلى أن إختطفها مع بعض الشبان وأخذوها إلى مكان ما وقاموا بإغتصابها. لم تذكر شيئاً عن هذا المكان وكانت متوترة جداً وفي بعض الأحيان كانت ترتجف عندما تتكلم، تابعت بأنها لم تنم طوال ذلك الليل؛ فسألتها إن إستخدموا منوماً معيناً فقالت «هيك شي» ولم تحدد نوعه.

أضافت بأنها عندما إستيقظت الساعة الخامسة صباحاً شعرت بألم حاد ووجدت آثار دماء ففسرت الأمر على أنها العادة الشهرية، ولكنها سرعان ما بدأت تشك بأنها قد تكون تعرضت للإغتصاب، وتابعت بأنها رأت «شي وسخ على جسمي» ولم تستخدم هنا تعبير السائل المنوي وقالت «بتعرفي شو يعني» وأضافت «بأنها أحست بحصول شيء ما بجسدها وأحست بأن شيء ما قد تغير بجسدها».

بعد هذه الحادثة وبعد تعرفها على المكان الذي كانت موجودة فيه، أول ما خطر على بالها أن تتصل بأهلها حتى يقلوها، وفي الوقت نفسه تتناول دواء ما يقضي على حياتها «عندما يصلوا أكون أنا رحت وخلصت».

إذاً أول ردة فعل كانت عدم التصديق بأن الإغتصاب قد حصل فعلاً، وهذا الأمر استمر أشهراً، والأمر الثاني هو الصدمة القوية التي لم تسمح لها سوى بالتفكير بالإنتحار كحل وحيد متاح أمامها إلا أنها تراجعت عن الأمر وخافت من أن لا ينجح.

ما بعد الإغتصاب:

إستمر الشك بحصول عملية الاغتصاب وسيطر عليها خوف شديد من التأكد عبر الفحص الطبي لأنها كانت لا تستطيع مواجهة هذه الحقيقة. من هنا كانت معاناتها وصراعها الدائم مع نفسها، فرفعت شكوى عند السلطات الأمنية المختصة، وكان ردهم أنهم بحاجة إلى تقرير يفيد بأنها تعرضت للإغتصاب؛ رفضت الخضوع لفحص طبي. أخيراً إنتهى الأمر إلى ان وصلت إلى جمعية حيث أقنعتها المسؤولة هناك بضرورة اجراء هذا الفحص حتى تتخلص من هذا الشك الذي بدأ يتأكلها وذلك حسب تعبيرها.

أكدت لها الطبيبة لها حقيقة الإغتصاب ووضعتها أمام المعالجات الطبية الممكن إجرائها مثل إجراء عملية لترميم الغشاء... شعرت «بأنني أهبط من السماء ولا يوجد شيء أتمسك به» وهذا يدل على الشعور بالصدمة والإنهيار، تابعت بأن أحداً قد رشقها بماء بارد ثم ماء ساخن. أكملت بأنها عندما خرجت من العيادة شعرت من أنظار الناس بأنهم يعرفون ما أصابها، وشعرت بأنها عارية وحتى في عيون الأطفال والنساء؛ هذا الأمر ناتج عن الشعور بالعار افتضاح أمر من المفترض أنه حيمي وخاص، فكيف إذا إنكشف وإضطرت إلى مواجهته؟ من هنا شعورها بالعري والإفتضاح.

- انتابتها مشاعر بالقرف من نفسها ومن جسدها على نحو خاص ورغبت بالخروج من جسدها «أنا من الداخل غير من الخارج»، وكانت كلما نظرت إلى المرآة الطويلة في غرفتها كانت تبصق على المرآة التي تعكس صورتها إلى أن وصل بها الأمر إلى كسرها.

تزايدت حدّة هذه المشاعر بعد أن رفض صديقها الزواج منها وعرضه عليها إقامة علاقة غير شرعية معها؛ شعرت بالقرف والكره لجسدها الذي كان

سبب معاناتها وفي الوقت نفسه ما زال محط رغبة...

أحسّت أنها تختلف عن بقية الفتيات وأنهن جميعاً سعيدات بينما هي تعاني من قلق دائم وحزن مستمر ومسيطر. «قبل الحادثة، كانت تمر بالقرب من متجر يعرض فساتين الأعراس فتقف وتتأمل الفستان بإعجاب، لأنها كانت تحب جداً فستان العرس الأبيض وتتمنى أن تلبسه يوماً، إلا أنها بعد هذه الحادثة تعتقد بأنها لا تستحق وأنها لن تلبس هذا الفستان أبداً».

تابعت، بعد السكوت لبرهة من الوقت، أنها في يوم عرس صديقتها، وعندما رأتها في فستان العرس حبست نفسها داخل الحمام وبقيت طوال السهرة تبكي وحدها. في هذا الوقت ومع تداعيات الحادثة، لم يعرف أحد ما تعاني منه حتى أعز صديقاتها؛ فهي لم تخبر أحداً بإستثناء الهيئة والسلطات التي إشتكت إليها. هنا نرى أنها لم تحاط بدعم من قبل الأصدقاء بل بالعكس أدى إلى انزوائها عن رفيقاتها.

بالإضافة إلى هذه المعاناة شكت بأن صحتها تدهورت، إزداد وزنها كثيراً، وكأنها تعاقب نفسها وتهرب من جسدها...

ردة فعل الأهل:

بعد هذه الحادثة بادر الأهل بالإتصال بصديقها الذي كان من المفترض أن يأتي لطلب يدها في تلك الليلة، وأخبروه بما جرى وأنه من الأفضل ألا يأتي. وفي الليلة التي فقدوها ظنوا أنها من الممكن أن تكون معه، لذا لم يصدقوا بداية قصتها، تابعت بأن أهلها يضيّقون عليها ويتدخلون كثيراً في إستجوابها عن الأماكن التي ستكون فيها وصولاً إلى تحديد مدة خروجها من المنزل وذلك حسب تعبيرها. وأضافت أنهم يراقبونها باستمرار، مثال على ذلك أنها عندما تدخل الحمام إذا تأخرت بعض الشيء كانت والدتها ترسل شقيقتها للإستفسار عن سبب تأخرها، فقالت «شو ممكن أكون عم أعمل ولماذا أجريت العملية إذا كنت سأفعل شيء ما».

علاقتها مع الهيئة:

وجدت الضحية الدعم المباشر من خلال الهيئة التي قدمت لها إستشارات

طبية ومساعدتها في إجراء عملية، بالإضافة إلى دعم نفسي من خلال طبيبة معالجة ودعم معنوي ومتابعة من خلال المسؤولة الإجتماعية.

ـ أجرت عملية ترميم للغشاء، والتي تكفلت بها الهيئة مع مشاركة بسيطة من الضحية كنوع من الموافقة والمبادرة الذاتية.

ـ قامت المسؤولة في متابعة حالتها منذ البدء وقدمت لها دعماً معنوياً ونفسياً أشركتها في برنامج من النشاطات بهدف تعزيز ثقتها بنفسها وإعادة دمج إجتماعية.

ـ معالجة نفسية عبر طبيبة معالجة تابعتها عبر جلسات متتالية.

أبدت الضحية إمتنانها للمعالجة والمسؤولية فقالت أن المعالجة «رجعتها إلى نفسها القديمة» و«أرجعت لي ثقتي بنفسي» والمساعدة وقفت إلى جابنها وقدمت لها دعماً كبيراً.

حالياً كيف تمضي وقت الفراغ، آرائها حول نفسها، حول الأصدقاء، والجنس الآخر.

حتى الآن ما زالت تراجع المعالجة خلال جلسة واحدة في الشهر، وتمضي وقتها ما بين الجامعة والنشاطات في الهيئة. تمضي أوقات الفراغ في قراءة القصص ومشاهدة أفلام الفيديو.

ـ تشاهد الكثير من الأفلام وتقول إنها تحب أفلام الرعب وأنها كانت تحبها من قبل والآن هي تفضل أفلام تحتوي عنف وقتل؛ وهذا ما يظهر رغبة في الإنتقام والإيذاء الممثلة إسقاط لمشاعر الغضب وفي نفس الوقت تماهي مع الضحية التمثلية في الأفلام.

ـ النشاطات التي تحب أن تشارك بها في الهيئة هي التي تتعلق بالأطفال، سألتها لماذا؟ فقالت «تحب الأطفال وتحب الألعاب كثيراً».

لا تحب «الرجال» تنصح شقيقتها ألاّ تقدم الكثير لحبيبها الذي سافر، «وهي ترى أن الشباب» لا يستحقون كل المحبة والعاطفة ولا يستحقون التضحية.

عندما تلاحظ أحد من «الشباب» ينظر لها بطريقة «غلط» كانت تبتعد وتنصرف وحتى اليوم لم تعد تدخل الكافيتريا حيث راقبها الجاني مرة دون أن تعرفه. «الشباب دائماً عندما يجلسون إلى جانب فتاة ما، فهم يحملون غاية ويريدون شيئاً منها حتى لو لم يكن موضوع حديثهم عاطفي». وهم يسعون في كل «حركاتهم» إلى تحقيق غاياتهم...

الحالة رقم ـ 8 ـ

«ملاك»

الصراع الاسطوري بين الكنة والحماه

تتمتع ملاك بجمال في وجه قلّت التجاعيد فيه ـ بيضاء البشرة ـ شعرها أشقر قصير، عينان فاتحتان ـ ترتسم المعاناة على محياها. بكت، حرّكت عيناها ويداها... صوتها خنقته الغصّة...

المعاناة

* كانت (م) فتاة في الثامنة عشر من عمرها عندما أنهت المرحلة الثانوية بنجاح، واستعدت لدخول الجامعة، إلا ان والدها منعها من متابعة التحصيل الجامعي خوفاً من الاختلاط، فمنعها مع اخواتها من الخروج مع الصديقات، وسلبهن أبسط الحقوق وهو حق إتخاذ القرارات في شؤونهن الخاصة. حيث كنّ والأم خاضعات لسيطرة الأب.

تعلمت (م) فيما بعد الخياطة، ومن ثم سنحت لها الفرصة بالعمل في مركز تجاري.

* لم تكن تتصور أن هنالك في الدنيا ـ كما اعتبرت ـ رجل في طباع والدها؛ فأخذت تحلم برجل غير متسلط، يخرجها من سجن الوالد، وترى معه السعادة والهناء والتفاهم (وذلك كما حدث لأخواتها اللواتي يعشن حياة مستقرة هانئة مع أزواجهن على الرغم من أن إحداهن خارج لبنان (في بلاد المهجر) وأن فترة الخطوبة لهذه الأخت لم تتجاوز الشهرين).

أخذ الحلم بفارس الأحلام يراودها، إلى أن تعرفت وهي في عمر

ال 32 إلى شاب يصغرها بحوالي الخمس سنوات كان عمله مجاوراً لمركز عملها.

تعارفا وتحابا واتفقا على الزواج، ومن ثم تقدم لخطبتها من عائلتها وحصل على موافقة الأهل ومباركتهم لهذا الزواج. وبعد فترة وجيزة، وإذا ب (م) تتفاجأ بأن موعد الزفاف قد حدد وبأن التحضيرات قد أتمت دون علمها أو حتى إستشارتها.

وبما أن (م) كانت قد أصبحت في عمر ال (32) فقد راودها الخوف من أن تأخذ فترة الخطوبة سنة أخرى من عمرها ـ الخوف من العنوسة لذلك وافقت على الموعد الذي حدده كل من الأهل والعريس، أملاً في أن تتعرف على أخلاقيات الشاب بعد الزواج.

وبناءً على ما سبق، دخلت الفتاة القفص الذهبي ـ كما يسمونه ـ بعد أربعة أشهر فقط من التعارف الأول دون أن يعيشا فترة الخطوبة ويختبرا سلوكيات بعضهما البعض.

وبما أن الفتاة لم يكن لها صداقات ولم يكن يسمح لها بالخروج إلاّ إلى العمل، فلم تكن تعرف أي شيء عن الحياة الزوجية والمشاكل التي قد تعصف بها.

وبما أن (م)، لم يسبق لها الارتباط بعلاقة عاطفية أو حتى مجرد صداقة مع شاب من قبل، فلم تكن تعي كيفية إختبار أخلاقيات الشاب (هنا وصفت نفسها بالطفلة التي لا تعرف شيئاً عن الزواج والرجال بسبب التربية القاسية التي مارسها الأب عليها وعلى أخواتها).

* في الفترة السابقة للزواج ـ فترة التحضير للزفاف، أعلمت (م) زوجها المستقبلي، بأنها تملك حوالي الـ (10 مليون ليرة لبنانية) مستشيرة إياه بكيفية التصرف بهذا المبلغ، وخيرته بين أمرين، إما إنفاقه على شراء جهاز ـ العروس ـ أو إيفائه كنقد يستفاد منه فيما بعد، إلا أنه أختار الخيار الثاني.

بعد الزواج والسكن في بيت العائلة إتفق الزوجان على دفع المبلغ الذي بحوزتها إضافة إلى ما تم جمعه من نقود ومصاغ (هدايا الزواج) دفعت كلها عربوناً لشراء شقة يعيش تحت سقفها الزوجان بعيداً عن تدخلات الأهل.

وبما أن الزوج وعد زوجته بأنه سوف يأخذ قرض مصرفي يتم إستفاءه من راتبه الشهري، وعليه فإن المبلغ الأكبر من ثمن الشقة هو من سيتكفل به، وبسبب خجلها منه ومن أن يعتقد بأنها لا تثق به وبأنه لا يوجد فرق بين الزوجين، أقنعها بأن له الحق بأن يكون عقد تسجيل الشقة بإسمه.

إلا أن حلم (م) لم يكتمل، لأن الزوج طلب منها سحب المبلغ المدفوع، وبناء طابق علوي في نفس المبنى الذي تسكنه العائلة، استجابة لطلب أمه، علماً بأن العقار والمبنى كله مسجل تحت إسم والد الزوج، وبناء عليه، فإن الشقة التي شاركت في دفع تكاليف بنائها الزوجة، هي بإسم أب الزوج وليس هناك ما يحفظ حقوقها قانونياً.

* من هنا، ونظراً لواقع عمل الزوج في الدرك والذي يتطلب منه المبيت خارج المنزل لعدة أيام تعرضت (م) لعنف مزدوج من قبل الزوج وأهله وخاصة والدته.

وكان لبعد أهلها عنها نتائج سلبية أدت بالزوج وأهله إلى الإستفراد بها، بعد إنجابها المولود الثالث، توقفت الزوجة عن العمل مفضلة إعطاء كل وقتها وإهتمامها لأسرتها. أصبح يتصرف بالنقود وبالهدايا دون علمها (مثال: أهدته عقد من الذهب فباعه).

لا تعرف كيف يصرف راتبه الشهري، وهو يدّعي بأنه يدفع القسم الأكبر منه لتسديد قروض كان قد استدانها على راتبه، إلا أنها لا تعرف سبب هذه القروض وكيف انفقها، بالإضافة إلى وضع المصروف تحت رعاية أمه والتحكم به.

استغلت الحماة الكنة اقتصادياً، عندما عملت الكنة، أو حتى عندما ترى أي مبلغ بين يديها تحاول نسج الحيل لأخذ المال منها:

- احتاجت الكنة مبلغاً لشراء عبوة من الحليب لإبنها الصغير، إلا أن الحماة رفضت إعطائها النقود بحجة عدم توفره معها. عندها حاولت (م) الإستدانة من البائع ريثما يأتي الزوج ويدفع ثمن علبة الحليب فمنعتها؛ وحين

حاولت الزوجة الإتصال بالزوج تعرضت لها الحماة بالضرب، واتصلت بإبنها بحجة أن زوجته ضربتها.

مثال آخر: تدفع الأم دائماً فواتير الكهرباء للجاني، إلا أنها تخفي الإيصالات لحين معرفتها بوجود المال مع كنتها فتطالبها بدفع المستحقات.

وفي الفترة التي كان يبنى فيها المنزل، طلبت الحماة من كنتها دفع تكلفة العامل الذي نفذ بعض الأعمال الخاصة بها على الرغم من أن زوجها كان قد منعها وطلب منها عدم دفع التكاليف. إلا أن الحماة أحرجتها أمام العامل وأجبرتها على دفع التكاليف بنفسها. وعند ذهاب هذا العامل من المنزل أخذت تنعتها (بالحمارة) لأنها دفعت للعامل وقالت لها أنهم ما كانوا يريدون دفع المبلغ له، فلماذا دفعته؟ وهي لا تتوانى عن طردها من المنزل.

رمى أب الزوج في إحدى المرات قارورة من العطر على كنته إلا ان العناية الإلهية أنقذتها واصطدمت تلك القارورة بالحائط وها هي الحماة تدخل المستشفى بذريعة أنها تأذت من ضرب الكنة لها.

هذا بالإضافة إلى شكواها عند أهلها والتدخل المستمر في تربية أولادها... والقدح والذم (كالبخل، حمارة، أنت بتقطعي الرزق، حاسدة...)، ومنعها من زيارة الأصدقاء من زيارتها، ومنعها من استعمال الهاتف، وتحريض الأقرباء على عدم استقبالهم لها عند قيامها بزيارتهم، وتحوير كلامها وفهمه بطريقة سلبية مثلاً كلمة أحبكم يأخذونها بمعنى سيء ويحاولون إعطائها تفسيرات شتى، وإهمالها نفسياً من قبل الزوج حيث يتصل ليتفقد وليطمئن على أولاده، دون أن يسأل عن زوجته أو يحاول محادثتها. «في بداية زواجنا كان يومياً يتصل ليتكلم معي، وفيما بعد لم يسأل عني».

إلى أنه في أحد الأيام دخل الزوج منزله وآثار الخيانة الزوجية مرتسمة على عنقه (علامات من قبل رسمها أحمر الشفاه). عندها أخذت (م) بالصراخ وشد غطاء منضدة الطعام، مما أدى إلى وقوع تمثال يجسد السيد المسيح (ع).

فصعد أهله إلى منزله على أثر الصوت الذي أحدثته الزوجة فتظاهروا بأن إبنهم متعب بسبب صراخها. وقاموا بتقديم المسكنات الطبية له وحمله إلى الفراش محاولة منهم لإخفاء آثار الخيانة الزوجية، ومن ثم قاموا بطرد الكنة من منزلها الزوجي لأنها أخذت بالصراخ.

وسبق ذلك إهمالها صحياً ومنعها من علاج أسنانها ومن إجراء عملية جراحية لقدمها (حيث تعرضت لضعف في قدمها بعد إنجاب الطفل الثالث).

** تجدر الملاحظة إلى أن طرد الكنة من منزلها الزوجي تكرر 6 مرات، ناهيك عن تهديد الزوج لزوجته في حال رفضت القيام بعلاقة جنسية معه. مثال: كتهديده إياها بمنع الأولاد من الذهاب إلى المدرسة في حال إمتنعت عن طلبه بإقامة علاقة معه وتحريض الأولاد على عدم الذهاب إلى المدرسة.

تقدمت بشكوى من المخفر عندما تعرض لها زوجها بالضرب وأدىّ إلى ورم عينها إلا أن عناصر الدرك في المخفر نصحوها بعدم تقديم شكوى رسمية كي لا يؤثر هذا على سجل الزوج، هذا وفي الوقت الذي تعرضت للضرب على عينها أرادت أن تذهب إلى الطبيب الشرعي إلاّ أن بعدها عن أهلها، وكون الوقت ليلاً منعها من استدعاء الطبيب الشرعي.

وفي مرة ثانية عادت إلى المخفر فلم يُسجّل أية شكوى رسمية ضده، إلا أنّها تفاجأت بادّعائِه أنّه سجِن وأنها هي سبب سجنه، ومن بعد هذه الحادثة لم يعد يأتي إلى المنزل.

قامت ولمدة من الزمن بعدم التكلم مع أهله وقطعت علاقتها بهم، عندها شعرت أن حياتها أصبحت أكثر أماناً إلا أنهم عرّضوها لضائقة مالية لدى طردها من منزلها الزوجي حاولت دوماً الذهاب عند أقارب الزوج أو إحدى أخواته أو الجيران إلا أنهم كانوا يرفضون استقبالها.

حرصت دوماً على عدم إطلاع أهلها على موضوع طردها من قبل أهل زوجها خوفاً من الطلاق.

طلبت مؤخراً، مساندة الهيئة اللبنانية لمناهضة العنف ضد المرأة. فساعدوها من الناحية القانونية، وبتأمين فرصة عمل لها، وتأجير مسكن لها، وهي ما زالت تطالب بـ:

ـ إعادة المساكنة ـ إيجاد سكن بعيداً عن أهل الزوج (ومنزل مستقل) ـ عدم التدخل في تربية الأولاد من قبل أهل الزوج ـ التعهد بعدم ضربها من قبل الزوج، وبعدم الخيانة ـ إعطاء مصروف المنزل لها، لأنها لا تثق به في حال كان المال بحوزته.

«أصبحت ضعيفة، لأن العلاقة بين الرجل والمرأة تقوي المرأة» «أشتاق لحضن أولادي» «الخيانة سلبت مني قواي» «أنا ساعدته في بناء المنزل».

الفصل السادس

العنف الإعلامي:
محاولة أولية لتحليل المضمون

* إن التقنية التي استخدمناها لتبيان العنف الإعلامي الذي نفترض استلابه لسلوك الناس، خاصة فئة الشباب منهم، فكانت تقنية تحليل المضمون التي أردناها ان تركز على الوثائق التالية:

1. وثيقة سمعية ـ بصرية توثيقية من جزءين، خصصت لتحليل ولنقد ظاهرة المغنين والمغنيات الجدد وتحديداً «الفيديو كليب».

2. وثائق نشرت في جرائد النهار ـ السفير ـ البلد والتي تتعاطى الموضوع نفسه، وهي وثائق ظهرت في المنتصف الثاني للعام 2005، ولقد وصل عددها العشرة.

أما ما تمّ جمعه من وثائق ونصوص أخرى ففضلنا أن نجمعها في فصل خاص بها خاصة وأن مواضيعها العنفية قد تنوعت. فيصبح الهدف غير منحصر بتحليلها، بل بربطها بالنص بشكل عام لما لها من أهمية، وبرهان على واقع العنف العالمي والمجتمعي وما يمكنه ان ينجر على العنف الفردي، فكان بمثابة شهادة أو شهادات أساسية وظيفتها الربط والدلالة.

لقد اعتمدنا على تحليل مضمون شمل التحليل النوعي والكمي...

الفيديو كليب والمغنيات الجدد هي ظاهرة بدت اليوم منتشرة بشكل ملحوظ في مجتمعاتنا العربية، حيث باتت جزءاً من حياة الناس والواقع المعاش، وأضحت الشغل الشاغل لكافة شرائح المجتمع. فالصغار والكبار والمسنين تراهم اليوم على اطلاع دائم بأخبار الفنانين ومواكبين آخر أعمالهم ومنتظرين جديدهم.

وها هو برنامج «بالعين المجردة» يتناول ظاهرة الفيديو كليب والمغنيات الجدد من إعداد وتقديم «ديانا مقلّد» أخرجه «أيمن مروّة» وانتجه تلفزيون المستقبل والذي عرض على شاشة تلفزيون المستقبل ربيع سنة 2005 وكان انتج سنة 2004 وهو مؤلف من جزئين مدة كل جزء ساعة ونصف، ويعد هذا البرنامج وثيقة سمعية ـ بصرية نقدية قائمة على ريبورتاجات ومقابلات مع الفنانين والمخرجين وأشخاص آخرين.

تناول الجزء الاول من البرنامج هذه الظاهرة في الواقع اللبناني وتناول الجزء الثاني الظاهرة في الواقع المصري.

I ـ الفيديو كليب في مصر:

1. بوسي سمير: راقصة وفنانة استعراضية تعتمد على الإغراء والاثارة للوصول إلى الشهرة.

2. شكري محجوب: كاتب أغاني بوسي سمير وقد تحدث عن مستوى الاغاني التي يكتبها مبرراً بأن الأيام التي نعيشها تتطلب هذا النمط من الاغاني.

3. روبي: فنانة استعراضية اعتمدت الإثارة والاغراء. صدرت دعوى بحقها لمنعها من الغناء وطالب النواب بعدم بث كلياتها، واعتبرت نسخة مصرية عن هيفاء وهبي.

4. بينو ورفاقه: يقطنون أحياء شعبية في ظل ظروف اقتصادية صعبة جداً. وصل إلى الشهرة من خلال تقليده لروبي في كليبه.

5. إتّهام المصريين بأن الانقلاب الحاصل في مصر وتدني مستوى الفن سببه موجة الغناء الصاعدة في لبنان.

6. نجلاء: فنانة تونسية في غاية الإثارة تعتمد على مقوماتها الجسدية وليس الصوتية، وقد تم منع عرض كليباتها على بعض المحطات.

7. Melody: محطة فضائية قائمة على ترويج الفيديو كليبات الأجنبية والعربية المثيرة للمغنين والمغنيات الجدد. صاحبها ورئيس مجلسها إدارتها «جمال أشرف مروان» الذي كان له رأي حول الفيديو كليبات التي تعرض على شاشة محطته.

8. إيمان سمير: فنانة دخلت عالم الغناء مؤخراً بعد دخولها عالم التمثيل الذي فتح لها أبواب الشهرة، وقد سمح لها بالغناء تحت غطاء أسري.

9. آراء مختلفة (رأي كبار السن) حول مسألة الغناء والانفلات الحاصل.

10. الفقر والوضع المعيشي الصعب المنتشر في مصر دفع الناس إلى مشاهدة هذه الكليبات للتخفيف من حدة الضغوطات التي يعيشونها، وتعتبر وسيلة لتمضية الوقت (للجلوس في المقاهي التي تعرض هذه الكليبات).

11. الترويج للمغنيات من خلال إبراز صورهن لدى بائعي التموز.

تحديد الوحدة:

جدول (27)

الافكار	المشاهد	الشخصيات	الصوتيات	التصوير والحركة
- تعميم النموذج الفني الجديد واعتباره انطلاقة أساسية - اعتبار الفيديو كليات جزء من التطور	- في المقدمة ظهرت دهانا مقلد مقدمة البرنامج	الممثلين: دهانا مقلد المتجورين: - المثقفين - عامة الشعب المغنين:	- صوت الموسيقى في الفيديو كليب - أصوات المشاهدين في المقاهي.	- الإغراء - ابراز مفاتن الفنانات (الصدر)
- إذا لم نقم نحن بهذه الكليات فإنها ستأتينا من الخارج - هذه الكليات هي أسرع طريقة للشهرة وكسب المال	- عامة الناس في المقاهي والاحياء الشعبية - الازدحام السكاني في الاسواق	- بوسي سمير - إيمان سمير - بينو المخرجين: تامر بركات الكاتب: شاكر محجوب القادة:		- النوم على السرير - رقص والحركات المثيرة
- اعتبار ما يقدمونه من جديد وقيم وغير مكرر		- علي لبن: نائب عن الجماعة الاسلامية أصحاب المحطات: جمال أشرف مروان		- اللباس (العري) - الغنج
- مواكبة التكنولوجيا عبر الصوت المتواضع. - الفيديو كليب أسرع طريق للشهرة.	التمايل على السرير.	مؤلف أغنية «بوسي» يعتبر أنه لم يتجرأ أحد أي كان على ابتكار مثل هذه الكلمات المبدعة «حط النقط على الحروف»... «بينو» يقول أنّ «روبي» كانت دافع له ولرفاقه	جملة موسيقية قصيرة وصاخبة.	- نظرات وتصرفات مثيرة جنسياً. الرقص والإغواء أثناء الغناء.
- التقليد: يقول «بينو» أنه معلم بـ «روبي» وسيقبر الفقر بتقليدها. - الجمال هو الأساس وحتى إذا كان الصوت جميلاً ولا يتمتع بجمال الوجه، فإنّ الجمهور لن يحبّه. - إبراز الأنوثة والإغراء ضروري للتنفيس.	استمالة القلب والغريزة. تقليد حركات «روبي»	لدخول عالم الفيديو كليب. والمخرج يقول بأنّ هذا الفيديو كليب لا يوجد فيه إغراء كون «بينو» رجل. إيمان التي تواكبها والدتها بعملها تقول أنها ستحجّب لاحقاً. رئيس مجلس إدارة محطة Melody يقول: إنّ الكلاب تعوي والقافلة تسير	في بعض الأغنيات يكون الريتم سريع وبعضها الأخر بطيء وهو يحاكي حركات الجسد. الكلمات متناجه	التركيز على مفاتن المغنيات. التصوير بشكل لافت لتفاصيل الجسد.

جدول (21)

تصنيف الفئات:

الافكار	التكرار	المؤشر	الدلالة
ـ اللباس ـ الماكياج ـ الجسد ـ الكلام ـ الفقر ـ الشهرة ـ المال ـ البذخ	15	ـ الغنج والعري ـ الطريقة ـ واللون (ماكياج صارخ) رسمة العيون والشفاه ـ ابراز الشفاه بطريقة مثيرة ـ الصدر والارداف ـ نعومة الصوت والتنهيدة ـ الاسواق والاحياء الشعبية وكثافتها السكانية ـ الترويج ـ استخدام أدوات الطفولة للاغراء	ـ الإغراء ـ ابراز مفاتن الفنانات ـ الإثارة الجنسية ـ التخلي عن العقائد من اجل الحصول على المال والوصول إلى الشهرة ـ النجاح في أعمالهم سببه إعجاب الناس بهم ـ الإثارة والاغراء

جدول (22)

بدأت «ديانا مقلد» من برنامجها «بالعين المجردة» بانتقاد هذا النوع من الفيديو كليب بطريقة غير مباشرة، فعلى الرغم من محاولتها عرض الموضوع بطريقة موضوعية إلا أنها بدت، من خلال لهجتها وطريقة تعبيرها والعبارات التي استخدمتها، بدت ومنحازة ضد هذه الموجة العارمة من الفيديو كليب ذات المستوى الفني المتدني والهابط كقولها مغنيات الإثارة وغناء الإغراء:

«أننا في صدد فيلم يعرض لظاهرة المغنيات الجدد غناءً ورقصاً وإثارة من بيروت إلى القاهرة. مغنيات يظهرن في أفلام معتمدات بشكل أساسي على استمالة الغرائز. جيل كامل من الفتيات اللواتي يغنين لأهداف ليست الطرب وحب الغناء واحترامه، بدءاً من إليسا وهيفاء ونانسي وصولاً إلى روبي مروراً بـ بوسي سعيد».

«استقبل الناس هذه الأفلام والمغنيات بالترحيب تارة والمنع تارة أخرى، وفي ظل الفضائيات وقدرة اختراق المحظورات أقوى وأشد بسبب انتشار هذه الاغاني، تمّ الترويج لهذه الموجة بشكل واسع».

وهنا تتدخّل «ديانا مقلّد» من جديد لتقول:

«الانفتاح ميّز اللبنانيين عن باقي العرب على عكس البلاد العربية التي تشن حملات رفض على مغنيات الإثارة، وعلى الفيديو كليب».

وفي العصر الراهن أصبح هذا النوع من الأغاني والكليبات منتشراً بشكل كبير في مجتمعاتنا حيث أن الصوت الجميل لم يعد مقياساً أساسياً ومعتمداً لبلوغ الشهرة التي يسعى الكثير من الفنانين اليوم للوصول إليها بشتى الوسائل. فالصوت في أيامنا هذه بات من السهل جداً التلاعب به وتعديله و«تجميله» بفضل ما بلغته المعدات والآلات الموسيقية من تطور تقني لافت. وأصبحت المقومات الجمالية والشكلية اليوم هي الأساس المعتمد من قبل شركات الإنتاج لايصال فنان أو فنانة دون غيرهم إلى عالم الفن والغناء، وباتت مشاهد العري والحركات المثيرة التي تقوم بها الفنانات هي الوسيلة المتبعة للفت نظر شركات الإنتاج لبلوغ مآربهم وتحقيق غاياتهم وكسب الشهرة والمال.

فـ «بوسي سمير» مثلاً، هي راقصة وفنانة استعراضية مصرية دخلت مؤخراً عالم الفن والغناء. وعلى الرغم من قدراتها الصوتية المتواضعة، استطاعت «بوسي» ان تلفت نظر المشاهدين لكليباتها التي تبرز فيها مقوماتها الجمالية ومهارتها في الرقص، وذلك بالقيام بمشاهد ساخنة ومثيرة إلى أقصى الحدود، وظهورها بلباس يبرز مفاتن جسدها (شبه العاري).

اسمها الحقيقي «سعدى» وقد رفضت أن يزورها فريق العمل في منزلها، وأثناء محاورتها قالت بأن الفيديو كليب هو أسرع طريقة للوصول إلى الشهرة وبذلك تكون قد «طلعت إلى النور» (كما قالت)

وتعتمد «بوسي» في شهرتها على الرقص والاغراء وأداء حركات مثيرة إلى حد منع عرض كليباتها على بعض المحطات بسبب سخونة المشاهد فيه، على الرغم من محاولتها الدفاع عن نفسها قائلة بأن ما تفعله ليس «Over». وقد ردت «بوسي» على النقد اللاذع الموجه إليها بتصوير فيديو كليب آخر في غاية الإثارة بعنوان «حط النقط على الحروف» من تأليف الكاتب شكري محجوب.

وتقول بأن ما تقوم به عادي جداً وأن هناك الكثير من الفنانات «بنات جيلها» يؤدين مثل هذه الحركات ويبرزن مفاتن أجسادهن، وهذا ليس عيباً أو مشيناً.

أما الكاتب «شكري محجوب» فيعيش في غرفة بسيطة على سطح إحدى المباني، مما يعكس الواقع الاقتصادي المتدني الذي يعيشه. ويقول بأن كلمات الاغنية مأخوذة من واقع الحياة التي يعيشها، فهي كلمات بسيطة سلسة وسهلة، فنحن نعيش مع الناس ويجب أن نقدم أغنيات سهلة وخفيفة على الأذن. وتتضمن هذه الاغاني إيحاءات جنسية يصعب على المجتمع العربي تقبلها، ويجعل منها محط نقد وفرصة للنقاد لعرض آرائهم وانتقاداتهم.

وأثناء تصوير الفيديو كليب، والذي بدا فيه المكان أشبه بورشة عمل بسيطة، لوحظ وجود ولد (ابن المصور) خلال دوام المدرسة في مكان تصوير فيديو كليب «بوسي»، وقال بأنه غاب عن المدرسة ليبقى إلى جانب أبيه أثناء التصوير. وهذا متغير إجتماعي واضح، فالسماح لطفل بهذا العمر بمشاهدة مشاهد ساخنة ومثيرة لراقصة لم يكن ممكناً فيما مضى، ولكن اليوم بات أمراً عادياً جداً.

أما «روبي» التي أحدثت ثورة في عالم الفن العربي عامة والمصري خاصة، فقد لاقت الكثير من النقد في الصحافة المصرية والعربية. «روبي» هي فنانة استعراضية أطلّت في فيلم سينمائي من بطولة الفنانة التونسية «لطيفة» وإخراج «يوسف شاهين». ثم انتقلت إلى الغناء معتمدة على حركات إغرائية مثيرة وفي لباس شبه عار، حيث ظهرت في أول كليب لها بلباس راقصة تسير في الشارع ونظرات الناس تلاحقها أينما ذهبت. هذه الصورة التي ظهرت فيها «روبي» والتي تؤدي فيها حركات راقصة تتضمن ايحاءات جنسية لافتة، دفعت الرقابة المصرية إلى رفع دعوى ضدها لمنعها من الغناء، وعلت الصرخات مطالبة بمنع بث فيديو كليباتها لا سيما نواب جماعة الاخوان المسلمين لما تتضمنه هذه الكليبات من مشاهد غير اخلاقية ومنافية للاعراف والتقاليد. وتعتبر «روبي» الفنانة الاكثر إثارة في مصر، إذ أنها في كل فيديو كليب تقدمه تكشف أكثر فأكثر مفاتن جسمها، فقد ظهرت في أحد كليباتها تفتح قميصها وفي آخر على الدراجة تقوم بحركات غنج ودلال فاحش مما يثير الغرائز الجنسية لدى

الشباب، فضحكة «روبي» المثيرة ورقصتها وحركاتها وطريقتها في الغناء كلها تدل على الإثارة والاغراء.

وقد اعتبرت الصحافة المصرية والإعلام المصري ان اللبنانيات هن اللواتي أدخلن أفكار الغرب إلى المجتمع المصري، واعتبروا ان «روبي»، نسخة مصرية عن «هيفاء وهبي».

هذا النوع من الفيديو كليب دفع العديد من الشباب إلى دخول عالم الفن أسوة بالفنانات. فالشاب «بينو» ورفاقه قرروا خوض تجربة الغناء والاخراج لكسب المال والوصول إلى الشهرة.

«بينو» يتيم الاب والام، عاش في ظل ظروف اقتصادية ومعيشية صعبة، كان يحلم هو ورفاقه بدخول عالم الفن ولكن كيف السبيل إلى ذلك في ظل إمكانيات مادية محدودة؟

استطاعت «روبي» أن توصل «بينو» ورفاقه إلى عالم الفن والغناء في ظل هذا الازدحام على الساحة الفنية، فقد صور «بينو» فيديو كليب قلّد فيه روبي وما تقوم به من حركات على الدراجة (كما ظهرت في أحد فيديو كليباتها). وقد ظهر «بينو» في الكليب أنه شاب معجب جداً بـ «روبي» فأحب تقليدها وقد لاقى هو أيضاً الكثير من النقد.

أما «تامر بركات» مخرج فيديو كليب «بينو» فقد رفض اعتبار ما قدمه تعبيراً عن الإثارة والاغراء. بل اعتبر أن ما يقدمه إنما يعكس واقع المشاكل الكثيرة التي تعاني منها شريحة واسعة من الناس. وقد دافع «بينو» وصديقه المخرج عن ما يقدمانه معتبران ان البيئة التي يعيش فيها معظم الناس، لا سيما الشباب، هي السبب الحقيقي في تدني المستوى الفني هذه الايام.

وانطلاقاً من الفكرة التي دفعت شاباً إلى تقليد فتاة بهدف كسب المال، يتضح لنا أن المجتمع المصري يتفشى فيه الفقر الذي تعاني منه شريحة كبيرة من السكان بسبب الكثافة السكانية الموجودة في مصر (70 مليون نسمة)، وهذا ما أدى إلى الجهل وسوء التقدير، إذ يبدو أن المشاكل الكثيرة التي تعاني منها مختلف فئات المجتمع المصري انعكست على موجة الفن الهابط الذي برز في

الآونة الأخيرة. ويصرّ «بينو» ورفاقه على إكمال مسيرتهم الفنية بعد أن قدموا تجربتهم الاولى.

أما الفنانة التونسية «نجلاء» فقد ظهرت مؤخراً في فيديو كليب مع حصان تقوم بغسله وهو يدل على أنه بديل عن الجنس الذكوري في الكليب. وتعتمد «نجلاء» كغيرها من الفنانات الجدد على المقومات الجسدية والجمالية وليس الصوتية، حيث تقوم في الفيديو كليب بمشاهد مثيرة ومغرية أيضاً، وقد منع عرض الفيديو كليب على بعض المحطات.

Melody: هي محطة قائمة على ترويج الفيديو كليبات الأجنبية والعربية المثيرة للمغنين والمغنيات الجدد. صاحب ورئيس مجلس إدارتها «جمال أشرف مروان»، وهو حفيد الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر»، ويعتبر أن الناس بحاجة لأن تموّه عن نفسها ولا سبيل إلى ذلك إلا من خلال مشاهدة الفيديو كليبات التي تعرض على كافة المحطات الفضائية. وقد دافع «جمال مروان» عن ظاهرة الكليبات الراقصة معتبراً أن ما يعرض هو أمر عادي جداً، ومن الطبيعي جداً أن يدافع عن هذه الكليبات كونه صاحب إحدى أهم المحطات المروجة لهذه الكليبات.

أما «إيمان سمير»، فهي فنانة مصرية انتقلت من عالم التمثيل الذي فتح لها أبواب الشهرة إلى عالم الغناء. اعتبرت ان الشكل و«اللوك» هما أفضل بكثير من الصوت لأن هذا العصر هو عصر الصورة والشكل أكثر مما هو عصر الصوت الجميل. ومن الملاحظ أنه في المجتمعات المحافظة يسمح حالياً للفتاة بالغناء تحت غطاء أسري، حيث أن الاهل هم الذين يدعمون ابنتهم في مسيرتها الفنية ويسمحون لها بارتداء لباس فاضح قليلاً ولكنها تقوم بواجباتها الدينية كاملة فهي إبنة أسرة منتمية إليها بكافة معتقداتها وعاداتها وتصرفاتها، وهناك أيضاً مستوى خفي يتمثل بالتساهل بالمعتقدات الدينية والاخلاقية. وتقول «إيمان سمير» بأن هذه المرحلة التي تمر بها، هي مرحلة مؤقتة وأنها تريد أن تتمتع بشبابها قبل أن تتخذ قرارها بارتداء الحجاب.

أما من الناحية الاقتصادية فإن الغناء يساعد على كسب المال الذي يساهم بتحسين الوضع المعيشي الصعب وذلك للتغلب على الفقر الذي تعاني

منه شرائح كبيرة في المجتمع المصري والذي تسببه الكثافة السكانية والاكتظاظ السكاني.

وقد تم استجواب عدد من الاشخاص المسنين الذين اعتبروا أن ظاهرة الفيديو كليب والمغنيات الجدد هي سبب الانفلات والانحلال الاخلاقي الحاصل. وينقسم المجتمع المصري ويتخبط بين تزمّت وتحفظ كبير، فالحاجة إلى تفريغ هذا الكبت والهروب من الازمات والمشاكل والضغوطات التي يعانيها أفراد هذا المجتمع هي التي دفعتهم إلى مشاهدة كل أنواع الفيديو كليب. كما أن الوضع الاقتصادي المتردي المنتشر في مصر، دفع الناس إلى تمضية أوقاتهم في المقاهي ومشاهدة هذه الفيديو كليبات أثناء احتسائهم القهوة أو الشاي وتدخين «الاركيلة»، وذلك للتخفيف من حدة الضغوطات التي يعيشها الناس كما أنها وسيلة للتسلية وتمضية الوقت.

ومن الملفت للنظر ان ظاهرة المغنيات الجدد انتشرت كثيراً في مصر حيث أصبح يروّج لها من خلال عرض صورهم على المنتجات أو تسميتها بأسمائهن، فقد ظهر في مصر منذ فترة ما يسمى «تمر نانسي عجرم» بدل «تمر بن لادن»، وهذه وسيلة أخرى غريبة للترويج.

وإذا أردنا مقارنة ظاهرة الفيديو كليب في لبنان ومصر، نجد أنه من حيث المستوى الاقتصادي هناك فارق كبير بين البلدين.

فالفيديو كليب في لبنان كلفته باهظة، إذ ان هناك إفراط كبير في صرف المال على إنتاج هذه الكليبات (مثل كليبات إليسا ـ هيفاء ـ نانسي. . .)

أما في مصر فإن إنتاج هذه الكليبات لا تبلغ كلفتها الحد الذي تبلغه في لبنان. فمن خلال مشاهدتنا لكيفية تصوير فيديو كليب «بوسي سمير»، يبدو لنا للوهلة الاولى وكأنه ورشة عمل متواضعة وبإمكانيات مادية محدودة جداً.

ومن الملاحظ أيضاً أن معظم المغنيات اللبنانيات الجدد انتقلن من دور الأزياء إلى عالم الفن والغناء. أما في مصر فنلاحظ انّهن انتقلن من عالم الرقص والفن الاستعراضي إلى عالم الفن والغناء، والهدف واحد في كلا البلدين وهو السعي للوصول إلى الشهرة وكسب المال.

أما بالنسبة للوضع الاقتصادي فإنه في لبنان أفضل مما هو عليه في مصر، فالكثافة السكانية في مصر هي السبب في الفقر والبؤس المنتشر في الاحياء الشعبية وغيرها من المناطق والمدن المصرية، كما ان الفئة أو الطبقة الغنية لم تذكر في سياق البرنامج.

في لبنان لم يتم ذكر الوضع الاقتصادي، ولكنه يتضح لنا المستوى الاقتصادي من خلال تكاليف الفيديو كليبات المنتجة. ويمكننا إجراء مقارنة بين «بينو» الذي يعيش في حي شعبي فقير ودخل عالم الفن بإمكانياته المتواضعة، وبين «غسان المولى» الرياضي وعارض الأزياء وملك جمال لبنان السابق والذي انتقل من دور الأزياء إلى عالم الفن والغناء في ظل إمكانيات مادية جيدة قادرة على إنتاج فيديو كليب بمعدات وتقنيات فنية عالية.

في لبنان سمعنا رأي «سمية البعلبكي» التي تحدثت عن الطرب الأصيل الذي بات اليوم مغنياً بسبب المقومات الجديدة كالشكل و«اللوك» والتي أضحت أساس الشهرة والنجاح والاستمرارية، وان من لا يواكب هذا التطور يعجز في هذه الأيام حتى عن إصدار «ألبوم» أو تصوير فيديو كليب. ولكن موضوع الطرب الاصيل لم يأت أحد على ذكره في مصر وهذا يعني ان موجة الاغاني الحديثة سيطرت على الساحة الفنية، ولم يعد الطرب الاصيل معتمداً في هذا الوقت علماً بأن مصر هي الموطن الام للطرب الاصيل الذي نشأ مع أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم وغيرهم الكثير من عمالقة الطرب.

إن كل ما ذكرناه هو خير دليل على مدى سيطرة وتأثير العولمة ووسائل الإعلام على مجتمعاتنا، إضافة إلى الوضع الاقتصادي الصعب والمعيشي المتأزم. كل ذلك ساعد على هزّ عقائد وعادات وتقاليد المجتمعات المحافظة وجعلها تنجرف في تيار شكلي آخر يكرّس إعلامياً وضع المرأة ـ الجسد أي الموضوع وليس الذات كما يجسّد حركات الإثارة والاغراء والايحاءات الجنسية.

تفتش تقنية تحليل المضمون في علم النفس الإجتماعي عن الدلالات المستبطنة داخل عناصر وثيقة ما، وينطلق في التحليل من البعد الظاهر ليرصد البعد الخفيّ أي ينطلق من الفكرة (النوع) ليرصد تكرار هذه الفكرة (الكم) وبالتالي هو يجمع ما بين النوع والكم.

جدول المستوى الظاهري لقراءة المشاهد في الـ Video Clips :

الافكار	المشاهد والمكان	الشخصيات	الصوتيات	التصوير والحركة
1 ـ تعميم النموذج الفني واعتباره الأساس - رفض اعتبار ما تقوم به في Video Clip اثارة بل هو شيء عادي حيث لم تظهر سوى يديها ورأسها. - الاهتمام الزائد بالشكل الخارجي. - السعي وراء الشهرة	• استديوهات التصوير على الكسروان/ صالون تجميل مشهد Video Clip وهي تستحم بالحليب • ديكور مفعم بالايحاءات • مشاهد على السرير • في الحمام • في عرض الأزياء	طوني؟ جاد شويري نيتا	• صوت فيه بحة منخفض • خلفية موسيقية هامسة • تعليق عليها مفاده أنه لا يملك موهبة الغناء	• اعتماد على الإغراء رقص وحركات غنج/ تركيز التصوير على الصدر • ألوان: - فاقعة - رمادية - فوشائية - مغبرة • لباس مثير وحركات مغرية/ تركيز على المناطق الحساسة
2 ـ اعتبار الـ Video Clip جزء من التطور - على المجتمع ان يتقبّل ما يُقدّم في الـ Video Clip لا أن يضخّم الامور فكرة الاستحمام بالحليب استعملت في الإعلانات لكن طريقة التقديم مبتكرة				
3 ـ تسلية وأفكار جريئة هنا برأيها تعريف الفن - اختلاف أفكار المتجرين بين مؤيد ومعارض بين من يعتبره فساد أخلاقي ونموذج سيء للطالبات، وبين من يعتبره تطور وموضة.	- باحة الجامعة اللبنانية في طرابلس - باحة الجامعة	- طلاب جامعيون - طالبة محجبة		- مشاهد لطالبات محجبات وأخريات على الموضة
- نتيجة هذه الفيديو كليبات، منع بعض الآباء بناتهم من مشاهدة بعض المحطات.	- مشاهد في منزل رولا سعد، ومشاهد من الفيديو كليب الخاص بها	رولا سعد		- عرض لصورها التي تغطي سقف وجدران البيت. حركات مثيرة في الفيديو كليب
- اعتبار الفن أسهل طريق للشهرة والمال	- مشاهد من مشاركته فيديو كليب نانسي عجرم	صالح عبد النبي		
- هوس بالصور التي تغطي سقف وجدران بيت رولا سعد. - تناقض واضح بين تصريحها عن اهتمامها بصوتها أكثر من الشكل مع ما شاهدناه في بيتها والفيديو كليب. - دور الجاذبية المهم في نجاحه واعتباره نجماً.				- مشاهد لشيلة في دور عريس

جدول (23)

الافكار	المشاهد والمكان	الشخصيات	الصوتيات	التصوير والحركة
- التعويض عن الاهتمام بالسياسة والاهتمام بالغناء، لان لا مستقبل للسياسة في لبنان	- مشهد من فيديو كليب له لا يحتوي إثارة	- غسان المولى		- ممارسة الرياضة
- اعتبار الشكل الخارجي مفتاح قبول الفنان وصولاً للنجومية	- يمارس الرياضة في ناديه الخاص			
- اعتبار ما يقوم به بعيد عن الإثارة				
- رفض تقليد ما يُعتم في السوق				
- شركات الإنتاج هي التي صممت هذه الظاهرة وهذا النموذج وتطالب جميع الفنانات بتقليده	- مشهد في داخل منزلها			
- اتخذ الربح السريع				
- الاصرار على الاهتمام بالطرب الاصيل مع الاهتمام المقبول بالمظهر الخارجي	- مشهد من فيديو كليب لها	- سميّة بعلبكي		- لباس محتشم ومشاهد بعيدة عن الإثارة.

جدول (23) تابع

وكما سبق فتحليل المضمون هذا، يحتاج إلى عدة مراحل لانجازه.

II ـ الفيديو كليب في لبنان:

كما سبق فإن «بالعين المجردة» من اعداد ديانا المقلد» واخراج «أيمن مروة. أنتجه تلفزيون المستقبل سنة 2004 وعرض في ال2005 يوم الجمعة مساء كل أسبوعين.

برنامج نقدي يتناول موضوع «ظاهرة المغنيات الجدد» عبر خبر وبمدة بثّ دامت حوالي ثلاث ساعات، قامت خلاله المعدة نفسها بتحليل مضمون الفيديو كليب أو ما سمّته الـ PornoClip أو ظاهرة الـ Look. . . . .

ولاحظنا من خلال المشاهدة إجتماع عدة عوامل فاعلة ومؤثرة تُنقل إلينا

غبر هذه الصورة المرئية: فهناك الصورة والصوت والالوان والحركة والكلام والموسيقى. . .

وكلّها تظهر من خلال عناصر عدة شكلت قوام هذا البرنامج التلفزيوني (بالعين المجردة) ومحطات استدلال وتحليل لفحوى موضوعه.

الشخصيات:

الكاتب والروائي: حسن داوود، مرّ بعدة مداخلات تعليقاً على حيثيات الظاهرة المدروسة.

المخرجون: جاد شويري ـ سعيد الماروق ـ تامر بركات، ولهم مداخلات وتعليقات وآراء حول الموضوع المبحوث.

المغنيات: وهنّ أبطال الفيديو كليبات موضوع البرنامج:

* هيفاء وهبي وكارول سماحة، فور كاتس، تينا، مروى: ظهرت لهن مشاهد من Video Clip دون أن يكون لهن حديث أو تعليق.

* ماريا، نجلاء، رلى سعد، سمية البعلبكي، بوسي سمير: ظهرت في Video Clip وكان لهن آراء وتعليقات.

المغنون وعارض الأزياء: جاد شويري، غسان المولى، صالح عبد الغني، بينو: ظهروا في Video Clip وكان لهم آراء وتعليقات.

الكاتب: شكري محجوب عن الاغنية المصرية التي تحوي الكلام المبطن. عُرضت الاغنية في Video Clip «حطّ النقط على الحروف» وكان له تعليق على الكلام الوارد فيها:

* طلاب جامعة ومحجبات ومودرن في الجامعة اللبنانية ـ طرابلس

* رواد مقاهي طرابلس: رجال بين العقد الخامس والسادس

* صاحب وكالة عرض أزياء: نضال البشراوي

* كلام وتعليق لبعض العارضات في هذه الوكالة

* مداخلة لصاحب محطة Melody جمال أشرف مروان.

الاماكن والمشاهد:

* مشاهد للاستديو خلال تصوير Video Clip بوسي سمير
* مشاهد لدار وكالة عرض الأزياء
* مشاهد للمقاهي والشوارع المصرية
* تركيز التصوير على الملابس المحتشمة للمحجبات
* محلات بيع المجلات والكاسيتات

وقد كان في هذا الجزء، عدة مقتطفات من Video Clip لعدة مغنيات ومغنيين أحصيناها بـ 10 Video Clip :

ماريا (مرتين)، كارول سماحة، هيفاء وهبي، تينا، فور كاتس، مروى (مرتين)، جاد شويري، غسان المولى، سمية البعلبكي، وزلى سعد.

الفكرة	تكرار	عناصر الدلالة	المؤشرات	متغير	الدلالة	تأويل
الاغراء	10	- اللباس	- العري - قميص مفتوح الصدر - تنورة قصيرة - Baby Doll - بنطلون ضيّق....	جنسي	- اثارة الغرائز الجنسية - لفت النظر وجذب الآخر - التماهي بالبطل	
		- الحركات	- لعق المصاصة (ماريا) - ركوب الدراجة - الاستحمام بالحليب (ماريا) - التقلّب على السرير - رقص تحت المطر (هيفاء)			
		- الماكياج - الجسد	- ألوان صارخة شفاه حمراء ومنفوخة - عيون ذات كحلة صارخة - التركيز على أماكن الإثارة في الجسد (الصدر - الوسط وغيرها)			
		- الكلام	- الصوت الناعم الغناج - الضحك الكثير			
		- الرقص	- هز الوسط والصدر - تمايل الجسد بحركات متناسقة			
الشهرة		تكرار عرض الفيديو كليب	- ظهوره على أكثر من قناة فضائية	نفسي واجتماعي	معرفة عامة الناس لهم	
		Panno - عمل الطرقات - السيارات..	- الترويج في إعلان والدعم مؤسساتي المتكرر		المنافسة التجارية والفنية لاحتلال المراتب الاولى	الثراء السريع
البذخ		- الديكور والسيارات مكان تصوير الفيديو كليب في الخارج والداخل - الأزياء	- فخامة المفروشات - سيارات آخر موديل - فستان (هيفاء) ثياب (ماريا)	اقتصادي		
الجمال		- تحول معظم عارضات الأزياء وملكات الجمال إلى مغنيات أو راقصات في الفيديو كليب	- هيفا : وصيفة ملكة جمال - 4 Cats : عارضات أزياء - نينا : عارضة أزياء - غسان المولى: ملك جمال وعارض أزياء	مادي	جمال الجسد أساس الفن	

جدول (24)

المقارنة:

ملاحظة = اقتصر ظهور المغنيات الكلاسيكيات في الشريط على سمية بعلبكي مقابل ظهور كثيف للمغنيات الجدد.

نموذج سمية بعلبكي	وجه الشبه بين المغنيات الجدد
1. عدم الاعتماد على الشكل الخارجي 2. لباس محتشم ـ ماكياج هادئ 3. عدم اعتماد الرقص والميوعة 4. التركيز على جمال الصوت في الإنتاج وليس المؤثرات الصوتية والمرئية وخاصة المادية 5. شهرتها أتت من جمال صوتها وليس فقط شكلها	1. جميع المغنيات الجدد في الفيديو كليب المعروض تعتمد على عناصر متشابهة من حيث الشكل الخارجي من ماكياج ولباس......... 2. اعتماد الرقص والحركات الجسدية المثيرة......... 3. الإنتاج المكلّف.........

جدول (25)

أصبحت القاعدة:

«ليس من الضروري ان تكون المغنية صاحبة صوت خارق، المهم ان تملك الجمال والانوثة، ومن الضروري ان تكون جميلة، ويجب ان تُفرط بالاعتناء الدائم بشكلها وتسعى إلى شراء ثياب جميلة وعلى الموضة.

وقد علّقت بقولها: «مش ضروري يكون عندي حفلة حتى ساوي شعري..».

«إذا المغنية مش حلوة، مش لابسة ثياب حلوين ومش مهضومة، ما منشوفا..».

«جاد شويري»: مخرج فيديو كليب «ماريا» (إلعب) وتعليقاً على الموضوع:

«الفن تسلية، الغناء مش دايماً طرب.».

التأويل:

ـ ان الجمال هو أساسي في شهرة الفنانات الجدد والتي أخذت حيّزاً مهمّاً من اهتمامات دور الأزياء والمخرجين والمنتجين وأصبحت تشكل ظاهرة مهمة في حياة الناس.

ـ أصبح الجسد هو الطريق المختصر للوصول إلى الشهرة والمال والثراء السريع.

ـ انقسام الشارع اللبناني ما بين مؤيّد ومعارض لهذه الظاهرة في حين أن فريقاً مهمّاً يعتبر هذه الظاهرة واجهة لبنان الثقافية والاقتصادية هناك فريق آخر يعتبر هذه الظاهرة هي حدث طارئ على المجتمع اللبناني تقوم بإفساد القيم المجتمعية وإفساد الفتيات بتقليدهن لهذه الظاهرة

أواليات دفاع عديدة وآراء:

ا . اعتبرت «ماريا» ان الجمال الجسدي هو أساس للفن وهي ترفض أن تسمع وتشاهد مغنية قبيحة هذا يدل على تبرير لها بعدم اعتمادها على صوتها واعتبارها التركيز على جمال الجسد وحركاته والاغراء أمر بديهي. دافعت «ماريا» عن نفسها بأنها لا تقلّد أحد ملغية ما للمشاهد المثيرة من دلالات خفية وهي تتخطاها وتعتبرها طبيعية.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى المخرج «جاد الشويري» حيث دافع بأن الظاهرة الحالية ما هي إلا انعكاس للواقع اللبناني وأن ما تقوم به ليس من ابتكاراتنا، بل انه انعكاس للشارع.

فالمجتمع اللبناني منفتح وآن له ان يتقبل هذه الفيديو كليبات التي أصبحت جزءاً من التطور.

الافكار	المشاهد	الشخصيات	الصوتيات	التصوير	الحركة
- سرقة المخيلة - نجوم الإثارة - الجمال - عدم التقليد - المجتمع يضخّم الامور - الغناء ليس دائماً طرب - هذا الواقع - طفرة وتنتهي - مغنيات عارضات أزياء	- إغراء - إثارة - رقص مثير - حركات خارجية - العري	- ماريا - هيفاء - سعيد الماروق - نينا - جاد شويري - حسن داوود - شباب جامعي - مروة - رولا سعد - ميريام فارس - 4 Cats - سمية بعلبكي	- الصوت مؤدي - ابتعاد عن المضمون - أصوات خافتة ومثيرة	- يتركز على أجزاء من أجساد المغنيات - الصورة تقف عند الحركات الراقصة - على اليد والارجل - إبراز اللباس	- بطيئة ومثيرة - ملتوية - راقصة - ترفق غالباً بالمياه - الحليب - ظهور بالبانيو - على السرير- دائما هناك سيارة

جدول (26)

حسن داوود: كاتب وروائي، علّق على الموضوع بقوله أن هذه الظاهرة هي طفرة ولها أسباب اقتصادية إجتماعية بحتة، وهي ظاهرة حتماً لا تستمر طويلاً وهم لا يعتبرون أنهم يتوجهون للمرأة المحجبة أو المنقبة، التوجّه غالباً يكون لفئة معينة من الفتيات. والتشدد الديني قد يكون سبباً للانفلات، وابتعد قدر الإمكان عن إعطاء واطلاق الاحكام محاولاً ايجاد المبررات السوسيولوجية. . . .

يعتبر «داوود» ان انفتاح النساء اللبنانيات والظهور عبر الفيديو كليب، يبدو وكأنه استفزاز وتمرد على الواقع والمجتمع الذي حكم عليهن بالتقوقع ووضع الحجاب وتمييز الرجال عنهن؛ بنظره إن لبنان يحتوي على كل التيارات، وهو ساحة نزاع بين التيارات الفكرية والعقائدية المتناقضة. ويضيف أيضاً، ان

على اللبنانيات ان يأخذن الشيء المفيد من الحداثة وان التفلت الديني ممكن ان يكون سبباً قوياً للانفلات الزائد في المجتمع، ويعتبر ان اللحاق بالموضة ثم الغناء يهتم به اللبنانيون اكثر من غيره.

سعيد الماروق: اعتبر ان هذا جزء من جمالية الصورة «وليش بدنا نتخبى ورا أصبعنا.». الفيديو كليب يشبه الشارع العربي بنسبة 85%، هل المطلوب هو أن نعيش في الصحراء؟؟؟ العروبة ليست بنطلون أو T-Shirt بل هي التكنولوجيا والصوت والصورة، هناك واقع حقيقي وحب عملي وأمور كثيرة غيّرت. أنا أبرز جمال «هيفاء»، وهي بنت موجودة أكثر من غيرا وهي جزء من مجتمعنا.

هو الذي يعتبر أن إبراز الجمال شيء مهم والتلفزيون هو الشارع العربي كما هو، كلنا نلبس كذلك وهذا الواقع ننقله لكم على التلفزيون. العروبة هي أننا نفتش على التطور والتكنولوجيا وبـ Touch على الواقع العربي. يوجد واقع حقيقي، والآن مع «هيفاء» (بدي عيش) هي بنت موجودة أكثر من غيرها ونعلم ان كل العالم يتكلم عنها. فـ «هيفاء» هي جزء من المجتمع وهو يعتبر ان استغلال الجمال وابرازه هو جزء من جمالية الصوت. كذلك «نضال بشراوي»، صاحبة إحدى وكالات عرض الأزياء تقول بأن «هيفاء» نجحت والكل يحاول تقليدها لانها نجحت في ابراز جمالها وذكائها في دخول عالم الغناء. أما بالنسبة لـ «نانسي عجرم»، فنلاحظ انه تم استخدام اسمها بدلاً من اسم «اسامة بن لادن» لتسويق نوع من التمر، وهنا نلاحظ مدى وجود «نانسي عجرم» في الساحة الفنية وكأنها على مستوى شهرة «اسامة بن لادن» الذي شغل العالم.

الافكار	المشاهد	الشخصيات	الصوتيات	التصوير والحركة
مواكبة التكنولوجيا عبر الصوت المتواضع	التمايل على السرير	مؤلف أغنية «بوسي» يعتبر انه لم يتجرأ أحد على ابتكار مثل هذه الكلمات المبدعة «حط النقاط على الحروف»..	جملة موسيقية قصيرة وصاخبة	الرقص والاغواء أثناء الغناء
الفيديو كليب أسرع طريق للشهرة	استمالة القلب والغريزة	«بينو» يقول ان «روبي» كانت دافعاً له ولرفاقه لدخول عالم الفيديو كليب. والمخرج يقول بأن هذا الفيديو كليب لا يوجد فيه اغراء كون «بينو» رجل	في بعض الأغنيات يكون الريتم سريعاً وبعضها الآخر بطيء وهو يحاكي حركات الجسد	التركيز على مفاتن المغنيات
التقليد: يقول «بينو» انه علم بـ «روبي» وسيقبر الفقر بتقليدها	تقليد حركات «روبي»	إيمان التي تواكبها والدتها بعملها تقول انها ستحجب لاحقاً	الكلمات «مفناجه»	التصوير بشكل لافت لتفاصيل الجسد
الجمال هو الأساس وحتى إذا كان الصوت جيلاً ولا يتمتع بجمال الوجه، فإن الجمهور لن يحبه		رئيس مجلس ادارة محطة Melody يقول: ان الكلاب تعوي والقافلة تسير		
ابراز الانوثة والاغراء ضروري للتنفيس				

جدول (27)

الفكرة	المؤشر	الدلالة
الاغراء	العري، الحركة	الاثارة الجنسية
الشهرة	الترويج الموسيقي	صنع بطل للمجتمع (نموذج)
الربح السريع	المقاهي الشعبية	تثبيت الواقع وتحديد الناس
السطحية	ركاكة الكلام	ترويج الانحطاط الثقافي
الرقص	تمايل الجسد	استغلال الجسد
الموسيقى	للايقاع	الصناعة السريعة للاغنية الاستهلاكية

جدول (28)

عند مشاهدتنا لهذا البرنامج بقسميه الاول والثاني: نلاحظ ان هناك تشابه بينهم من حيث نوع الكلام، الموسيقى، الحركات، الملابس، والاغواء أو حتى ما قام به «بينو» في حركته التي يقلد فيها «روبي».

بمعنى ان هناك تشابه في هذه الظاهرة ما بين لبنان ومصر من حيث الهدف ألا وهو كسب الشهرة والمال، الا انه بالرغم من ذلك فلا بد من ملاحظة تكاليف وإنتاج الفيديو كليب في لبنان ومصر.

الإنسان ابن بيئته، ففي لبنان يتم استخدام تكنولوجية حديثة ومتطورة تكاليف الإنتاج باهظة أكثر، حيث يتبدى ذلك من خلال مشاهد الفيديو كليب المصري التكلفة محدودة إذ انه أحياناً يتم التصوير في اماكن عادية، وذلك بسبب الوضع الاقتصادي تبعاً لما صرح به أحد الاشخاص الذي قال: ان أغلب الشعب المصري فقير وانهم يقومون بهذا النوع من الفيديو لتحسين وضعهم المعيشي.

بناء على الخطوات المتبعة والتي أسهمت في تفكيك الموضوع وتحليل المضمون، توصّلنا إلى محاكاة النتائج بأن تكاتفت كل عناصر الفيديو كليب لتصب في قالب يحاكي الغرائز والحساسيات لدى الشباب وعلى مستوى الفئة المستهدفة والتي تهدف إلى الربح من قبل المنتجين والمغنين وتسويق نموذج يتم صناعته في الغرف المغلقة، فهو الفن للفن، وليس الفن كرسالة تربوية ومدرسة إجتماعية، وهنا يمكننا القول ان العمل على الإنفعالات

الجنسية والمادية تهدف إلى انصراف الفئة المستهدفة عن أهدافها ومشاكلها الحقيقية.

وفي جلسة فريق عمل مع مساعدي البحاثة ومع شباب من الجنسين، أجمع الفريق على تركيب صورة «ماريا» ومهما كانت الاحكام المستبقة فإنها ذات دلالة:

أكثر اثارة عندما ظهرت تستحم بالحليب وهي تعتبر انها لم تفعل شيئاً مثيراً بل هو شيء عادي جداً لفتاة في عمرها كونها بهذه الطريقة تظهر جمالها.

وهذا الرأي يوافقها عليه كثيرون أمثال مخرج الـ Video Clip «جاد شويري» الذي برر ابرازه لجمال المرأة حيث اعتبر أن عمله الفني فيه تسلية وافكار جريئة يجب اظهارها واشياء غير الطرب يجب على الناس ان يفهموها شيئاً فشيئاً وأصبحت الإثارة بنظره المادة الشبه وحيدة في استثمار الفن.

وقد اعتبر ان المشاهد هو الذي يتداخل مع الاشياء. وقد بالغ «جاد شويري» في دفاعه عن الاعمال التي ينتجها كونها تعكس ما يوجد في الشارع لا سيما عمل «تينا»، الذي يعتبره شيء عادي بالرغم من انها تقوم بحركات ساخنة وقال بأن على المجتمع تقبل هذه الافكار الجديدة التي هي نتيجة الانفتاح والعولمة وليست وليدة افكاره، وأضاف ساخراً: «نحن العرب نخيرون ببعضنا». واذا اردنا تحليل مضمون شخصية «جاد شويري» نعرف انه ليس ابداع فكري، فهو يستغل جسد المرأة لكي يجذب المشاهدين، متأثراً بفن الغرب، ويظهر لنا الفيلم مدى أهمية المغنيات الجدد أمثال «هيفاء وهبي»، حيث تم اختيارها لافتتاح قسم خاص بالكتب الأجنبية وهي تابعة لشركة أجنبية، هذا يدل على الدور الذي تلعبه المقومات الجمالية حتى على مستوى الثقافة والعلم، فإن «هيفاء» على الرغم من النقد الجارح الذي يوجه إليها، فإنها ظاهرة لا يمكن تجاهلها وحتى في المجتمع الراقي حيث ان كل سيدات المجتمع تحاولن تقليدها، ونرى ان كل الشركات المحلية والعالمية من أجل تحقيق نجاح لمنتجاتها يتم الاستعانة بأمثال «هيفاء وهبي». ولاحظ الفريق ان

معظم الفتيات تشجعن على الغناء بعد مشاهدة «هيفاء وهبي»، فإذا أردنا ان نطلع على بدايات «هيفاء وهبي»، فهي كانت عارضة أزياء قبل دخولها عالم الغناء (معظم الفتيات كنّا عارضات أزياء سابقاً) حيث أصبح مجال عرض الأزياء هو مدخلاً لعالم الفن والغناء بعد ان تحصل المغنيات على الشهرة جسدياً وجمالياً.

فنحن في عصر الصورة والفيديو كليب هما اللذان يحددان مصير الفنانة، فإذا كانت جميلة وذات صوت سيء تصل الجمهور أكثر من فنانة أو مطربة ذات صوت جميل أمثال «سمية بعلبكي» التي ابعدت عن المنافسة رغم انها تملك الصوت وذلك كونها لم تتجاوب مع المطالب التي تريدها منها شركة الإنتاج وهي تلقي اللوم على شركة الإنتاج كونها عملت نمط واحد من الفن.

وأخيراً نورد الملاحظات السريعة كاستنتاجات للطاولة المستديرة لفريق العمل السابق ذكره:

1. لقد توصلنا بعد مشاهدتنا للفيديو كليب ان معظم المغنيات يعتمدن على جمالهن، ولشكلهن أكثر من اعتمادهن على الصوت حيث اطلق عليهم مغنيات الشكل، ذلك من خلال ابراز مفاتن اجسادهن واعتمادهن على الإغراء كوسيلة لجذب المشاهد وكسب اعجابهم.

2. من خلال استخدامنا للاقمار الاصطناعية واطلاعنا على الانترنت، نجد ان غزو العولمة لثقافة مجتمعاتنا أدت إلى ظهور مجموعة من المغنيات المثيرات اللواتي أصبحن كأي سلعة تعرض على التلفزيون.

3. هنالك عاملان يدفعان بالفنانة إلى الساحة الفنية: الكسب المادي والشهرة.

4. من الواضح ان القدوة العليا للمغنيات اللبنانيات الجدد هنّ المغنيات الاجنبيات من خلال تقليدهن في الحركات، اللباس، طريقة العرض المغرية والمثيرة إلى درجة الاعجاب، حتى ان الشباب اصبحت فتاة احلامهم شبيهة لاحدى المغنيات أمثال (هيفا، نانسي، إليسا)

5. أصبحت المغنية دمية متحركة في يد المخرج بسبب انتمائها إلى وسط بيئي اسري يدعمها من اجل الحصول على الشهرة والمال، مقابل ذلك هناك فئة من المجتمع اللبناني المتمسكة بالعادات والتقاليد ولا تقبل بدخول الفضائية إلى منازلهم لأنهم يعتبرونها اداة مفسدة لاخلاق أولادهم.

نستشهد بفتاة قالت ان أباها منع أولاده من مشاهدة المحطة الغنائية الفضائية.

ونرى أن ظاهرة الغناء لم تعد محتكرة من قبل الفتيات (عارضات الأزياء) بل طالت عدد من عارضي الأزياء امثال «غسان المولى» وغيره. . .

إنها استنتاجات لا تخلو من النقد الذاتي والقاسي. . . ولكنه لا بدّ له من أن يعكس آراء في هذا المجتمع، آراء تحوّل وآراء تشرذم ما بين «المع» و«الضد».

الخلاصة

رغم ان البحث قد خصص للعنف فصولاً تبعاً لأنواعه، الا انه انطلق من ان الخاص هو الحميمي والعلائقي، وهو بمعنى آخر يتجاوز الخصوصية على الصعيد الميكروسكوبي يشرح ذاته عبر الخاص جداً «Le particulier» كما أنه أكّد على ان «العنف العالمي» هو عنف متأتٍ من « العنف المجتمعي» بشكل عام. لذا، فإن ما حلّت العلوم عقد تداولها وحدودها مع بعضها البعض، كعلم الإجتماع الذي حاول ان يتصالح مع علم النفس الإجتماعي واعترف برسم دوره عبر العلائقي.

(La relation entre le subjectif et l'objectif).

فإن هذا العلائقي لا بد من ان يعبّر من خلال الموضوعي - الإجتماعي.

وهي هنا ليست علاقة افتراضية بل هي علاقة أكيدة تتداعى معها الحدود الفاصلة. وتصبح علاقة افتراضية عندما تطال عمليتي الشرعنة والإدانة. لأنهما عمليتين مرتبطتين بانتهاج سياسات فئوية ومصالح قبلية، فيصبح بالتالي الفصل بين المتغيرات السياسية والاقتصادية والدينية أمر بالعصي التعبير عنه.

فكل ما سبق يظهر إمكانية تغيّر ما ضمن محددات سوسيولوجية خانقة، لا بد من حلّ شرنقتها عبر برامج أولويات اصلاحية (في القضاء، وفي القضاء على الفساد، وفي وضعيات المرأة والتعليم والتعلم إلخ. . .) وعبر تعزيز العمليات الديموقراطية، دون اهمال دور التكنولوجيا في هذا المضمار، ودون

ان ننسى ان التكنولوجيا هي بحد ذاتها (واذا ما فصلنا المجتمعي عن العالمي) مصدّرة بشكل أو بآخر للعنف المديني.

1. ما بين السيطرة والشرعنة

استناداً إلى P. Bourdieu، يظهر المتخيل الجمعي L'imaginaire social عاملاً أساسياً في تكوين استراتيجيات الاقناع والسيطرة والشرعنة التي يعتمدها اهل السلطة في الوصول إلى اهدافهم انطلاقاً من حاجاتهم للسيطرة ومن ثم إلى الشرعنة.

فهو يحدّد الرساميل قبل تحديده لمفهوم السيطرة، لان الرأس مال الرمزي يشرّع الرساميل الأخرى ويمنحها صفة الشرعية.

ويكون الرأسمال السياسي (حقل السلطة) هو الحقل الاكثر استهدافاً وتصبح كل ممارسة عنصر تسوية Compromise بين مبدأي التطابق والتمايز. فكل سيطرة (خاصة السياسية منها) تنطوي على الكثير من التعسف، ويلجأ المسيطر فيها إلى شرعنة سلطته لاطالة امدها، وفيها تتغير علاقات القوة وتتطور.

وعندما نخاطب الجمهور (في ميداني السياسة والاتصال) فإننا نختار رمزية ملتبسة تسمح بالوصول إلى من نريد!...

وإذا ما كان المتخيل الجمعي (المطبوع بكامله بالمجتمع) له وظيفة صنع الهوية الفردية، عبر ارتباط وثيق بالزمان وبالمكان، فإنه يرتبط بالذاكرة الجماعية حيث ان المجموعة تعيش يومياتها على نظم مكونات مُتَخيّلها وهي في حالة إنبناء مستمر.

بهذا المعنى يلعب المتخيل الجمعي دوراً حاسماً في الحياة السياسية:

فهو الذي يسهّل السيطرة، يقنّعها ويساهم في بناء الشخصية الكاريزمية: كل مسيطر هو ساحر ومحور رؤية مسحورة!

ويصبح رجل السلطة اضافة إلى انه صاحب القوة والسيطرة، صاحب القدرة الخارقة على الاغراء تماماً كما على التضليل، الذي يسعى دوماً إلى ان

يكون مطاعاً وينقل «الكاريزما» إلى اتباعه الذين يصبحوا يملكونها من خلاله، فمنهم من يمارس التوكيل بالسلطة لصالحه. إن ترويكا: «الإجتماعي» و«الرمزي» و«السياسي» تمهّد لفهم عمليات العنف وسلطته المشرعنة التي قلّما تدان.

(P. Bourdicu – La domination masculinc - édition du seuil - Paris 2002)

لذا فإن السلطة لا يحتفظ بها إلا بواسطة التحكم بالرموز وبالتنظيم في إطار طقوسي أو متعارف عليه، لذلك تحتاج الحركات السياسية عند تشكيلها، ولكي تكسب موقعاً في الحقل الرمزي، على شعارات تستخدم التصورات والتمثلات الإجتماعية Les représentations sociales موضوعاً لها.

وبالنتيجة يتغذى العنف من هذه المتخيلات الإجتماعية التي بدلالاتها تُستمدّ من العمق الرمزي Le symbolique، أما الرمزي فهو يخضع بحد ذاته لعملية «تقنيع» لانه يشوّه الحقيقة عندما يسعى لإعادة بنائها! وبحسب Balandier فإن السلطة المبنية على العنف والقوة هي السلطة المقدمة على ضوء العمل وحده، فإن مصداقيتها قليلة، كما يراها الآخرون!.

2. في الحقوق والقوانين:

سجّل التقرير السنوي الاخير لحقوق الإنسان في لبنان بعض التحسّن نتيجة التطورات الايجابية خاصة السياسية منها وزوال سلطة الوصاية، على حدّ تعبيره، الا ان مسلسل الاغتيالات يعيد الوضع إلى الوراء:

«إنّ سجل حقوق الإنسان كاد ان يصنّف عادياً مقارنة بملف حقوق الإنسان المثقل في الدول المجاورة. فمن المفترض ان تكون سنة 2005 للبنان سنة السلام، الا انها شهدت حالات قتل سياسي...

ولا تبدو الدولة على عجلة من امرها لمعالجة هذا الأمر المتداخل مع غيره من المستويات أو لنقل المتعدد المستويات. ولا تملك برنامجاً لمساعدة النساء الضحايا طبياً وقضائياً».

كتب «بيار عطالله» في النهار 19 كانون الثاني 2005 انه وفي باب

الحقوق الإجتماعية والتميز العنصري قال التقرير ان الدستور اللبناني يدعو إلى المساواة في الحقوق والواجبات بين كل المواطنين دون وساطة أو محسوبية ورغم ذلك يستمر التميز ضد المرأة وكذلك التميز الديني.

وفي مجال التمييز ضد المرأة لا تزال تسجّل حالات اغتصاب وبوتيرة مرتفعة رغم غياب إحصاءات موثق لهذه الحالات. ويجمع الخبراء على ان أغلب اللواتي يتعرضن له لا يعلنونه خوفاً من اهتزاز الانتماء الإجتماعي، وهن حتى لا يسعين وراء المساعدة الطبية.

أما عن حقوق الطفل، فإن عدداً غير محدد منهم يتعرض إلى الاهمال والاستغلال والتشرد والبيع لوكالات التبني.

انطلاقاً من القاعدة السابقة، نطرح هل من تواطؤ من المواطن مع قوانينه ضد حقوق الإنسان؟

ألا ينصاع إلى المتخيّل الجمعي أملاً بـ «شيء ما»...

أنه تطبيق نسبي للعدالة وللحريات.

العالم يتغيّر والسلطة تتبدل دون اعتراف ضمني منّا مما يؤخر في اكتمال صورة التغيير وفي فكرة بناء الدولة. فالتبدل يتطلب تغيير الانماط السابقة (وهي بدورها مرتبطة بالقوانين التي تروّج لها).

فما هو دور المثقف في هذا التغيير والتبدل؟

تبدو الحقيقة المركزية واستناداً لـ «ادوار سعيد» هي ان المثقف وُهب ملكة عقلية لتوضيح رسالة أو وجهة نظر أو موقف، ان مهمته ان يعتلي المنبر للادلاء بشهادته علناً.

للمثقف صفة تمثيلية، يجب ان يعبّر عنها عن الدور العام، عن الرأي العام الذي عليه ان يكدّره. من هنا نقد علاقته بالمؤسسات التي انتقلت من موقع الاستقلالية إلى اقامة الحلف، يعني الاحتراف، احتراف المثقف العصري (كرئيس التحرير أو الصحفي أو الاكاديمي أو المستشار السياسي في عالم من الانتشار المتواصل أصبحت فيه كل الافكار صالحة للتسويق..) الذي يتنامى

مع الحرية الفكرية في اداء المثقف المستقل الذي يجب ان يتوحد مع الضعفاء ويتضامن معهم. . . . كالجنس الاضعف المنسي.

إنّ المجموعة هي كيان مبني ومنتج وحتى مختلف في بعض الحالات (L'entretien dans les groupes) ويستشهد بفرجينيا وولف وما دعت إلى ايجاده «غرفة للمرء خاصة به»، وهي تكمن في افراز حسّ جديد من اللغة والسلطة اللتين يتّسم بهما ما تسميه وولف المجتمع الابدي تجاه الوضع الانقيادي للنساء. . . والكاتبات اللواتي تبحث في امرهن لم يعطين غرفة خاصة بهن، فثمة جانب خفي لها على الدوام هو الافكار والقيم، ان استذكار التاريخ هي حاجة باطنية للتغلغل في ما وراء ستار التجربة المادية المباشرة.

يجب ان يعي المثقف ان استجواب الرموز العامة والوقوف موقف المشكك هو أمر مهم جداً، لان التقاليد والقيم التي كانت تعتبر فيما مضى وكأنها مقدسة، تبدو الآن منافقة وعنصرية المنطلق على السواء. يجب ان يعكروا استفزازياً سكون التقاليد الآمنة في علياء حرماتها، ففكرة الهوية القومية ذاتها تعرّضت للطعن بسبب نقائصها، فإن لم يأت هذا الطعن من المثقفين فحسب، وإنما نتيجة واقع ديموغرافي ملحّ. . .

ولقد ظهرت نتائجه في الشق الميداني الخاص «بالتهجير» حيث ان مكبوت الجيل الاول يحلّ في مكبوت الجيل الثاني، حيث كانت الدعوة إلى الكراهية أسهل من الدعوة إلى الحب، فالدعوة الاولى تطال الغرائز، أما الدعوة الثانية فهي تطال وتناشد الحقل الثقافي.

ان الدين والثقافة ودائماً استناداً إلى «أدوار سعيد» في نهاية الامر: كلاهما مركّب وبعيد كل البعد عن السياق الاحادي ومن غير الالزامي على المثقف اطلاقاً الاشتراك في جوقات المديح الاحادي للدين.

على المثقف ان يطالب «رجال الدين» بالتحديات مع الوقائع العصرية نفسها بحرص إنساني وإعادة تقييم صادقة لا ترانيم دينية دوغماتية أو شعبوية. . . مواجهة واقع التعاطي مع حقوق النساء، «احياء الاجتهاد أو التفسير الشخصي وليس التنازل كالنعاج لمصلحة العلماء ذوي الطموحات

السياسية أو الدهماويين الساحرين للجماهير «ادوار سعيد»: صور المثقف ـ دار النهار ـ بيروت 2003 ص51)

ان هجر المثقفين لجماعتهم واندفاعهم افواجاً إلى وسائل الإعلام الجماهيري (كصحفيين وضيوف برامج المناقشات ومضيفين لها ومستشارين) جعلتهم يعتمدون على مشاهديهم وعلى الجاهرة بالاستحسان أو التغييب بالنسيان من هؤلاء الآخرين». فأصبحوا جمهوراً مفتقراً إلى الشخصية الفردية.

لقد وسّعت وسائل الإعلام الجماهيري مجال القبول، مقلصة مصادر الشرعية الفكرية محيطة الصفوة الفكرية المحترفة، وهي المصدر المعروف تاريخياً للشرعية، بجماعات موّحدة التركيز وأوسع نطاقاً تكون أقل تطلباً وبالتالي أسهل استمالة.

ان تصدي المرء لهذا الخطر بمفرده أمر صعب والاصعب هو التماشي مع المعتقد والبقاء في الوقت نفسه طليقاً....

انه الاختيار ما بين تمثيل الحقيقة بفعالية وبين السماح بالاذعان لولي أمر أو لسلطة توجّه...

ففي القسم الميداني ايضاً وبالشق المتعلق بالمرجعية الدينية، يمكن القول ان حالة الحرب التي عشناها ومناخ الخوف والذعر وفي غياب القانون والشرعية، عدنا كلنا عودة جاعية شاملة إلى الفكر البدائي L'archaïque، وفي غياب الاب الجامع والباني، تُركنا إلى أبوية عشوائية للزمر البدائية La horde primitive، بخلاف الام التي تركنا الحنان فيها.

وباسم الدين قسمنا انفسنا وباعدنا مع الآخر وشرعنا المدان!

3. في النماذج المقارنة

هل يكفي القيام بما تقوم به الدول الأخرى ككندا وكفرنسا على سبيل المثال؟

لا بد من تطوير الجانب البحثي باعداد الدراسات الاحصائية حول واقع العنف في لبنان والدراسات الإجتماعية التي تعالج العنف والتميز ضد المرأة

وتبحث عن الاسباب الفعلية للعنف، ولا بدّ من اصلاح المناهج التعليمية لتغيير الصورة النمطية للمرأة.

لكن القول في العمل نشر على الوعي الإجتماعي والقانوني من خلال مؤسسات المجتمع المدني وتنظيم حلقات التوعية حول العنف، والدورات حول كيفية حل النزاعات بالطرق السلمية وتوفير مراكزايوائية لاغاثة المرأة، وتخصيص الشرطة النسائية في المخافر و. . . دور وسائل الإعلام.

كلّها معالجات مهمة إذا ما قمنا بها استناداً إلى المرجعية الاوروبية أو الاميركية وخاصة إذا ما عالجنا أمر استحداث واستبدال قوانين أساسية.

واذا ما أقرّينا ان العنف هو عنف مديني متأتٍ (خلال السنوات الأخيرة) من خلال الهجرة من الريف إلى المدينة وفقدان خيط التواصل وتوسع علاقات النبذ والاستبعاد على حد قول J.A. d'ornano.

إلا أنه،

وفي عودة إلى «هشام شرابي» فإن تحرير المجتمع من الهيمنة الذكورية، من البطركية، يوجب وضع رؤيا واستراتيجية شاملة وواضحة لرفع مستوى المرأة ومساواتها بالرجل عن طريق اعطائها حقوقها المدنية والاقتصادية واستقلاليتها الذاتية وايجاد آليات فاعلة للقضاء على هذا العنف المجتمعي المتمثل بالهمجية الاخلاقية المسيطرة على عقول العرب خصوصاً تجاه المرأة، بالاضافة إلى العمل الجدي والدؤوب من قبل الحكومات لحل هذه الأزمة إلى جانب ضرورة نضوج المثقفين من ناحية التفكير بطريقة موضوعية ومنطقية.

التربية على الثقافة ضد العنف بشكل عام هي فن قائم بحد ذاته: فن كظم الغيظ ـ فن استخدام لغة العقل والمعرفة والمنطق ـ فن الحوار وقبول الآخر.

ويمكن القول بشكل آخر ان المجتمع المعاصر الصناعي (رغم تطوره الحقوقي والإجتماعي) يعاني من امراض متنوعة، القلق، الخوف من الاحاسيس العميقة، الوحدة، قلة الفرح، وهي كلها أعراض نتيجة العنف الذي اعتلى بأنواعه السدة المركزية التي كان يشغلها القمع الجنسي في زمن

«فرويد»، حيث تم تجاوز المشكلة إلى حد ما حالياً، إلا انه وحتى اصحاء الجنس ما زالوا غير قادرين على ممارسة دورهم الإجتماعي... بنية الاستهلاك تقمع دوافع أخرى على حد «أريك فروم»، لكنها لا تقف حائلاً ضد الاستعراض.

إنّ البنية الغرائزية للإنسان العصابي متكيفة إلى اقصى حد مع الضرورات الواقعية لوجوده، بينما يصطدم النمو الغرائزي لدى الاول ببعض العوائق التي تمنع التكيف التام للغرائز مع الحقيقة.

إنّ الغرائز الجنسية يمكن ان تكبت، بينما لا يمكن لغرائز حفظ الذات ان تبتعد عن الوعي أو ان تبقى في عمق اللاوعي، فإذا كان الليبيدو يدافع لا وعياً عن وجوده فإن التراكم، تراكم الحرمان لا بدّ من ان يؤدي إلى عوارض....

وفي موضوعنا (اذا ما طبقناه على موضوعنا) فإنه يؤدي إلى عوارض من نوعين: عوارض المعتدي - عوارض الضحية.

وهما نوعان من العوارض يتطابقان في النهاية من حيث انهما اعراض قمع / دفاع / قلق... نتيجة تكيف غير تام للغرائز.

إنّها أزمة الحياة نفسها في الحقيقة الإجتماعية.

والعنف تبعاً لفرويد هو حاجة تهديمية أساسية كالحاجة للحياة، واذا ما كان موضوع التحليل النفسي هو تطوير الوعي النقدي، فيجب اكتشاف الطابع الغريزي للعدوان وللعدوانية المختلفة على انها عدوانية انعكاسية...

إنّ المواجهة بين حب الحياة Biophilie وحب الموت Mécrophilie، يمكن ان يمتزجا في الشخص نفسه، فالمهم معرفة حصة كل من هاتين الرغبيتن الأساسيتين.

لذا يجب ان نتعلّم ان نقرأ بين الاسطر.

4. حول الديموقراطية:

ننسب هذا المقطع إلى «الطاهر لبيب» (في ورقته المقدمة لمؤتمر تجارب

ديموقراطية في البلدان الديموقراطية العربية 10 ـ 11 كانون الثاني 2003: الديموقراطية والمجتمع المدني، عربياً)، فانه يتحدث عما ساد عبر تاريخ الفكر العربي الاسلامي. موازاة إلى تراكم الاستبداد السياسي والى صيغ الحرية المدنية والسياسية الحديثة تفرز ميكانيزمات داخلية، انما كانت مفروضة.

إنّ مجتمعاتنا منفتحة على ديموقراطية أخرى، وهو بديل ممكن البناء في الذهن، لكنه بديل مستحيل عليصعيد الواقع، على حدّ قوله، إنه براديغم الطاعة!!! انه مثال الطاعة! الطاعة واجبة لكنها وفي الخروج عنها خوف من الفتنة! فحركات الرفض غير متراكمة، بل هو تراكم الاستبداد المتواصل وتراكم الحرية المفروضة عليه تصبح الديموقراطية هي ديموقراطية الاخضاع المنقذ وتبقى برأيه الديموقراطية الأخرى هي المستحيلة.

واختراق كل المعاينات هو الامل المضني ـ الخائب حتى الآن في ان تتحول الحريات إلى مطلب إجتماعي وعياً وتعبيراً وعملاً.

عملية الدمقرطة هذه تدور في فضاء حلقتين اثنتين:

الانتماء والتنميط، وفي مسيرة العنف تظهر سطوة الانتماءات للخيارات التقليدية المنمّطة والنموذجية التي لا بدّ من انها تضغط بشكل غرائزي لا واعٍ مقابل «تحولات متذبذبة» تضغط بشكل خارجي واعٍ، فتنتج صورة منفتحة بالظاهر لا تسعى إلى البلاء الحسن La performance والنتائج القاسية ومحدودة خياراتها بالاسهل، أي بالعودة وباللجوء إلى صور التنميط الاولي، مع حيرة واضحة بين القبول المفرط والرفض الحاسم (مشكلة تحرّر المرأة مثلاً ودور المرأة فيها...).

شريحة الشباب هي الشريحة العمرية الحاملة للتغيير، هم المدعوون إلى عمل سياسي وثقافي جديد؛ ان نظرتهم ليست واحدة إلى الوطنية والابطال وربما هذا محق ونحن لا نشبه بعضنا البعض، ولكن يجب ان تتوحد نظرتهم إلى الوطن، وعلينا ان نفهم ما حدث، فتتغير نظرتنا إلى أنفسنا... إلى الآخر... إلى الوراء... نفهم ساعتئذ نقاط الاختلاف ونقاط التفرقة...

عشنا العنف كثيراً... فلنتعلّم العيش بسلام!!!

لائحة المراجع

1 ـ باللغة العربية

أ ـ الكتب:

- إدارة الإحصاء المركزي: الأوضاع المعيشية للأسر: شباط 1998.
- أمان: المركز العربي للمصادر والمعلومات حول العنف ضد المرأة.
- بن سلامة رجاء: نقد الثوابت ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ 2005.
- حجازي مصطفى: ● سيكولوجية الإنسان المقهور ـ معهد الإنتماء العربي ـ بيروت ـ 1989.
  ● الصحة النفسية ـ المركز الثقافي العربي 2002 ـ المغرب
  ● معجم مصطلحات التحليل النفسي ـ مجد ـ بيروت ـ 1990
- خلف سمير: لبنان في مدار العنف ـ دار النهار ـ بيروت ـ 2004
- سعيد إدوارد: ● صور المثقف ـ دار النهار ـ الطبعة الرابعة ـ بيروت 2003.
  ● مقالات وحوارات ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ الطبعة الأولى ـ بيروت ـ 2004.
- سليم مريم: علم نفس النمو ـ دار النهضة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى 2002.

- سليم مريم وآخرون: المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلّعات التحرّر - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - 1999 - ص. 220

- شرابي هشام: النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - 2000.

- شرف الدين فهمية: المرأة واللغة - المركز الثقافي العربي - بيروت 1996.

- الغذامي عبدالله: المرأة واللغة - المركز الثقافي العربي - بيروت - 1996.

- قانون العقوبات اللبناني: - الباب السابع - المواد 503 - 522.

- فرّاج عثمان: الشخصية والصحة النفسية - مكتبة العرفان - بيروت - 1970.

- خروم أريك: أزمة التحليل النفسي - مجد - بيروت - 1989.

- فياض رهيف: العمارة ووعي المكان - دار الفارابي - بيروت - 2004

- المرنيسي فاطمة: نساء على أجنحة الحلم - المركز الثقافي العربي - بيروت - 1998.

- مليكة لويس: قراءات في علم النفس الإجتماعي في البلاد العربية - المجلّد الثاني - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - مصر - 1970.

- هارولدليفت: الإدارة الرائدة - شركة المكتبات الكويتية المحدودة - الكويت - 1978.

- هوغ. ح. ب. : (ترجمة نظير جاهل) الجماعة، السلطة والإتصال، مجد - بيروت 1991.

- وزارة الشؤون الإجتماعية، الدراسات التحليلية لنتائج مسح المعطيات الاحصائية للسكان والمساكن بيروت 2000 - الوضع الإجتماعي الإقتصادي في لبنان: واقع وآفاق - بيروت 2004.

ب ـ الدوريات :

ـ البلد (جريدة)

ـ 31/ 5/ 2004

ـ 6/ 6/ 2004

ـ 23/ 6/ 2004

ـ 19/ 6/ 2004

ـ 3/ 10/ 2004

ـ 19/ 8/ 2004

ـ 2/ 8/ 2004

ـ 20/ 8/ 2004

ـ 26/ 10/ 2004

ـ 28/ 1/ 2005

ـ 27/ 2/ 2005

ـ 16/ 6/ 2004

ـ 27/ 6/ 2004

ـ 16/ 8/ 2004

ـ 11/ 9/ 2004

ـ 15/ 9/ 2004

ـ 29/ 9/ 2004

ـ 10/ 10/ 2004

ـ 22/ 11/ 2004

ـ 21/ 7/ 2004

ـ 2/ 3/ 2005

ـ 22/ 6/ 2005

ـ 19/ 7/ 2005

ـ 5/ 10/ 2005

ـ السفير (جريدة) ـ

الجزيرة السعودية (جريدة)

نيسان 2004

ـ 14/ 4/ 2004

ـ 1/ 6/ 2004

ـ 5/ 6/ 2004

ـ 8/ 6/ 2004

ـ 21/ 6/ 2004

ـ 24/ 6/ 2004

ـ 1/ 7/ 2004

ـ 8/ 7/ 2004

ـ 2/ 7/ 2004

ـ 7/ 7/ 2004

ـ 10/ 7/ 2004

ـ 21/ 7/ 2004

ـ 16/ 7/ 2004

ـ 24/ 7/ 2004

ـ 11/ 8/ 2004

ـ 12/ 8/ 2004

ـ 18/ 8/ 2004

ـ 31/ 8/ 2004

ـ 21/ 9/ 2004

ـ 28/ 9/ 2004
ـ 7/ 10/ 2005
ـ 9/ 10/ 2005
ـ 16/ 11/ 2004
ـ النهار (جريدة)
ـ 17/ 2/ 2003
ـ 12/ 3/ 2003
ـ 9/ 1/ 2004
ـ 23/ 1/ 2004
ـ 27/ 1/ 2004
ـ 29/ 1/ 2004
ـ 27/ 2/ 2005
ـ 21/ 3/ 2004
ـ 14/ 4/ 2004
ـ 26/ 4/ 2004
ـ 28/ 4/ 2004
ـ 31/ 4/ 2004
ـ 31/ 5/ 2004
ـ 8/ 6/ 2004
ـ 11/ 6/ 2004
ـ 21/ 6/ 2004
ـ 23/ 6/ 2004
ـ 29/ 6/ 2004
ـ 7/ 7/ 2004
ـ 9/ 7/ 2004
ـ 12/ 7/ 2004
ـ 14/ 7/ 2004
ـ 28/ 7/ 2004
ـ 6/ 8/ 2004
ـ 9/ 8/ 2004
ـ 11/ 8/ 2004
ـ 14/ 8/ 2004
ـ 16/ 8/ 2004
ـ 18/ 8/ 2004
ـ 31/ 8/ 2004
ـ 29/ 9/ 2004
ـ 29/ 10/ 2004
ـ 3/ 11/ 2004
ـ 29/ 11/ 2004
ـ 23/ 12/ 2004
ـ 19/ 1/ 2005
ـ 2/ 8/ 2005
ـ 6/ 8/ 2005
ـ 20/ 8/ 2005
ـ 22/ 8/ 2005
ـ 9/ 9/ 2005
ـ 10/ 9/ 2005
ـ 4/ 10/ 2005

- 8/ 10/ 2005
- ملحق النهار
27/ 1/ 2004
21/ 12/ 2004
- زوايا عدد 3 - 2002
- تموز 2004
- عدد 10 - 11 - 2005
- العلوم الإجتماعية عدد 9

2 - التقارير، مؤتمرات وندوات

- منشورات وزارة الشؤون الإجتماعية - مصلحة الشؤون الأسرية - الدورة التدريبية الثالثة حول «الوقاية من العنف الأسري». بيروت 2004
- منشورات الهيئة اللبنانية لمناهضة العنف ضد المرأة
- مؤتمر تجارب ديموقراطية في الوطن العربي - بيروت 2003.

2 - مصادر ومراجع عبر الإنترنت

www.alarabiya.nct
www.amanjordan.org
nup:.contcrn.ncaun.msn.cotn/ contcnt/
aruca/ 1/ 28.89981

3 ـ باللغة الأجنبية

- Bergeret J.: Le foetus dans notre inconscient. dunod - Paris 2004.
- Bourdieu: La domination masculine éd. du seuil Paris 1981.
- Blain Loine: Centre femmes d'aujourdhui. Document centre femmes d'aujour d'hui, un modèle d'engagement bénévole - Quebec.
- Chomski N.: Deux heures de lucidité, éd. des arènes - Paris 2001.
- Durif varembont J.P.:
- Les violences en milieu scolaire et éducatif Didact - pur - Rennes 2005.
- D'ormono Joseph Antoine (la direction de). Essai sur l'origine de la violence contemporaine. O.E.T.L. Paris 2003.
- Dechy Ann Pãquet, Cri - Viff. D'autres violences à dire, actes du collogue tenu à trois rivières. Le 13 Mai 1997 dans le cadre du 65 congres de l'acfas. Les enfants témoins ou victimes de la violence conjugale? Décembre 1998.
- Enquête nationale: Les violences envers les femmes - La documentation Française - Paris 2003.
- Fortin Andrée, Journal international de psychologie 1995, 30 (5), 551-572. Development d'une mesure de la justification de la violence envers l'enfant. Centre de recherche sur la violence familiale et la violence faite aux femmes, université de Montréal, Quebec - Canada.
- Fortin Andrée (sous la direction de) Cri - Viff - les enfants témoins de violence conjugale: Analyse des facteurs de protection Nov. 2002. Montreal.
- Fortin Andrée (sous la direction de) Cri - Viff - les enfants témoins de violence conjugale: Analyse des facteurs de protection No. 13. Montréal - Octobre 2000.
- Falardeau Julie: La maison des femmes de Quebec inc. rapport d'activites 2002 - 2003 - Quebec 16 Juin 2003.
- Houel A. Crime passionnel, crime ordinaire - PUF - Paris 2003.
- Poulin Carmen - Criminologie volume XXX No. 2 dossier, Violences familiales. Les presses de l'université de Montréal.

- Rondeau Gilles (sous la dinée de) Cri - Viff les mécanismes de concentration intersectorielle en matière de violence conjugale au Quebec No. 15 - Quebec, Décembre 2000.

- Rondeau Gilles (sous la direction de) Cri - Viff - Entre les services et les hommes: un pont à bâtir. Actes du colloque de l'équipe hommes, violence et changement, tenu a st - Hyacinthe, 25 Octobre 2002 No. 15.

- Rondeau Gilles (sous la direction de) Cri - Viff - Evaluation du programme intensif de traitement pour conjoints violents offert par l'organisme aprés-coup. Recension des ecrits. No. 25 Aout 02 - Quebec.

- Rinfert - Raynor Haryse (sous la direction de) Cri - Viff. Points de vue des femmes et des hommes sur les services utilisés en matiere de violence conjugale No. 18 - Québec Septembre 2001.

- Rinfert - Raynor Haryse (sous la direction de) Cri - Viff. Protocole de depistage systématique des femmes victimes de violence conjugale et guide d'intervention. Collection outils No. 2 Avril 99.

- Strauss Anselm: La trame de la négocation, sociologie qualitative et interactionnisme - logiques sociales, l'Harmattan, Paris 1992.

- Turcotte Daniel (sous la direction de) Cri - Viff. Les trajectoires de demande d'aide des homes en difficultés - No. 21 - Québec, Aout 2002.

- Turcotte Daniel (sous la direction de) Cri - Viff. La prévention de la violence à l'école primaire par la promotion des comportements pacifiques: Evaluation du programme les ambassadeurs et ambassadrices de la Paix No. 22 - Quebec - Fevrier 2002.

- Thibault Sylvie (sous la direction de) Cri - Viff. Rapport d'activités 2002 - 2003 - Québec Avril 03.

- Turgeon Joanne: Cri - Viff - Violence dans les relation affectives: Representations et interventions: Actes du collogue tenu à chicoutimi le 23 mai 1995 dans le cadre du 63ème congrès de l'acfas - Mai 1996 - Etude de la conception de la violence conjugale et evaluation de sa sévérite.

- Vezina, Jean Francois - G.A.P.I. un pas vers la non-violence, Rapport d'activites 02 - 03 - Québec 03.

- Cri - Viff violence et Intentionnalité. Actes du colloque tenu à Québec le 12 Mars 1998 - dans le cadre du 66ème congres de l'acfas.

- Cri - Viff Préoccupations en émergence dans la pratique et la recherche en violence, Actes du seminaire tenu à - cap - de - la - Madeleine 15 Ocotobre 93. Mars 94.

- Democratisation de l'excellence: l'experience des centres de recherche sur la violence familiale et la violence envers les femmes - Canada.

- Répértoire commenté des rapports de recherche produits par les cinq autres de recherche sur la violence familiale et la violence faite aux femmes et aux enfants - Canada.

- Madame Vous avez des droits! Pour vous, femmes étrangères ou d'origine étrangère qui vivez en France - Juin 2002.

- Correspondences freudiennes 37/38 (otages), Décembre 1992.

- L'orient le Jour. 27-11-2004.

ب ـ الدوريات

ج ـ دراسات غير منشورة

Abou Jaoude N: les mass media et la guerre de l'Irak - application du modele de propagande de Noam Chomsky. Note de recherche pour l'obtention de la maîtrise, en psycologie sociale Rabieh 2004.

مؤتمرات وندوات

- Actes du colloque: Citoyenneté - justice - Lyon 2 - Lyon, Juillet 2005.

- Actes du colloque: Les violences entre le public et le privé - UL - ISS - Beyrouth Novembre 2005.

- Cornatons Michel - Le Croquant. Sciences humaines, art, littérature. Comprendre la violence. Quelles réponses 39 39. Le jeu de l'amour.

- Le croyant sciences humaines, art, literature, sociologie et poenice. Les tueurs. Philosophie aujourd'hui 40. de ranges pensées de Rodrigo.

La violence: Violence de la pensee. L'etat d'exception en question. Revue trimesterette 2003.

- Mercader Patricia - Le croquant - revue trimestrielle 03 sciences humaines, art, literature. Comprendre la violence. Quelles réponses? Passion, appropriation: Le monde et l'affaire. Trintignant - Cantat.
- Nasr Roula - Universite libanaise - Institut des sciences socials - les violences conjugales verbales chez les femmes intellectuelles - Mémoire de Diplome d'etudes approfondies (D.E.A.) en sciences sociales (option, psychologie sociale) sous la direction de: Raja Makki - Beyrouth 2004.

لائحة الجداول

ملحق (1)
استمارة الدراسة الإستطلاعية

الجامعة اللبنانية

معهد العلوم الإجتماعية

دراسة حول ظاهرة العزوبة في المجتمع اللبناني

يهدف هذا لبحث إلى رصد آراء الفتيات حول الزواج والعزوبة.

إنّ كل إجابة تقدّمنوها ستساهم في إلقاء الضوء على هذه الظاهرة التي لم تكشف الدراسات الميدانية بعد النقاب عنها.

وإنّنا إذ نشكر لكم تعاونكم مع فريق البحث، نشير إلى أن المعلومات التي سنحصل عليها ستبقى بإطارالسرية التامة، خاصة وأنّ هوية المستجوبة غير محدّدة.

* معلومات شخصية:

1- العمر __________ 3- مكان الإقامة __________

2- الطائفة __________ 4- المذهب __________

5- المستوى التعليمي: ابتدائي وما دون ☐ متوسّط ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐ مهني ☐

6- أذكري آخر شهادة حصلت عليها: ____________________

7- المدرسة التي تابعت فيها دراستك: خاصة ☐ رسمية ☐

مختلطة ☐ غير مختلطة ☐

8- هل تعملين؟: لا ☐ نعم، إذا ☐

9- المهنة: __________ 10- القطاع: __________

11- الوظيفة بالتحديد: __________ 12- الدخل الشهري: __________

13- عنوان السكن الحالي: ____________________

14- هل تمّ تغيير مكان السكن في العشر سنوات الأخيرة: لا ☐ نعم ☐

15- عدد المرات: ________________

* الوضع الأسري:

16- المستوى التعليمي للأهل:

	ابتدائي وما دون	متوسط	ثانوي	جامعي	مهني
- الأب:	☐	☐	☐	☐	☐
- الأم:	☐	☐	☐	☐	☐

17- الحالة الإجتماعية للوالدين

☐ زواج قائم

☐ انفصال

☐ وفاة أحدهما أو كلاهما

18- المهنة:

الأب: لا يعمل ☐ يعمل ☐ المهنة ________ الدخل الشهري ________

الأم: لا تعمل ☐ تعمل ☐ المهنة ________ الدخل الشهري ________

19- عدد الأخوة والأخوات: ________ ذكور: ________ إناث: ______

20- هل توجد حالات طلاق عند الأخوة أو الأخوات:

لا ☐ نعم ☐ إذا، من ______________________________

* معلومات إجتماعية ومهنية:

21- هل تسكنين مع الأهل: نعم ☐ لا ☐ في حال النفي:

☐ سكن مستقل ☐ سكن مخصّص للفتيات ☐ مع صديقة

22- هل تملكين سيارة خاصة بك؟ نعم ☐ لا ☐

23- في حال وجود شقيقة أكبر سناً منك، هل هي:

☐ عزباء ☐ متزوّجة

24- إذا كنت تعملين، هل تساهمين بمسؤوليات ما تجاه الأسرة أو أحد أفرادها؟

☐ لا ☐ نعم إذا ما هي؟ ____________________

25- هل تتلقين دعماً أو مساعدة من أحد أفراد أسرتك؟ ☐ لا ☐ نعم:

☐ مادي

☐ غير ذلك، حدّدي: ________________________

26- هل لديك طموحات مهنية معيّنة؟ ☐ لا ☐ نعم، حدّدي ما هي؟

____

27- هل تمارسين الشعائر الدينية؟ ☐ لا ☐ نعم، إذا:

☐ بشكل منتظم ☐ بشكل متقطّع

28- علاقات الصداقة تقيمينها مع: الفتيات ☐ الشبان ☐ الاثنين معاً ☐

29- كيف تمضين أوقات فراغك؟

1 ☐ مع الصديقات والأصدقاء
2 ☐ مشاهدة أفلام السينما
3 ☐ مشاهدة برامج التلفزيون
4 ☐ المطالعة
5 ☐ الإنترنت
6 ☐ ارتياد النوادي الرياضية
7 ☐ الرحلات
8 ☐ إرتياد المطاعم

30- هل تقومين بسفرات إلى الخارج؟ ☐ لا ☐ أحياناً ☐ باستمرار

ما هي أسباب السفر:

☐ زيارة الأهل ☐ استجمام ☐ عمل

* **المواقف من الزواج:**

31- هل سبق وأقمت علاقة عاطفية لم تؤدّ إلى زواج؟

☐ لا

☐ نعم، حدّدي إذا أسباب فشلها: ______________________

32- هل سبق وطرحت عليك عروض للزواج ورفضت؟

☐ لا ☐ نعم، في حال الإيجاب: ما هي أسباب الرفض؟

السبب	أنت	الأهل	ملاحظات
رفض لمبدأ الزواج			
لأنّه متزوّج			
لشكله الخارجي			
فارق العمر			
تفاوت في مستوى التعليم			
اختلاف الدين			
عدم الكفاية المادية			
تفاوت في المكانة الإجتماعية			
خلاف حول قيمة المهر			
اختلاف في الأفكار والمفاهيم			
إقامته بالخارج			
متابعتك للدراسة			
بانتظار أن تتزوّج الأخت الكبرى			
سبب صحي			

33- ماذا يمثّل الزواج بالنسبة لك؟

☐ راحة واستقرار

☐ إنجاب الأطفال

☐ مسؤوليات

☐ قيد

34- هل أنت مرتبطة بعلاقة عاطفية مع شاب معيّن؟

☐ نعم ☐ لا ☐ لا جواب

35- هل توافقين على مشروع زواج حالي؟

☐ نعم ☐ لا

36- هل توافقين على الزواج من شاب:

	نعم	لا
- لبناني من طائفة مختلفة	☐	☐
- عربي	☐	☐
- أجنبي	☐	☐

37- ما هو موقفك في حال تقدّم أحدهم للزواج منك مقابل تركك لعملك؟

☐ أوافق ☐ أرفض

38- هل تتزوجين:

	نعم	لا
- عن طريق زواج مدبّر	☐	☐
- من رجل متزوّج	☐	☐
- من رجل يكبرك سنّاً	☐	☐
- من رجل يصغرك سنّاً	☐	☐

39- ما هو موقفك من العلاقات الجنسية قبل الزواج؟

☐ أؤيّدها ☐ أرفضها ☐ لا جواب

40- هل توافقين على العيش مع شاب تحبّينه دون ارتباط رسمي معه؟

☐ أؤيّدها ☐ أرفضها ☐ لا جواب

41- ما رأيك بالزواج المدني؟ ☐ أؤيّده ☐ أرفضه

42- برأيك، يعود عدم زواج الفتيات إلى:

☐ تردّي الأوضاع الإقتصادية

☐ هجرة الشباب

☐ عملهنّ خارج المنزل

☐ اختيار شخصي

43- كيف تنظر إليك رفيقاتك من المتزوّجات؟

☐ باعتبارك صديقة

☐ بغيرة وحسد

☐ بحذر

44- هل تتعرّضين لمشاكل كونك غير متزوّجة؟

☐ لا

☐ نعم، ما هي تلك المشاكل؟

____

____

45- هل أنت بعدم زواجك:

☐ نادمة

☐ سعيدة

☐ لم يكن الأمر بيدك

____

____

إسم المحقّقة/ إسم المحقّق: ____________________________

المدة: ______________ التاريخ: ______________

الملاحظات:

____

____

____

ملحق (2)

دليل مقابلة القضاة الشرعيّين والروحيّين

1 ـ المحور الأول: العنف في التفسير الديني

1 ـ 1 مفهوم الذين للعنف المنزلي وتحديداً الزوجي (الزوج لزوجته)

1 ـ 2 تحديد الذين للعنف الأسري.

1 ـ 3 التعاطي هو واحد في كل الأديان؟

1 ـ 4 كيفية التعاطي معه حسب الحالات

1 ـ 5 الهدف من اللجوء إلى المحاكم (تسوية أوضاع أم للحصول على الطلاق؟)

1 ـ 6 وفرة هذه الحالات في المحاكم الشرعية والروحية (تبعاً لكل دين).

2 ـ المحور الثاني: مواصفات الحالة التي تطلب تدخّلكم

2 ـ 1 من يطلب العون والتدخّل (في حال تواجد الفوارق والإختلافات، الرجاء ذكر ذلك خاصة إذا كان لصالح الزوجة)

ـ عمر الزوج ـ الزوجة أو الإثنين معاً (في حال التذكّر)

ـ المستوى التعليمي للزوجين

ـ المستوى الإقتصادي والإجتماعي

2 ـ 2 في حالات الزواج المبكر:

ـ المستوى الإقتصادي

ـ الوضع المناطقي

ـ اختلاف الجنسية

ـ زواج مختلط

ـ تفكّك عائلي سابق

2 ـ 3 مَنْ مِنَ الزوجين يكون لديه الإستعداد أكثر لتقبّل الحل والتسويات؟

2 ـ 4 الحالات التي تقتنعون فيها بإصدار قرار التفريق

3 ـ المحور الثالث: التدخّل دينياً وإنسانياً:

3 ـ 1 كيف يتمّ التعاطي مع حالة تقدّمت بشكوى لدى المحكمة (حالة ضرب ـ تشويه مثلاً)

3 ـ 2 يقال أنّ الدين ينحاز عموماً إلى الزوج، ما هو ردّكم على هذه المقولة؟

3 ـ 3 بأي حالات تعطى الحضانة للأم رغم أن الشرع يعتبرها من حق الأب

3 ـ 4 كيف تنظرون إلى الحالات التي يكون فيها الزوج مقتدراً اقتصادياً ومقتّراً في الوقت نفسه تجاه زوجته (حرمانها من احتياجاتها الأساسية)

3 ـ 5 في حال ممارسة العنف الجسدي، أية حالات تعتبرونها من صلاحيات القضاء الجزائي.

3 ـ 6 حقوق المرأة في الدّين

3 ـ 7 حول التغييرات الحاصلة في أوضاع المرأة عموماً.

3 ـ 8 التربية (تربية الأطفال) على «الإنسانية» وحماية الطفل من العنف.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

2008/1/791

إشكالية العنف

تتزايد ظاهرات ممارسة العنف ويتولى انتشارها في مختلف مناطق العالم دون أي فارق بين الأنظمة السياسية أو المنطلقات الإيديولوجية أو المعطيات الحضارية، حتى لقد بدا العنف وكأنه لغة الانتقالية إلى القرن الواحد والعشرين.

إن أي بحث حول هذه الظاهرة وتحديد الفروقات بين عبقرية وآخر تجعل من أحدها مشروعاً ومن الآخر مداناً، يجب أن يرتكز على آلية نقل العنف وانتقاله من المجال الفردي إلى المجال المجتمعي ومعالجة تداعياته النفسية - الاجتماعية الناجمة عن انتشاره.

يهدف البحث إذاً إلى تسليط الضوء على العوامل المرضية والنزاعات العدوانية الفردية وتمكنها من التحكم بالعلاقات البيئية وتسخيرها لهيمنة المنحرف والقوي على المواطن الأعزل من نصوص سوى القانون، مما يؤدي إلى فقدان الاستقرار واشاعة الفوضى ونشر آليات الصراع في المجتمع.

تم اعتماد الدراسة الميدانية استناداً إلى مقاربات وإلى خيارات تقضي للأفعال العنفية وفقاً لمتطلبات الثلاثية المستويات:

١ - المقاربة النفسية في تتبع ظاهرات العنف المجتمعي.

٢- المقاربة الإحصائية من أجل تصنيف الأحداث العنفية ووصف خصائصها.

٣- المقاربة الوصفية والتحليلية على السواء لمستندات ووثائق تظهر عمق التفاوتات البنيوية بين المجتمعات والمحفزة أيضاً.....

الناشر


ISBN 9953-463-43-3
9 789953 463438

